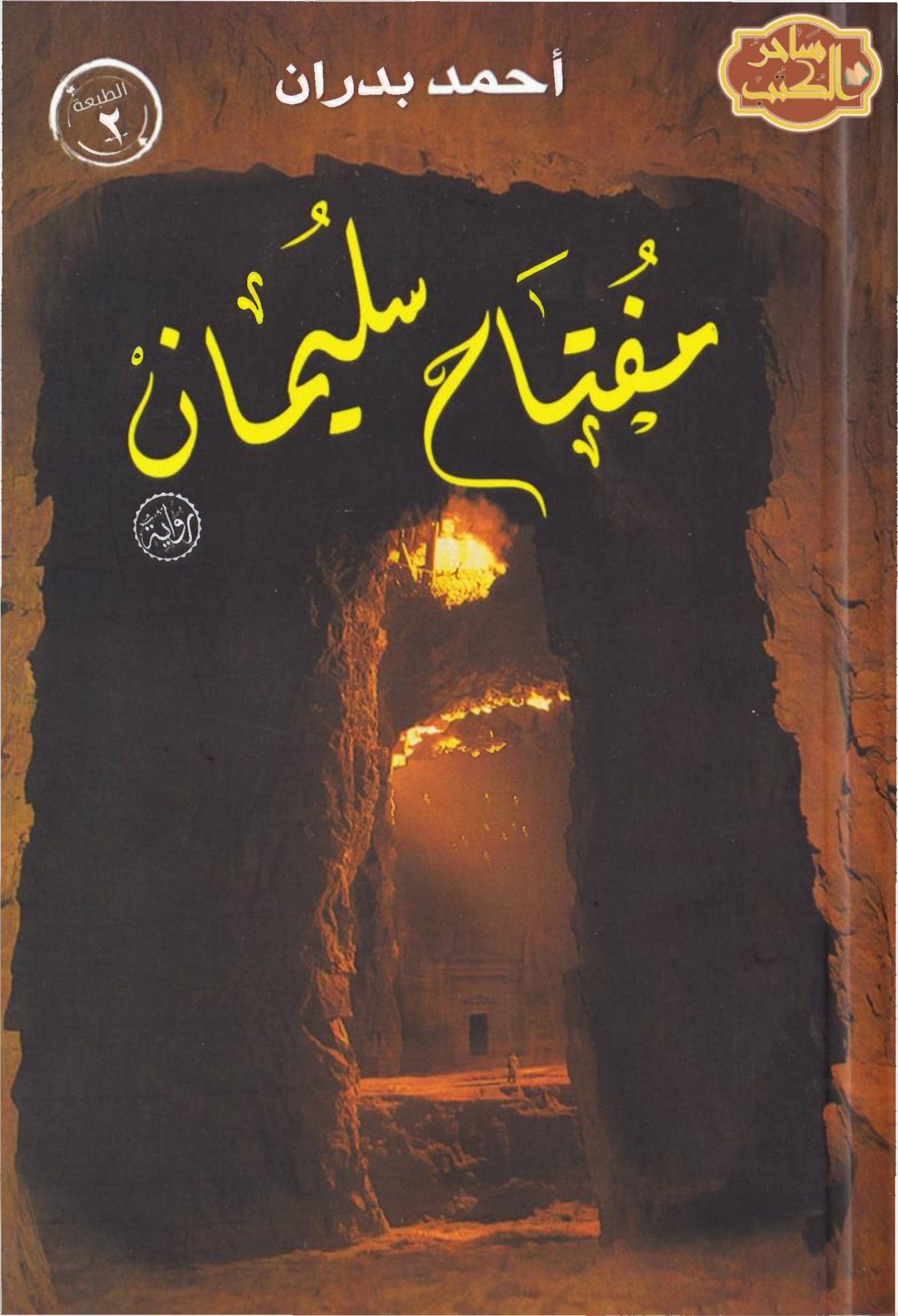

ساحر الكتب
أحمد بدران
الطبعة ٢
مِفتاح سليمان
رواية



مفتاح سليمان



الكتاب : مفتاح سليمان

المؤلف : احمد بدران

تصميم الغلاف : اسامة علام

رقم الإيداع : ٢٠٥٣٢ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي : ٩٧٨-٩٧٧-٧٧٨-٠٨٢-٧



٢٠ عمارات منتصر - الهرم - الجيزة

ت-٠٢-٣٥٨٦٠٣٧٢ ٠١١-٢٧٧٧٢٠٠٧

Noon_publishing@yahoo.com

مفتاح سليمان

أحمد بدران







إهداء

إلى روح أمى الخالدة فى قلبٍ أنهكه فراقها .. رَحِمَكِ الله.



التاريخ يعيد نفسه ،،،

كارل ماركس



جميع أسماء الشوارع والميادين والأضرحة التاريخية المذكورة في الرواية بأوصافها وتخطيطها الدقيق حقيقية، فضلًا عن حقيقة ثقافة الحضارات القديمة والأحداث التاريخية، كما أن بعض طقوس وأيقونات المنظمات الثورية و السرية مستوحاه من الواقع.



كلما أمعنت النظر .. كان من الأسهل خداعك ،،

الفصل (١)

انتهى المطاف بقرص الشمس إلى الأفق الغربي وقد شملها الهدوء والوجوم والأسى بعد أن ولى عنها زهو الفتوة وبريق الشباب ومضى شعاعها الشاحب يلقى بآخر خيوطه شرقًا تاركًا ظلال حزينة امتدت خلف صخور مبعثرة على جانبى قضيب قطار معدنى لامع براق تنعكس عليه بقوة تشى بحداثة صنع مادته الفولاذية التى وجدها ذلك العصفور الشارد الصغير مادة شاذة مغايرة لما يحيط به من مساحة مترامية من الرمال الساكنة سكون القبور فأخذ يتبختر فوقه ينتقل من جانب للآخر مطمئنًا فى جولة أخيرة قبل حلول الغروب السرمدى، لكن سرعان ما تبدل اطمئنانه ولاح الذعر والخوف فى التفاتات حذرة مترقبة مردها اهتزاز القضيب هزات عنيفة متزايدة تبخر معها اطمئنانه وطار محلقًا يعلن انتهاء جولته اليومية عند هذا الحد خوفًا وهربًا من ذلك الوحش الأسطورى الذى بزغ فى الأفق بغتة يندفع منقضًا يثير حوله عاصفة من الغبار ينفث أدخنه سوداء من قمته بكميات ضخمة تشى بكميات كبيرة من الفحم المحترق داخل آلاته.

كانت بداية عهد البلاد بالقاطرات البخارية على يد الخواجة الفرنسى (روبرت ستفينسون) الذى تم استدعاؤه من الحكومة البريطانية لصناعة أول خط سكة حديد فى مصر لخدمة مصالحهم وأطماعهم فى نقل ثروات البلاد، حتى أتَمَّ أول خط عام ١٨٥٤م ثم تلاه سلسلة خطوط أهمها كان عام ١٨٦٧م بين القاهرة وصعيد مصر، وكانت أحد أهم تلك القاطرة العجيبة على مرتاديها الذين لم يعبأ المسافرين داخلها باهتزازاتها العنيفة بل مكثوا فى استرخاء تام حتى أن أحدهم بدا مستغرقًا فى نومٍ عميق منذ بداية الطريق كمن لم ينم من قبل ولم يوقظه سوى صفير القطار الذى يصم الآذان يعلن اقترابه من الصعيد؛ فشرع ذلك الرجل برأسه يتلفت يمينًا ويسارًا فى بلاهه كمن استيقظ من الموت بغتة، يحاول استيعاب ما

حوله لكن عقله كان ثقيلًا مشوشًا، كل شيء كان مريبًا، الركاب معظمهم من الخواجات والأجانب، المصريون منهم يرتدون طرابيش حمراء، تحسس رأسه فوجد هو نفسه يرتدى واحدًا، تركزت عيناه على امرأة تجلس على الكرسى امامه تبتسم له فى إشفاق:

- شكلك كنت تعبان أوى يا مراد ده إحنا قربنا نوصل البلد

ظل صامتًا مقطبًا حاجبيه محدقًا فى المرأة يتفحصها فى بلاهة وكأنه يراها للمرة الأولى ثم انفرجت شفتاه المرتجفتين

- مراد مين!! أنا ما إسميش مراد، وإنتى مين وايه إللى جابنى هنا، فين فاتن وعزت !!؟ .

فتحت المرأة فمها فى بلاهة هى الأخرى واقتربت بوجهها منه

- مين دول، جرالك ايه يا راجل أنا نِهَاد مراتك

أزدرد لعابه فى صعوبة وقد بدا عليه نظرة معذب يجاهد ليتذكر شيئًا -أى شىء بلا جدوى- مسح جبينه براحتيه ثم واتته فكرة فنهض يخرج حافظة نقودة من جيبه وفتحها فى لهفة يطالع هويته الورقية ليصطدم بصورة باهتة بالأبيض والأسود بدت له مألوفة نوعًا ما لكن ليس بالقدر الكافى ليعتبرها صورته الشخصية

- مراد صالح الهوارى، مواليد ١٨٩٥م

أسقط فى يده وندا جبينه وتصاعدت أنفاسه، هذه ليست صورته ولا اسمه ولا ميلاده .. هذه ليست هويته .. بل هذه ليست حياته.

شعر بدوار وراودته رغبة عارمة فى التقيؤ فنهض مترنحًا لنهاية عربة القطار تتابعة الأعين بين تساؤل وشفقه، والبعض يتحدث عن دوار القطار، بلغ المرحاض وهناك مال على الحوض يستجدى رغبة فى التقيؤ دون أن تطيعه، غسل وجهه بالماء ثم انتصب فوقعت عينه على انعكاس صورته فى المرآة ليتراجع بغتة حتى اصطدم بجدار المرحاض خلفه وكأنه رأى شبحًا، فقد طالعه وجه ليس وجهه أيضًا، تحسس وجهه فى

ذهول ثم أخرج وريقة الهوية الشخصية التى وجدها فى جيبه نظر إليها لحظات كانت كافيه ليتأكد من أن ذلك الوجه فى المرآة هو نفس الوجه فى البطاقة الشخصية واللذانِ لا يَمُتَّانِ بأدنى صلة لوجهه كما يعلمه.

***

مترنحًا تدور المشاهد من حوله عاد لمقعده أمام تلك السيدة بالكاد يحافظ على حطام وعى تبعثر معظمه تنفرج شفتاه ليسأل فتحتشد داخل عقله الأسئلة دون أن تطاوعه نفسه فى البوح بأىٍّ منها، يلقى نظرة عبر النافذة ثم يتنهد فى ضياع وشرود يمسح وجهه براحته من جديد، ثم تسائل:

- القطر قديم أوى والناس لبسها كأنه عصر الباشوات إحنا سنة كام
- اسم الله عليك يا أخويا، إحنا سنة ١٩٠٥م هربت الدماء من وجنتيه وارتجفت شفتاه وهو يدور بعينيه فيما حوله غير مدرك أى معنى للأمر

- أنا جيت هنا إزاى ومين مراد وإنتى مين نهضت تجلس جواره فى إشفاق
- معلش هى الحاجة قالتلنا هتحصل حاجات غريبة بعد ما تعمل الحجاب
- مين الحاجة فهمينى أنا مش فاكر حاجة
- هساعدك واحدة واحدة، أنا مراتك يا مراد متجوزين من تلت سنين وعايشين فى الصعيد وأنا عندى عيب مأخر خلفتنا وإنت لفيت بيا على كل الحكما وأخدت كل الأدوية مفيش فايدة لحد ما ولاد الحلال قالولنا إنتوا معمولكم عمل ودلونا على ست مبروكة فى مصر بتفك السحر والمس، روحنالها وعملت اللازم وأدينا راجعين بلدنا أهو.

- وفكت السحر إزاى!
- هى قالتلى ما أقولكش بس لو حسيت إنى متغيرة شوية عادى ما تخافش

رواده شعور غريب مزيج من تذكر كل تلك التفاصيل مع يقين يعربد فى رأسه بأنها ليست حياته ولا عالمه هو فقط يراها بعين شخص آخر بعين صاحبها الذى عاشها يومًا، حاول جاهدًا تذكر حياته الأصلية لكنها بدت له غائمة مغبرة وكأنه ينظر إليها عبر زجاج مصنفر ملىء بالخدوش مع قوة كاسحة تدفعه للتعايش مع الأحداث الجارية، قوة أجبرته على أن يهز رأسه متفهمًا ما روته له نهاد زوجته ليضع يده على كتفها فى حنان ويهمس لها مطمئنًا.

- افتكرت يا نهاد افتكرت كل حاجة، هنخلف على إيدها أنا متأكد

دفنت رأسها فى صدره وهى تبتسم ابتسامة حالمة

- أنا حاسة بكده

كان الوحش الأسطورى يقطع أشواطه الأخيرة يدنو من محطته الأخيرة وقد بدا ذلك فى الانخفاض التدريجى لسرعته كتنين أنهكه القتال ينفث مزيدًا من الأدخنة تساهم مع غيوم السماء فى خلق كآبة أورثت شعور مقبض لدى مراد وهو يسير بجوار زوجته المزعومة التى تؤكد أن حالة النسيان التى يعانى منها تعد آثار جانبية لعلاج غامض، وتلك الحُجة كانت فى صالحه مؤقتًا يتعلل بها حتى يتجلى سر ما يحيط به.

***

فى المساء وبعد أن أرخى الليل سدوله وانتصف، كانت ليلة مختلفة للغاية ليلة استمتع فيها مراد بكل إنش فى زوجته على نحو لم يعهده من قبل، حتى هى نفسها كانت تشعر بأنها مختلفة عما سبق، نشطة كالأفعى شرهة كأرضٍ جافة تشققت قشرتها تنشد غمرها بالماء.

كل شيء كان يشي بنجاح علاج تلك الحاجة المبروكة في مصر، لا ضرر من اختلاف صوت زوجته من آنٍ لآخر، بيد أن نظراتها له كانت مختلفة، ليست هذه نظرات زوجته الوديعة كانت تحمل شيئًا من التبجح والشهوانية .. ولكن لا بأس لعلها آثارًا جانبية ستزول مع الوقت.

انقضى شهران تحولت زوجته خلالهما إلى كائن شره للجنس تطالبه به على نحو يومى متبجح، حتى جاء ذلك اليوم الذى كان يجلس فيه مراد فى غرفة نومهم بعد أمسية طويلة قامت بعدها زوجته تمر من أمام مرآة التسريحة، كانت لحظة واحدة التقط فيها مراد بطرف عينيه انعكاس وجهها فى المرآة لم يكن يشبه وجهها كما يعرفه، كان وجه امرأة مصطبغ بالأزرق طويلة الشعر للغاية قانية العينين، أجفل مراد يتابعها ببصرة حتى غادرت الغرفة، فاغرًا فاه مشدوهًا يحدق عبر باب غرفة النوم ثم نظر لوجهه هو فى المرآة ولسان حاله..

إنت مين يا (مراد يا هوارى) !! وإزاى بقيت بشوف بعينك !!.

فرك عينه ونفسه تحدثه بأنها لحظة سهاد أفقدته تركيزه فرأى ما رأى، بالكاد قنع بتلك الإجابة فتمدد فوق السرير حتى عادت هى من الحمام، شعر بها تتدثر جواره بالأغطية لكن السهاد تملكه وغفا فى نوم عميق، كان نومه غير مريح يموج بمشاهد وومضات من لحظات فى حياته كما يعلمها، لم يوقظه سوى أنه مد يده فى الظلام جواره فلم يجدها فتح عينيه التى غشاها النعاس وعلى الضوء الخافت المتسلل من الخارج رأى كيانًا بشريًا فوقه ملتصقًا بالسقف.

طار النوم من عقله وشرع برأسه يدقق النظر، بلا شك ذلك الملتصق بالسقف هو كيان بشرى

أزاح الأغطية وقفز من فوق الفراش متجهًا لزر الإضاءة، لم يكد يمد يده حتى أمسكت بمعصمه يد متزامنة مع صوت زوجته متحشرجًا أقرب للبكاء.

- بلاش يا مراد تولع النور





قفز يحرر معصمه مبتعدًا عن زوجته التى وجدها تقف جواره لا يدرى كيف ولا متى وصلت إليه.

- نهاد إيه إللى بيحصل أنا بقيت أخاف منك
- أنا هحكيلك يا مراد.

وسط الظلام جلسا على حافة الفراش يتلاعب به عقله وينسج له ألف صورة وصورة لوجهها الآن، حافظ على مسافة بينهما وتركها تتحدث.

- هى قالتلى إنى محتاجة حد يصلحلى الرحم وقت الجِمَاع وهى عندها إللى يقدر يعمل كده.
- مين إللى يقدر يعمل كده!
- جنيه، عملتلى معاها اقتران لحد ما ننول المطلوب وبعدين هتصرفها، فخلتنى أقرا تعازيم واشرب حاجات وأحطلك إنت كمان حاجات فى الشاى، وقالتلى ما أقولكش، ومن ساعتها فعلًا حسيت بواحدة جوايا بتخلينى ساعات أتحرك بمزاجها، لكن أنا تعبت يا مراد وحاسه إنى هتجنن.

ظل مراد يحدق فى ذلك الكيان المتشح بالسواد أمامه ،تمنى لو ينهض الآن راكضًا، لكنه كان يرتجف.. فقط لأنه من المفترض أن يرتجف هكذا كانت حياة ذلك الشخص ،لكن اضطرابه هو كان لسبب آخر يمر بخلده ويلهب عقله، أى حياة هذه التى يعيشها وأى شخصية التى يتقمصها من الذى زَجَّ به فى هذا العالم وأجبره بهذه القوة العاتية أن يعيشه ويتفاعل معه مسلوب الإرادة.

- طب هنور النور دلوقتى يا نهاد ونشوف هنعمل ايه

لم يكد مراد يتقدم بضع خطوان ويمد يده لزر الإضاءة حتى تلقى لطمة عاتية طرحته أرضًا وصوت غليظ يصيح به

- مش قلتلك النور لأ.

لم تكد الكلمة تكتمل حتى شعر بقوة عاتية تقتلعه من مرقده وتلقى به فوق الفراش وتنقض عليه تجبره على معاشرتها مرات ومرات وقد وصل به



الأمر لحد الألم يجاريها وهو فى شبه غيبوبة أحيانًا يراها فوقه بوجه زوجته وأحيانًا يرى وجها يتلون وتموج عينيها بلون الدماء، لم يكن يدرى هل غطَّ فى سباتٍ عميق بعدها أو أنه أغشى عليه ولكنه فتح عينيه ينهض وقت الظهيرة كمن دهسه قطار، يجدها جالسة فوق كرسى التسريحة توليه ظهرها و تمشط شعرها الذى أصبح جافًا ثائرًا على نحو غريب، اقترب منها فى حذر فالتفتت له بغتة جعلته يقفز خطوة للوراء لتضحك ضحكة ماجنة، ظل على وقفته يتطلع ليعنيها الغائرتين وبشرتها التى شحبت كثيرًا، وشفتاه تنفرجان فى صعوبة.

- نهاد لازم نروح للست دى تانى فى مصر تشوف حل.
- حل ليه ما أنا كويسة أهو

- كويسة إيه إنتى مش شايفة وشك بقى أستغفر الله العظيم.

هنا وجدها تهب واقفة وفى لحظة وجدها أمامه تستعر عيناها ويتحشرج صوتها:

إياك تجيب السيرة دى تانى..

ثم رق صوتها على نحو ساخر:

- ولا إنت عايز تموت إبنك إللى فى بطنى !
- إنـ.. إنتى حامل !
- أيوه حامل وأسبوع كمان وأجيبلك العيل إللى نفسك فيه.

ازدرد مراد لعابه وهو يقف خلفها يطالع وجهها فى المرآة، نفس الوجه الذى سبق ورآه بالأمس، هذا الوجه لم يعد يمت بصلة لزوجته، هذا وجه شيطانة مريدة، تنظر له عبر المرآة فى تشفٍّ وخبث فرت له الدماء من وجهه، يتابعها ببصره تنهض فى هدوء تقترب منه ،حاول التراجع ولكن قدماه كانتا كتل أسمنتية أبت أن تطيعه، أخذ يرتجف وقد جف حلقه كزجاجة صمغ منسية، وقفت خلفه تمهس فى أذنه:

مراتك خلاص إنساها، بذمتك هى كانت هتقدر تجيبلك عيل فى تلت شهور، إحنا بس إللى نقدر، إحنا إللى بنعرف نخلف بعد تلت شهور.

- إنتوا مين!!
- ضحكت ضحكة مجلجلة وهى تتراجع
- إنت لسه ما فهمتش، إحنا الجان
- أعوذ بالـ......

لم يكد ينطق بهذه الأحرف حتى اعوَجَّ فكه على نحوٍ عجيب فأخذ يعوى كالأخرس يجاهد ليتكلم دون جدوى، يحاول تحريك جسده المتصلب كتمثال قُدَّ من صخر وهى تدور حوله تدوى ضحكتها مجلجلة تتبدل سحنتها لعدة أشكال على نحو مفزع.

- أنا حبيتك يا مراد وما عندكش اختيار غير إنك تقبل تعيش معايا.
- ....

ما تحاولش تتكلم علشان مش هتقدر، إلا إذا وعدتنى ما تقولش الكلمة إللى كنت عايز تقولها وإلا عذابى هيبقى شديد أوى.

شعر مراد بما كان يزن أطنانًا كانت تجثم فوق صدره قد انزاحت واعتدل فكه ليلتقط أنفاسه اللاهثة من فرط الانفعال، يلهب عقله تساؤل متى سينتهى تواجده وسط ذلك الجحيم الذى أجبر عليه مدفوعًا بقوة خفية على المضى قدمًا فى أحداثها بل والتفاعل معها، حتى أنه رَدَّ فى خضوع:

أنا كمان بحبك وهنعيش أنا وانتى مع بعض، بس ما تأذيش نهاد.

***



بعد أسبوع....

مين إللى قالك إنها حامل، مفيش حمل ولا حاجة

أبدى طبيب أمراض النساء فى أحد العيادات الطبية دهشته بعد أن أنهى فحص نهاد فى تشكك وهو يجزم لمراد أن زوجته ليست حامل من الأساس.

لم يجادل مراد فهو يعلم أن الأمر مخالف للمنطق، هو فقط من يعلم ذلك بعد أن أخفى الأمر عن الجميع وقد ادعى أن زوجته حبلى منذ سبعة أشهر وأنهم أخفوا الأمر خشية الحسد .. هو وزوجته فقط من كانا يعلمان أن الحمل لم يتجاوز الثلاثة أشهر.

عاد مراد بزوجته إلى المنزل لا يدرى ماذا يفعل أمام ألمها المتزايد.

- أنا بموت يا مراد، إندهلى أم مسعود الداية
- حاضر يا نهاد هجيبهالك بس إوعى تقوليلها أى حاجة.

خرج مهرولًا يحضر الداية الشمطاء المعروفة فى البلد لديهم وعاد بها للمنزل حيث ترقد نهاد يتفصد عن جبينها عرق غزير تتلوى من الألم المبرح.

بيدين برزت عروقهما كمواسير تتسلق واجهة عمارة عتيقة ،خط فيها الزمن خطوطه تحسست القابلة بطن نهاد فى عدة مواضع وقد قطبت جبينها المتغضن فى وجل ثم ازدردت لعابها وهى تتفحص وجه نهاد وعينها، ثم نهضت من جوارها واقتربت من مراد

- قولى يا ابنى هى مراتك كانت طبيعية معاك

- أآه.. يا حاجة طبيعية جدًا ليه!

- أنا يا ابنى ما شوفتش حمل بالطريقة دى قبل كده بس كنا بنسمع عنه فى حكايات كتير، دة حمل شيطانى يا ابنى



- شـ... شيطانى إزاى بس يا حاجة نهاد حامل من سبع شهور والواد شكله ابن سبعة

- لو بتحب مراتك قولى الحقيقة يمكن نقدر نلحق قبل ما يقع المحظور يا ابنى.

هنا انهار مراد فوق مقعد خشبى جوار الفراش وراح يبكى وينشج وهو يقص لها ما حدث بالتفصل طوال الثلاثة أشهر الماضية، تقلصت عضلات وجه السيدة العجوز وازدادت تغضنًا ثم عدلت من وضعية الشال فوق رأسها وهى تهم بالانصراف.

- غلطان فى حق نفسك وحق مراتك، كان لازم تحكى لحد عشان يساعدك، هروح أنده الشيخ منصور هو إللى هيتصرف

لم يعترض مراد فالأمور خرجت عن السيطرة وحياة زوجته على المحك.

دقائق وعادت الشمطاء تسبق رجل نحيل فى أواخر الخمسينات يرتدى جلبابًا واسعًا ما أن وقعت عيناه النافذتانِ على نهاد حتى ضاقتا فى تفحص للحظات ثم طلب معاونة مراد فى تقييدها بالحبال فى قوائم السرير النحاسية ثم طلب من العجوز كوب صغير من الماء راح ينفث بداخله غمغمة وتمتمة، ثم طلب من الجميع التراجع وهو يسكب بعض الماء فى يديه ورش بهم نهاد التى جن جنونها وجحظت عينها على نحو مرعب وتقافزت شرايين وجهها تبرز كقنوات زرقاء متشعبة، ثم رذاذ من الماء جعل وجهها اصطبغ بالأزرق و تعالت صرخاتها ثم انسابت الدماء من أنفها وفمها، تراجعت العجوز لخارج الغرفة فى هلع تبسمل وتحوقل والتصق مراد بركن الحجرة ينتفض ويتواثب قلبه.



تعرق الشيخ منصور وقد بدا واضحًا من ملامحه المرتبكة أنه يفقد السيطرة، مما دفعه لسكب الماء بأكمله صرخت معه نهاد صرخة عاتية بعد أن تحولت عينها لجمرتين تتقيأ الدماء من فمها، ثم سكنت حركتها إلا من بعض الانتفاضات العصبية التى تصاحب النزع الأخير ثم همدت حركتها تمامًا، التقط منصور يدها فوجدها باردة كالثلج لا نبض فيها.

أغمض عينيه فى ألم ومرارة ثم غطى وجهها بالملاءة التى لطختها بقع دماؤها مما دفع مراد للإمساك بتلابيبه مدفوعًا بغضبٍ وحزنٍ جارفينِ أجبر على إتيانه.

- إنت السبب إنت إللى عملت فيها كده أنا مش هسيبك

لم يقاومه الشيخ وتركه يفرغ شحنة آلامه ومراد يمسك بكتفيه يهزهما بقوة، ثم أجابه الشيخ منصور فى أسي:

- كانت خلاص هتتعالج لكن الجن إللى عليها كان عنيد قرر إنه يحرق نفسه ويموتوا مع بعض على إنه يخرج ويسيبهالك، لوكنت قلت من الأول كنا قدرنا نساعدك، بس إنت إتاخرت أوى لحد ما إتمكن منها.

تراخت يدا مراد عن ملابس الشيخ وانسابت الدموع حزينة بلا مشاعر حزن حقيقية، ربت الشيخ على كتفه يجذبه خارج الغرفة يواسيه فى ألم، سار مراد إلى جواره كالطفل المخدر لا يعى شيئًا، لحقت بهم العجوز بالخارج تمسك بساعد مراد تصحبه إلى ركن المنزل ثم مالت برأسها تهمس له فى أذنه بكلمة واحدة بهت لها مراد وخفق لها قلبه بقوة .. فقد كانت تعنى الكثير.

الفصل (٢)

(الوقت الحاضر)

اكتست السماء وتلبدت بغيوم ثقيلة قاتمة حجبت أشعة الشمس بالكامل تنذر بهطول أمطار غزيرة فى أية لحظة وسط صقيع قارص اضطر معه المحاسب الشاب (شريف خليل) لوضع يده فى جيب معطفه بعد أن أغلق أزراره بالكامل يعرج لأحد الشوارع الجانبية على غير هدى، كان يسير منذ فترة لا يدرى مقدارها تحديدًا عبر دروب وشوارع خلت أرجاؤها من المارة، لم يدهشه ذللك الخواء بل لم يدهشه كونه يتنقل من مدينة لأخرى بمجرد انعطافه لشارع جديد فقط شعور بالخوف والهروب من مجهول هو ما سيطر على عقله وجعله يتلفت حوله من آنٍ لآخر يتطلع فى توتر للشوارع الخاوية، لم يكن يدرى أين كانت البداية ولا متى، فقط هو يسير على قدميه فوق أرض صلبة تحولت لأرض رخوة عند أحد المناطق القديمة مما دفعه لتفقد الأرض حيث غاصت قدمه ليطالعه تراب غزير مختلط بسائل أحمر لزج لا تخطؤه الأعين.

نظر حوله على مد البصر لشوارع اكتست تربتها ببحار من دماء لزجة حارة، رفع رأسه فاصطدمت بشخص ظهر أمامه بغتة من العدم يُدنِى غطاء رأس على قسمات وجهه فلم يتبين أيًا منها وإن كان هو ما يخاف ويحذر، حاول التراجع لكن ثقل قدميه داخل المزيج اللزج حالت دون ذلك فسقط على ظهره يغوص جذعه فى الدماء، حاول النهوض لكن ذلك الشخص جثا جواره وأطبق على عنق شريف يدفع رأسه لتغوص فى الدماء حتى تسربت لحلقه يغرغر داخلها ثم رفع وجهه وهو مغطى بالدماء يشهق بعد ضيق رئتيه مطالبة بحقها الشرعى فى الهواء لكن ضغطة أكثر قوة من ذلك الملثم أعادت غمر رأس شريف فى الدماء وإن

ظل يقاوم يدفع نفسه لأعلى مادًا يده تجاه ذلك الملثم يقبض على الوشاح الذى يخفى به وجهه و.......

(إصحى يا شريف .. شريف فووق ده كابوس)

اعتدل شريف بغتة يلهث فى انفعال وكأنه كان يركض أثناء نومه يمسك بعنقه ويزدرد لعابه تمسح زوجته (دينا) على شعر رأسه تطمئنه فى انزعاج لم تستطيع إخفاؤه.

- نفس الكابوس برضه !!!

التقط أنفاسه وهو يريح جبينه على راحة يده قائلًا:

- الكابوس ده زاد أوى يا دينا وبصحى منه قلبى هيقف من الخوف.

أحضرت له كوب ماء وجلست بجواره حتى بدأت أنفاسه تنتظم، ربت على كتفها فى ود ثم احتضنها مطمئنًا

- ما تشغليش بالك فترة إرهاق وهتعدى.

تمدد على الفراش متظاهرًا بالنوم وبجواره زوجته تعلم جيدًا أنه لم ينم بعد بل هو غارق فى أفكاره يتبحر شرقًا وغربًا يحاول أن يجد تفسيرًا لذلك الكابوس المفزع الذى بدأ يطارده مؤخرًا بدون أدنى مقدمات، كان ذلك الكابوس يؤرق شريف دائمًا، إلا أنه هذه المرة كان يشغله أمر آخر هو أن الغد المتمم لمرور عام كامل على زواجه من (دينا طاهر) ابنة رجل الأعمال الشهير (طاهرعبد الجليل) بعد مصادفة لطيفة جمعت فيما بينهم، كانوا سعداء رغم عدم إنجابهما، لكنه مجرد عام واحد مضى لم يصنع معهم فارقًا مع تأكيد الأطباء عدم وجود سبب معين لذلك، فقط الله لم يشأ بعد .. تأخر الإنجاب يؤرقها لذا قرر أن يكون غدًا يومًا مختلفًا جميلًا يغمرها فيه بالسعادة والمرح يتجاوزا فيه دوامة الروتين فى نزهة تدخل على قلبها السرور.

ظل يفكر في يوم الغد وترتيباته حتى انزلق في العالم الساحر طوال ساعتين من النوم بلا أحلام ثم استيقظ على عواء منبه الهاتف إيذانًا ببدء يوم عمل جديد.

- مش ناسى حاجة النهاردة يا شريف !!

قالتها دينا وهى تقف جواره أمام المرآة بينما هو يقوم بارتداء سترة من نوع البليزر (blazer) بنى اللون فوق قميص أبيض وبنطال جينز أزرق يتطلع فى تساؤل لوجه دينا فى المرآة بينما هى تركز عينيها على وجهه لعلها تطالع فيه آيات التذكر، لكنها وجمت عندما أجابها:

- لأ أبدًا كله تمام

قالها وهو يقاوم ضحكة كادت أن تنفلت من بين شفتيه، ضحكة شخص يعلم ماذا تقصد زوجته، راقب خيبة الأمل التى بدت على وجهها فوقعت فى نفسه ولم يتحمل عذاب روحها الهشة فالتفت إليها يميل على وجهها يلثم خدها ويهمس لها.

هو حد برضه ينسى أسعد يوم فى حياته

أشرق وجهها وهى تتعلق برقبته فى مرح جَمّ تلثم خده بدورها

- دا أسعد يوم فى حياتى أنا

- إعملى حسابك هاجى من الشغل بدرى، ألاقيكى جاهزة.

نزل شريف من الطابق الثالث من ذلك العقار الذى يقطن به وسط منطقة الدقى بينما الخيوط الأولى من ضياء الصباح المنير تتحسس طريقها فوق قمم البنايات تفترش أشعتها الطرقات، أدار شريف محرك سيارته وانطلق بها فى طريقه للعمل فى شارع جامعة الدول تحديدًا ميدان مصطفى محمود بالجيزة يجتاز زحام الطرقات وسط السيارات المكدسة تتداعى على مخيلته ذكرى طفولته ومراهقته، كان يعلم أن والديه توفيا فى حادث سيارة كان فى سن صغير أبت معه الذاكرة أن تطيعه فبدت الأحداث



كومضات من خيالات وأطياف، كلما أعمل تركيزه ويكاد يضيء كانت ذاكرته تتشتت ويعود ليغوص فى ظلمات العقل .
فى سن كبيرة يتذكر أن أقاربه هم من قامو بتربيته، وقتها ظل يسأل أحدهم - كان يقول له عمى - عن والديه فكان يجيبه وهو يشير لأعلى

- بابا وماما فوق يا شريف عند ربنا

كان يتطلع لأعلى لعله يراهم لكن بلا جدوى......

(إطلع يا ملاكى .. صحى النووم)

أطلقها أحد سائقى التاكسى وقف خلف سيارة شريف فى إحدى إشارات مرور شارع جامعة الدول العربية انتزعته من شروده فانطلق مجفلًا من نعيق آلات تنبيه السيارات التى تعوى خلفه متجاهلًا سخط سائقى السيارت مكملًا فى الطريق المستقيم لشارع جامعة الدول حتى وصل وسط ميدان مصطفى محمود بجماله المعمارى والهندسى تتوسطه دائرة رخامية ضخمة تفصل الطريقين تراصت على حوافها من الداخل ستة أشكال نما داخلها العشب الأخضر المشذب تنبجس من خلاله عدة شجيرات صغيرة يتوسط الستة أشكال شكل هندسى أكبر حجمًا يمثل نافورة بديعة تترقرق داخلها المياة، ومع تلك الدائرة الضخمة التى تتوسط الميدان افترق اتجاهى شارع جامعة الدول ليمرا على جانبيها على هيئة قوسين مسحوبين فى انسيابية ثم يعودا ليلتقيا ويمرا متجاورين من جديد
مر شريف عبر أحدهم ثم دار حول جزيرة منتصف الميدان ثم عرج تجاه جراج أحد الأبنية الضخمة المطلة على الميدان يبدو عليه الرقى المعمارى

- أستاذ شريف صباح الفل، إتفضل.

رفع حارس الجراج العارضة الخشبية مر شريف عبرها يرد التحية وهو يصطف بسيارته داخل الجراج ثم توجه صوب السلم المؤدى لواحدة من أكبر شركات تبادل الأسهم فى الشرق الأوسط، أبصر أحد عمال النظافة



طاعن فى السن يرنو ببصره داخل شبكة تهوية للتكيف المركزى الخاص بالمبنى تغلق قمته مربع بناء رخامى يرتفع فوق الأرض خلف المصعد بحوالى متر، خطا تجاهه متسائلًا

- مالك يا عم منصور!
- تليفونى وقع جوه وأنا بنضف يا أستاذ شريف برن عليه بيرن لكن مش شايفه ولا سامع صوته

كرر منصور محاولة الاتصال بهاتفه من هاتف آخر ونغمة الرنين تعمل بينما شريف يدقق النظر عبر ظلام فتحات شبكة التهوية دون أدنى أثر للهاتف مما جعله يتراجع فى دهشة:

- مش باين من هنا ،، هشوفلك بتوع صيانة التكيف جايين إمتى يجيبو هولك.

ربت شريف على كتف منصور وتركه فى عجالة يلقى نظر على ساعته التى تجاوزت عقاربها الثامنة والنصف مما دعاه للتعجل فى مشيته يقفز فوق درجات السلم المؤدى للطابق الأرضى للشركة حتى طالعته ساحة الطابق الارضى برخام حوائطها الأنيق ونباتات الزينة المتراصة على الجانبين يتوسطهم مكتب صغير لأمن العقار يجلس خلفه شخصين بملابسهم الزرقاء الموحدة يتبادل معهم تحيه ودودة، ثم دلف للمصعد وتركه يأخذه للدور الثانى حيث يقبع مكتبه مارًا برواق طويل مفروش بسجاد فاخر تتراص على جانبيه أيضًا نباتات الزينة حتى مر على غرفة مكتبه المعلق عليها لافتة كتب عليها (المحاسب) تجاوزها متوجهًا لغرفة تالية لها كتب على بابها أيضًا (المحاسب) أدار مقبض الغرفة وأطل برأسه أولًا داخلها ليبتسم عندما وقعت عينه على صديقه (عزت الرفاعى) يجلس خلف مكتبه يبادله الابتسامة، نهض يرحب به.

- حبيب قلبى إتأخرت النهاردة ليه يا معلم
- الطريق كان وحش أوى وعمك منصور تحت قلبلى دماغى بتليفونه إللى ضاع .. المدير سأل عليا



- حظك ... لسه ما جاش، مالك شكلك تعبان كده ليه
- ما نمتش كويس والله يا عزت

غمز له بعينه فى إشارة ذات معنى

- ماشى يا عريس، خليك فاكر إن أنا إللى لفتت انتباهك ليها، إنت ولا كنت واخد بالك.

جلس شريف يبتسم فى إرهاق قائلًا: يا عم إرحمنى، ما أنا برضه إللى رحت إتعرفت عليها، ثم أضاف مستطردًا

- وبعدين عريس ايه ده إحنا بقالنا سنة متجوزين، لا لا إللى مبهدلنى كده الكابوس إللى حكيتهولك كتر أوى دلوقتى.
- طب ما تروح لدكتور يا شريف، لا هو عيب ولا حرام!!
- مش للدرجادى، أنا لما الإرهاق بيزيد عندى بيجيلى بكوابيس و.......

قاطعتهم طرقات الساعى على باب الغرفة قبل أن يدلف للمكتب

- المدير وصل دلوقتى وعايزك يا أستاذ شريف حالًا
- خير!!! ما تعرفش فيه إيه ياعم (كمال)
- لأ والله بس هو السكرتيرة دخلتله بريد أول ما فتحه وقراه كلمك على مكتبك وما لقاكش فقالى أدور عليك

ربنا يستر!!

***

سار شريف عبر رواق طويل يفصله عن مكتب مدير الشركة ورئيس مجلس إدارتها والأفكار تموج فى عقله عن سبب ذلك الاستدعاء الباكر والغريب من المدير الذى قَلَّمَا يستدعى أحد الموظفين فى مكتبه بل يكتفى

بمحادثتهم هاتفيًا أو ينقل أوامره لهم عبر السكرتارية، هل من الممكن أن يكون الحوار هو.....

(الشركة بتخسر يا شريف أنا مضطر أستغنى عن كام موظف أكفاء أوى وأنا إللى هخسرهم لكن هعمل إيه، معلش يا شريف عدى على الحسابات خد كل مستحقاتك وأنا متأكد إنك هتلاقى شركة أكبر من دى تقدر مواهبك)

انقبض قلبه لذلك الهاجس إلا أنه حاول القضاء على توتره مطمئنًا نفسه أنه لم يخطىء فى أمرٍ ما بل يقوم بأعماله على خير ما يرام على نحو أثبت به كفاءة جيدة وتطور تدريجى على مدار ثلاثة أعوام هى كل عمره الوظيفى فى هذه الشركة رغم ذلك تخطى العديد ممن كانوا هم أقدم منه البعض يعتبره جدير بتلك المكانة والبعض يكن له كل حقد .. فلماذا يريدنى!، هو لن يزوجنى ابنته على أية حال فأنا متزوج منذ عام، ناهيك عن أن المدير ليس لديه بنات، طرق باب الغرفة فى انتظام ثم ولج الغرفة

كان يعرف الغرفة جيدًا إلا أنه كلما دخلها أصابه نفس الانبهار من الأثاث والديكورات المذهلة التى تراصت فى حجرة بالغة الاتساع على نحو قمة فى الذوق الراقى، خطا فوق السجاد الشرقى الفاخر تغوص قدمه داخله ثم وقف أمام المكتب العاجى الضخم تلفحه صفعات هواء المكيف على درجة منخفضة رغم برودة الطقس من الأساس محولًا الغرفة لقطعة من الإسكيمو حتى أنه تساءل أين يحتفظ المدير بالدببة ذات الفراء الأبيض، لابد أنه يطلقها على الموظف المقصر فى العمل

- اقعد يا شريف
- شكرًا يا ريس



جلس شريف فى المقعد المقابل يطالعه خلف مقعد المدير مشهد ميدان مصطفى محمود عبر زجاج واجهة البناية الضخم، يتابع المدير فى ترقب وهو يعبث بطرف أنامله بخطاب أنيق أمامه على سطح المكتب.

- إنت من الموظفين الممتازين هنا يا شريف

تواثب قلب شريف لتلك المقدمة التى تمس بعضًا من هواجسه لولا أن المدير أكمل.. والشركة عايزة تدعمك أكتر وتوديك تستفيد من علم خبير بريطانى جاى مصر هنا بكره.

مَدَّ المدير يده لشريف بخطاب مضيفًا

- دى دعوة لشركتنا لسه وصلانى حالًا من منظمين الدورة بيطلبوا ترشيح واحد من موظفين شركتنا للحضور، وطبعًا أنا اخترتك إنت.

تنفس شريف الصعداء وارتفعت معنوياته بعد أن عبثت برأسه الظنون مما انعكس على حالته النفسيه التى تحسنت كثير وزادت معها حماسته:

أنا متشكر أوى يا ريس على الثقة الغالية دى وإن شاء الله أكون عند حسن ظن حضرتك

هز المدير رأسه فى رضا مطمئن:

أنا متأكد من كده، يلا روح اجهز وسلم شغلك لعزت علشان الخبير هيوصل النهاردة بالليل والمحاضرة بكرة الصبح عايزك يا شريف تستوعب كل كلمة ويا سلام لو تعرف تضربلنا صداقة مع الخبير دة تبقى تمام أوى.

- وأصاحب عيلته كلها .. إنت تؤمرنى.

- كويس أوى .. خد بقية اليوم النهاردة أجازة علشان تستعد

عاد شريف لمكتبه يرتب أوراقة وينهى بعض الأعمال تمهيدًا لتسليمها لعزت الذى بلا شك سوف يغشى عليه عند تسلمه لأعمال إضافية، رغم ذلك كان عزت من الأصدقاء المقربين للغاية لشريف منذ التحاقه بالعمل



منذ ما يقرب من ثلاث سنوات وجد خلالها من الشهامة والوفاء ما يجعله بمثابة أخ له.

- ها طمنى كان عايزك ليه

دلف (عزت) لغرفة مكتب شريف والفضول يملأ عينه ممتزجًا ببعض الريبة عندما وجد شريف يجمع بعض الأوراق أمامه شعر معها بمصيبة جديدة سوف تحل فوق رأسه، تأكد له الأمر عندما ابتسم شريف فى ضحكة ذات مغزى قائلًا:

- لقيتك فاضى قلت أجيبلك شوية شغل
- إييه .. لييه!! هو مفيش غيرى فى الشركة دى، وإنت إن شاء الله رايح فين
- عندى مؤتمر فى الأمم المتحدة لمكافحة دودة القز
- طب ما تنساش بقى تاخد معاك ورق شجرة التوت البرى

ضحك شريف للدعابة ثم أخرج أخر ملف وحمل جميع الملفات وقربها من عزت قائلًا:

- هو بكرة بس يا بطل، هحضر دورة تدريبية لخواجة جاى من بره هتعلملى كلمتين فارغين وارجع، شغل مظاهر من الآخر.
- الله يسهلو يا سيدى وطبعًا فندق وأكل ومرعى وقلة صنعة وأنا هنا أشيل الطين

نظر عزت للملفات نظرة معذب فتمادى شريف بمزيد من العبث:

- ما تبقاش حقود أمال هبقى أشوفك بورك فرخة
- وكمان بتتريق ماشى يا سيدى حقك، طب مش هتقعد تفهمنى الملفات دى فيها إيه

أخرج شريف هاتفه يطلب رقم زوجته قائلا



- عيش إنت أنا عيد جوازى الأول النهاردة ولازم أنزل ألحق أجيب هدية وأظبط خروجة حلوة.

لم يترك له شريف فرصة التعقيب قبل أن يغادر غرفة مكتبه لحظة واحدة ثم عاد يطل برأسه للداخل مستطردًا:

- الله يكرمك يا عزت، لحسن أنا وعدت الراجل، إبقى شوف حد يجيب تليفون عم منصور وقع فى فتحة التهوية إللى فى الجراج

استشاط عزت غيظًا وهو يقول:

- يلا يا شريف من هنا الله يكرمك مش ناقصاك إنت وعم منصور.

ضحك شريف مكملًا:

يا جدع الراجل غلبان تكسب فيه ثواب

يا عم أنا مش عايز ثواب .. أنا مالى مش إنت إللى وعدته، وبعدين فتحة تهوية إيه إللى فى الجراج، فتحات التهوية كلها فوق فى الأرضى.

مط شريف شفتيه يهز رأسه أسفًا فى عبث مكملًا:

- الناس نفسيتها بقت وحشة أوى

تصاعدت الدماء لرأس عزت فتناول بغتة دباسة شريف من فوق المكتب وشرع يقذف بها شريف هاتفًا:

- ملعون أبوها صحوبية

أخفى شريف وجهه خارج نطاق فتحة الباب ضاحكًا يتهمه بالجنون، ثم وضع الهاتف على أذنه يهاتف زوجته و يعدها بأمسية مختلفة .. أمسية لن تنساها.

***

عم حامد من أكثر حراس العقارات يقظة فى منطقة الدقى، لسبب ما يعتقد أنه يحرس قاعدة نووية أو أنه أحد نقاط الأمن عند بوابات مبنى الكريملين الروسي، جالسًا فوق أريكته الخشبية أمام بوابة العقار يحدق فى المارين ذهابًا وإيابًا يأخذ جميع بيانات أى غريب صاعد للعقار ولا يسمح له بذلك إلا بعد أن يصرخ من ينتظره من سكان العقار عبر (الإنتركم) بالسماح له بالصعود، رغم تعنته أحبه سكان العقار وشعروا معه بأمان على منازلهم.

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشر بعد منتصف الليل عندما نام جميع أولاده الذى يغيب عن عقله أحيانًا عددهم، وبقى هو وحيدًا يجلس بالخارج على أريكته يقلب فى موجات راديو هاتفه (النوكيا) قاطبًا جبينه كمن يفكك لغمًا موشكًا على الانفجار.

كان العقار فى شارع جانبى صغير يتسم بالهدوء النسبى وسط العديد من الأشجار الساكنة لا يعبره أحد إلا كل حين وآخر لذا لفت انتباه (حامد) شيئًا ما يمر من خلف الأشجارعلى الجانب الآخر من الشارع، رفع وجهه عن هاتفه وظل يحدق فى تلك البقعة دون أن يرى شيئًا فعاد يضبط موجات الراديو بالهاتف إلا أنه سمع صوت تكسر بعض أوراق الأشجار الجافة فى نفس البقعة، أنزل قدميه من فوق الأريكة وارتدى نعليه وتقدم نحو تلك البقعة.

- مين!! إطلع ياللى واقف عندك.

لم يتلقى إجابة فتقدم فى حرص يدخل دائرة الظلام أسفل أفرع وأوراق الشجرة الكثيفة يدور حولها مهتديًا بإضاءة شاشة هاتفه الواهية حتى وقع بصره عليه، أو بمزيد من الدقة على عينيه لأن فراءه كان أسود تمامًا كقطع الليل المظلم لا يبرز منه سوى عينين قانيتين بلون الدماء، كان كلب ضخم لم يره من قبل فى المنطقة بدا عجيبًا لم يتراجع ولم يحرك ذيله بل ولم يفتح فكه لاهثًا كعادة الكلاب فقط ظل واقفًا فى هدوء ينظر إليه فى ثبات بأعين بعث لونها القانى القشعريرة فى نفس حامد مما جعله يتراجع مرددًا.

- بسم الله الرحمن الرحيم

سار الكلب مغادرًا المكان فى خطوات ثقيلة يتابعه حامد فاغرًا فاه ينقل بصره بين الكلب وظله الذى إن لم يخنه وهن بصره كان ظل لشخص بالغ الطول يسير منحنيًا.

الفصل (٣)

- العشا تحفة .. والمكان شيك أوى..

تبسم شريف شريف يومئ برأسه ثم مال للأمام نحوها هامسًا:

إنتى عارفه أنا شايف إيه دلوقتى .. شايف عينيكى بتلمع زى ما حصل أول مرة شوفتك فيها فى الشركة مع والدك، حسيت عينيكى بتتكلم بمعنى الكلمة.

ابتسمت دينا ابتسامة حالمة ازداد معها بريق عينيها

- يمكن علشان جيبتنا فى نفس المكان إللى قعدنا فيه لوحدنا أول مرة .. وعلى نفس الترابيزة

عبأ شريف صدره بهواء النيل العليل الذى يطل عليه ذلك الكازينو الشهير والتقط أنامل دينا ناظرًا فى عينها

لما بنفتكر البداية فى الماضى بتدعم وتقوى الحاضر، بحب أفتكر خدودك إللى إحمروا أول ما كلمتك مع إنى عارف إنك كنتى متوقعة ومستنية أكلمك

ضحكت دينا قائلة، ما إنت أصلك كنت مفضوح أوى وباين فى عينيك لما جيت وسلمت عليا أنا وبابا فى الشركة، لدرجة إنك وقعت كوباية المية عليا

ضحك شريف يتذكر مدى الارتباك الذى حل به فى تلك اللحظة أمام سهام عينها النافذة حتى أن قدمه اصطدمت لا إراديًا بالمنضدة أمامهم فاهتز كوب الماء وسقط فوق ملابس دينا

- بصراحة ارتبكت قدام جمالك ورقتك.
- و قعدت تتأسف كتير أوى وما كنتش عارف تعمل إيه، وأنا لولا إنى لقيتك جد ومحترم ما كنتش رضيت أقعد معاك لوحدنا.

- عايزة تفهمينى إنك عرفتى كل ده عنى من مرة جيتى فيها الشركة مع والدك!!
- ما إانت عارف إن إنت لما كلمتنى قولت لماما وطبعًا ماما قالت لبابا وطبعًا بابا كلم معارفه إللى ردوا عليه وقالوله إنك مسالم ومحترم .. وبعدها قابلتك
- طب وما رفعتيش بصماتى من على الكوباية وكشفتوا عليا جنائى وسياسى!!

هزت رأسها نافية وهى تضحك للدعابة تنغم بأصابعها على المنضدة أمامها بالتناغم مع لحن موسيقى هادئة يتسلل عبر نظام صوتى بالكازينو:

- مش ناوى بقى تاخدنى البلد تعرفنى على أعمامك وخالاتك إللى محدش شافهم دول
- إذا أنا نفسى بقالى سنين ما روحتش، لكن هكلمهم ونحاول أخدك ونروحلهم زيارة
- أما نشوف.

اكتفى شريف بإيماءة من رأسه ثم مرت لحظات صمت عليهما تأمل خلالها شريف ملامح دينا المنمقة وعينها البنية، استطالت فترة تلاقى أعينهما فابتسما معًا يتبادلان موجات الحب الكهربائية التى غمرتهما بعاطفة جارفة، قبل أن يأتى النادل يضع قدحين من العصير تراجعا معها يفسحا المجال له حتى انصرف ثم انفرجت شفتا شريف وهو يتناول القدح:

- همثل الشركة بكرة فى محاضرة لخبير بريطانى
- بجد!، ومحاضرة فى إيه بقى.
- بصى هو موضوع مجاملات كله، الخواجة إللى جاى ده هو المستشار الاقتصادى لشركة كبيرة فى انجلترا واخده تحت جناحها كل شركات البورصة وتداول الأسهم فى الشرق الأوسط ، جاى مصر يومين يدى محاضرة فى تخصصه فى قاعة فندق الفورسيزونز، طبعًا هو جاى يفرد عضلاته وسط



مندوبين الشركات الكبيرة إللى عملولهم دعوات ويؤكد على هيمنة شركتهم، بس إحنا عاملين نفسنا مش واخدين بالنا وهنروح علشان قال يعنى نستفاد من خبرته وحكمته فى المجال.

أومأت برأسها فى تفهم

يعنى بكره إنت فى الفورسيزنز !

أيون، وما تقلقيش دول كام ساعة وبرجع فى ميعاد الشغل كمان.

لاح فى عينها شيئا من التوعد ضحك له شريف يطمئنها

- كلهم مندوبين مفيش مندوبات

- أه بحسب.

سارا مسافة خارج المطعم متأبطين الأذرع فى انتشاء تميل دينا برأسها على كتفه تداعب قسمات وجوههم نسمات وأطياف النيل العليل التى بدت الأضواء المنعكسة على صفحته وكأنها وجه يفتر ثغره بابتسامة عذبة حالمة يودعهم وهو يتثاءب فى استرخاء، حتى غابا عنه بعد أن استقلا السيارة عبر شوارع الجيزة التى بدأت تقل فيها حركة السير كثيرًا مع تلك الساعة المتأخرة من الليل مكنتهم من الوصول سريعًا لشارع بدا فيه احتشاد العديد من الأشخاص أمام أحد العقارات، خفف شريف من سرعة السيارة تطالعه سيارتى إسعاف تقفان بانتظام على جانب الطريق يقوم رجالها بإدخال محفة تلو الأخرى تغطى فيما يبدو أنها أجساد بملاءة بيضاء تلطخت ببقع الدماء ومن مدخل العقار هبط عسكريين يمسكان بذراع رجل يمشى معهم هادئًا مختالًا وكأن لا أحد فى الكون يعنيه.

انقبض قلب دينا وهى تغمغم:

يا ساتر !!

اتخذ شريف الحارة اليسرى من الطريق فى محاولة للإفلات من زحام الفضوليين وأثناء ذلك التقطت أذن شريف شخصان كما هى العادة يتحدثان عن الأمر وأحدهم يضرب كفًا على الآخر قائلًا:



- هو إيه إللى جرا فى الدنيا، الراجل دبح مراته وعياله التلاتة ونازل بيضحك ومبسوط.. لا حول ولا قوة إلا بالله.

قُبِضَّ شريف عند سماعه عن الحادث مغمغمًا:

- المجتمع بقى دموى أوى يا دينا.

وافقته دينا بإيماءة من رأسها فى أسى قائلة:

- من يومين كان فيه حادثة مقززة لأب قعد يعاشر بنته خمس شهور وبقت حامل منه، المصيبة إنه مش ندمان وهى عادى جدًا.
- وإللى تتفق مع واحد إنهم يقتلوا جوزها وإللى يقتل عياله علشان مش عارف يصرف عليهم .. فى خلل أصاب المجتمع والفطرة البشرية!!

تنهدت فى ضيق بعد أن عكر المشهد صفو ليلتهم فظلا صامتين طوال الطريق لمنزلهم فى حى الدقى حتى وقعت عينه على حامد حارس العقار يجلس ساهمًا واجمًا، ألقى عليه تحية لم تجد العقل الواعى لردها إلا من سلامٍ واهٍ ويد متخاذلة من حامد على غير العادة.

- مالك يا عم حامد !

عاد وعى حامد للوجود متمتمًا:

والله يا أستاذ شريف شوفت حاجة ممخولانى

سبقت دينا إلى داخل مدخل العمارة بينما اقترب شريف من حامد فى نظرة متسائلة جعلت حامد يكمل وكأنه يتوق للحديث مع أحد.

- هو مش خيال البنى آدمين بيبقى مختلف عن خيال الحيوانات!
- أكيد طبعًا على حسب الشكل الخيال بيظهر.
- أمال إزاى أنا شوفت كلب بخيال بنى آدم
- ودا شوفته فين.

أشار حامد للشجرة المقابلة:

- ورا الشجرة الكبيرة إللى هناك

أومأ شريف برأسه متفهمًا ناظرًا إليه كمن ينظر لمجنون

- ما تسهرش كتير يا عم حامد إدخل إرتاح شوية وسط عيالك، دى تهيؤات نور الكشافات و فروع الشجر.

خفض حامد رأسه فى استسلام، حاضر يا أستاذ شريف .. لكن والله العظيم أنا شوفته وكان خيال بنى آدم, اكتفى شريف بابتسامة يخفى بها نفاد صبر ورغبة فى النوم ثم ربت على كتفه ودخل مدخل العمارة حيث تنتظره دينا مغمغمًا لها

- سمعتى إللى بيقوله حامد

- أيوه سمعت، الراجل كبير فى السن وأكيد نور الكشافات خدعه وهو نظره ضعيف أصلًا بالضبط كده

***

صعدا السلم متوجهين لشقتهما بالدور الثالث تتحامل دينا على كتفه فى إرهاق وانتشاء قابله شريف بابتسامة محيطًا خصرها بيده يصعدا السلم فى بطء حتى وصلا للطابق الثانى حيث وجدا الدكتور (عبد القادر رشيد) طبيب المخ والأعصاب يشرع فى غلق الباب بعد أن وصل للتو من عيادته ففتح الباب مرة أخرى مبتسمًا ابتسامة ازداد معها وجهه تغضنًا ووقارًا، صافحه شريف يحييه:

- مساء الخير يا دكتور

- مساء النور يا ولاد إتفضلوا

- شكرًا يا دكتور وقت تانى إن شاء الله

- هستناكم تيجوا تقعدوا معايا شوية

- من عينينا يا دكتور دا إحنا يزيدنا شرف

صعدا لشقتهما ومرت الأمسية كما هو مخطط لها تمامًا ... وفى الصباح....

قوم يا بطل علشان تروح المدرسة

استيقظ عقل شريف على عبارة دينا الهامسة يبتسم دون أن يفتح عينه إلا على وجهها دانية منه

- صباح الورد، والله فكرتينى بأيام المدرسة إللى أنا مش فاكرها أصلًا
- طب يللا قوم على ما أعملك السندوتشات، بس تاكلها كلها، وإوعى حد ياخدهم منك

أضاف شريف عابثًا مقلدًا صوت الأطفال: لأ ما تخافيش وما تنسيش تمليلى الزمزمية

فى دقائق من صباح يوم بدا غير تقليدى انتهى شريف من ارتداء سترته ووقف يصفف شعره الأسود القصير أمام المرآة يتطلع لوجهه الطولى الحليق يلوح فى قسماته شيئًا من الجاذبية ممتزجة بمسحة حزن تعكسها عينه من وقتٍ لآخر، انتصب بقامته المتوسطة وبنيانه المعتدل يعدل من هندامه ثم خرج من الغرفة يتطلع لساعته التى أشارت عقاربها للثامنة صباحًا قبل أن يودع دينا ذاهبًا فى طريقة لمحاضرة الفورسيزون.



الفصل (٤)

على طريق شارع الجيزة موازيًا لنهر النيل حيث فندق الفورسيزون العريق انحرف شريف بسيارته يلج للمرآب يصطف داخله ثم يعود لبوابة الفندق الزجاجية يخطو داخل بهو رخامى مهيب تجاه موظف الاستقبال الذى حياه فى دبلوماسية وابتسامة دائمة محفورة داخل قسماته، سأله شريف عن القاعة الخاصة بمحاضرة البروفسير (باتريك فرانكلين).

ألقى موظف الاستقبال نظرة سريعة لشاشة الحاسوب أمامه ثم أشار بيده تجاه أحد الممرات قائلًا:

- القاعة (٨) يافندم.

قطع شريف بهو الاستقبال النشط برواد الفندق والخدم بزيهم الموحد مع جلسة راقية ذات مقاعد فارهة تحتل جانب كبير من البهو فوق أرضيات من البورسلين اللامع إلا من أجزاء يكسوها سجاد تركى باهظ الثمن تتدلى فوق رؤوسهم ثريات كريستالية ضخمة للغاية تتلألأ داخلها أضواء آلاف الألوان وكأنه انتقل عبر بوابة لعالم الأحلام لم يفِق منها إلا على صوت قادم من خلفه:

- جاى لمستر فرانكلين!

التفت ينظر من فوق كتفه لمصدر الصوت الصادر من شخص متأنق فى نفس سن شريف الذى لم يتخطى الخامسة والثلاثين يبدو عليه وسامة ونظرة ثاقبة.

- أيوه هى مش المحاضرة هنا!
- بالضبط لكن فاضل ربع ساعة على ميعادها وإنت عارف دقة مواعيد الأجانب.. إتفضل إحنا قاعدين فى الاستراحة منتظرين، كلنا مندوبين شركات كبرى فى مصر،، اسم الكريم إيه وتبع شركة إيه

أدرك شريف نوعية ذلك الشاب، يجب أن يجود بمثله دائمًا بين كل مجموعة من البشر.. ثرثار ومتطفل ونشط إلى حد مزعج .. شريف خليل من شركة (.....) لتداول الأسهم.

أجابة شريف وعينه تدور فى أرجاء قاعة انتظار صغيرة يجلس فيها العديد من الأشخاص فى مراحل عمرية متفاوتة كل منهم خلف قدح قهوة أو كوب عصير تم انتهاكه، يبدو من النظرة الأولى أنه أصغرهم سنًا، لكن يجمع بينهم التأنق والرقى

- حسين من شركة (....) .. قهوتك إيه !.. زيادة.

توالت أسماء الأشخاص والشركات دون أن يتذكر شريف أيًا منها، ابتسم ابتسامة مُقلدة مصطنعة حُفر أسفلها (صنع فى الصين)، أجواء خانقة تذكره بقاعة النبلاء داخل سفينة التايتانك يتحدث كلًا منهم حول عقليته المذهلة التى قادته لنجاحات وأرباح طائلة فى استثماراته، أنقذه العامل بقدح القهوة فأخذ يرتشف منه فى استمتاع طوال خمسة عشر دقيقة لزجة مرت عليه يجاريهم خلالها فى حديث ثقيل وكأنه يدور فى دوامة انتهت بتورطه فى صداقة مع (حسين).. وقتها فقط حان الموعد

بدأت المحاضرة سريعًا بالبروفسير (باتريك فرانكلين) يقف وسط الضوء الخافت بقامته المتوسطة وجسده المائل للنحول وملامحه الغربية تشع من عينه الزرقاء نظرة ذكاء حاد للغاية وكأنها سهام حارقة، تنعكس عليها أضواء (بروجيكتور) قادم من خلف القاعة المظلمة كما لو كانت قاعة سينما لترسم على اللوح الأبيض أمامه شكلًا لرسم بيانى يشير البروفيسر بعصا رفيعة لعدة أرقام وأعمدة رسم بيانى شارحًا أمورًا اقتصادية معقدة للغاية تابعها شريف بتركيز وفهم مع شعور عميق بالهدوء والانسيابية تغمر عقله مع ارتخاء محبب لأطرافه ترتكز عينيه على الأضواء المتلألئة فوق الحائل والبعض منها يتراقص فوق جسد البروفسير نفسه يتلاعب بملامح وجهه على نحو ندت له ابتسامة شريف وسط تركيز

وصمت مطبق من الجميع، لم يدرى كم مر من الوقت وهو على جلسة بدت له كبضع دقائق لكن بنظرة سريعة لساعته وجد أن الجزء الأول من المحاضرة قد انتهى بعد مرور ساعتين كاملتين شعر بعدها بإرهاق وآلام تسرى فى رقبته وعموده الفقرى ما لبث على إثرها يحرك عنقه عن اليمن وعن الشمال يراقب بروفسير فرانكلين يغادر القاعة ويترك لهم نصف ساعة (بريك)، نهض يسير فى الظلام حتى باب القاعة

ثم انضم لحسين بالخارج يتحدثا حول المحاضرة وما يحيط به ذلك الخبير الأجنبى من معلومات وإرشادات غاية فى الأهمية ،

وداخل قاعة الاستراحة تجمع من جديد مندوبوا الشركات لكن توقف حسين خارجها متململًا يعود أدارجه هامسًا لشريف

- بصراحة أنا مصدع ومش مستحمل دوشتهم .. لاقى الاقتراح هوى فى نفس شريف فوافقه بإيمائة من رأسه وترك حسين يصطحبه للبهو الخارجى حيث التراس الفاخر ومقاعده الوثيرة

- خليك هنا وأنا هوصيهم على القهوة وجايلك.

لم يكد يذهب حسين حتى وجد شريف أحد الأشخاص الذى لا يذكر اسمهم يصافحه فى حفاوة:- إيه يا أستاذ شريف محدش شافك فى المحاضرة يعنى إنت روحت فين !

ابتسم شريف:

- أبدًا كنت موجود بس يمكن علشان القاعة كانت ضلمة مع البروجيكتور فما شوفتنيش.

بدت أمارات الدهشة ممتزجة بشىء من البلاهة تعتلى وجه الرجل متمتمًا:

- ضلمة! ضلمة إيه يا أستاذ شريف القاعة كانت منورة والزملاء كلهم كانوا جنب بعض والمحاضرة كانت شفوى من غير بروجيـ......... أستاذ مطاوع عامل إيه، بعد إذنك هنقعد فى التراس.



قطع حسين الحديث بهذه العبارة مصطحبًا شريف بعيدًا، لاحظ شرود شريف فمال عليه قائلًا:

- على فكرة أستاذ مطاوع معروف ما بيننا إنه راجل كبير فى السن ودماغه بتتوه منه
- دا بيقولى إن الشرح كان شفوى ومفيش بروجيكتور والقاعة كانت منورة

انفجر حسين فى الضحك مغمغمًا بصوت منخفض، مش قولتلك، قطب شريف جبينه فى دهشة وعقله لا يستوعب كيف لرجل يتقلد مركزًا ماليًا فى إحدى الشركات ومصاب بالخرف، لكن أمارات البلاهة التى رآها على وجهه كانت تشى بأن الخرف عنه ليس ببعيد.

احتسيا القهوة فى عجالة يومئ شريف برأسه إيجابًا لحديث لم يسمع منه حرفًا بينما عقله طار فى رحلة جوية غادر بها أرض المنطق واقتحم حدود الشك، عقله ينبؤه بوجود شيء ما .. هو لا يشعر بأنه على ما يرام، حتى الجزء الأول من المحاضرة كانت غريبة مرت عليه كحلم مع شعور لم يختبره من قبل، جال بخاطره هاجس دفع إليه بفكرة غريبة جعلته يخرج هاتفه يتصنع بأنه يوقف نغمة الرنين قبل المحاضرة بينما هو يقوم بتفعيل كاميرا الفيديو بالهاتف ثم وضعه فى جيب قميصه تبرز من أعلاه الكامير تقوم بتسجيل ما يتواجد أمامه.

وداخل القاعة لم يختلف شيئًا، القاعدة المظلمة، شعاع البروجيكتور، الدكتور فرنكلين يرحب بهم ثم يبدأ الشرح تتراقص فوق جسده حزم أشعة البروجيكتور، تلفت شريف حوله، الجميع يجلس منتبهًا، لا شيء مريب سوى ذلك الشعور الذى يعربد فى أعماقه يلح عليه دون كلل أو ملل أن بالأمر خطأ ما لسببٍ ما عقله يرفض منطقية ما يحدث حوله، جسده يرفض إتيان أية رد فعل وكأنه مقيد فى مقعده من دون قيود مع شعور بالخدر دون مخدر .. هل حقًا دون مخدر!!

استرخى فوق مقعده مجبرًا لوقت لا يدرى كم طال فقد ظل مسترخيًا وكأن جسده يطفو فوق صفحة مياه هادئة مع شعور بألم ووخز فى أسفل الظهر جعله يتحقق من مسند المقعد خلفه دون أن يجد السن المدبب المتسبب فى الوخز

لا يدرى متى انتهت المحاضرة ولا متى طالعه وجه فرانكلين المبتسم يحييهم ويشكرهم على حضورهم ويتمنى لهم التوفيق فى حياتهم العملية، ثم أنهى المحاضرة، توجه شريف فى الظلام لباب القاعة مندفعًا خارجها يترنح، أمسك حسين بذراعه فى قلق بالغ ارتسم على وجهه متسائلًا:

- مالك يا شريف، إنت شكلك نمت فى المحاضرة على فكرة.

لأ أبدًا أبدًا، قالها شريف بلسان ثقيل وبأعين بالكاد يحاول إبقاؤها مفتوحة يمسك بأسفل ظهره فى ألم، عبَر بهو الفندق للخارج بمعاونة حسين يسانده حتى أوصله لسيارته وهو يؤكد عليه أن يتصل به يطمئنه فور وصوله.

منحه شريف ابتسامة ممتنه يومئ برأس متصدع على وشك التشقق، ثم انطلق بسيارته عائدًا للمنزل مع شعور دخيل بالشرود والخواء لا يدرى له عِلَّة

تنبه على اهتزازات هاتفه المحمول فى جيبه، زوجتى الحبيبة!! أنا فى الطريق و..... لكن لهجتها أكدت له خطأ إجابته التى نطقها قبل السؤال:

- شريف فى أمين شرطة من قسم الهرم كان عايزك
- أمين شرطة عايزنى أنا!!، وعايز منى إيه
- كان بيقول إن عندك استدعاء فى قسم الهرم للتحقيق لكن ما قالش ليه

قطب شريف جبينه فى دهشة .. استدعاء وتحقيق!!.

طيب أنا هطلع على هناك أشوف إيه الحكاية.



***

لم يطق شريف صبرًا فعاد بسيارته عبر شوارع الجيزة ودروبها حتى شارف على نهاية شارع الهرم حيث يقبع قسم شرطة الهرم ومن مسافة ليست ببعيدة لاحت له قمم أهرامات الجيزة التى أنهكتها القرون والعصور لكنها مازالت تطل برأسها فى ثقة واعتداد وتحدى، أوقف سيارته وترجل منها يلقى نظرة شاملة لمبنى القسم الذى طالما شعر أنه يفيض بالطاقة السلبية والانقباض، دلف عبر البوابة تلاحقه نظرات أعين ضابط وأمناء البوابة فى شك لم يرقى لحد السؤال

وداخل القسم أمام أحد المكاتب طرق الأمين باب غرفة معلق على بابها لافتة (المأمور) انتظر لحظة ثم دخل يلقى عليه التحية العسكرية ثم خطا تجاه مكتبه يفرد ورقة الاستدعاء قائلًا:

- المواطن شريف خليل يا أفندم بخصوص قضية دكتور الجامعة.

أشار له الضابط أن يدخله، خطا شريف داخل الغرفة المعبأة بأدخنة السجائر يستشعر معها برودة المكيف يتساءل فى أعماق نفسه أى لعنة حطت على الجميع جعلتهم يديروا أجهزة المكيفات على درجة باردة داخل حجراتهم فى ذلك الطقس البارد، رفع رأسه يطالعه فى آخرها مكتب مستطيل تراصت فوقه العديد من الملفات والأوراق ولافتة صغيرة عند منتصف المكتب كتب عليها العميد (سعيد الدسوقى)، يجلس خلفه رتبة عسكرية من ذوى النسر والثلاث نجوم يدخن سيجارة كالقاطرة يتطلع فى عدم اهتمام لمشاهد إخبارية تعرضها شاشة التليفزيون أمامه فى أخر الغرفة، ودون أن ينظر إليه أشار له بالجلوس، ثم التفت متحدثًا إليه:

اتفضل اقعد .. إنت شريف خليل عبد الظاهر، ساكن فى شارع(....) حى الدقى و شغال فى شركة (.......).

أومأ شريف برأسه إيجابًا وقد بدا عليه التوتر

- بالضبط كده
- تشرب إيه يا أستاذ شريف
- لأ متشكر أنا عايز أعرف أنا هنا ليه.

سحب الضابط نفسًا عميقًا وأخيرًا من سيجارته فى زهو ثم أطفأها فى منفضة السجائر المكتظة بحصيله اليوم من الأعقاب ثم أطلق دخانها فى الهواء يؤكد على هيمنته التامة على الموقف يثير مزيدًا من القلق البادى فى أعين شريف وهو يضغط زر استدعاء جواره يتحدث والأدخنة مازالت تخرج من فمه:

- هجيبلك شاى شكلك مرهق أوى، سكرك مضبوط!

لم يكن شريف فى حالة تسمح له بالمجادلة والرفض ناهيك عن كونه يشعر بالفعل بصداع عنيف يطرق رأسه، فأومأ برأسه إيجابًا، دلف العسكرى للحجرة، أشار الضابط له:

- القهوة بتاعتى وواحد شاى مظبوط.

أغلق الضابط ملف أمامه وطرحه جانبًا ثم بحث وسط كومة ملفات بجواره حتى أخرج أحدهم قرأ المكتوب على غلافه، فتحه وأخذ يقلب محتوياته فى بطء متعمد مثير للأعصاب ثم أخرج سيجارتين مد أحدهما لشريف الذى أشار بيده .. شكرا ما بدخنش، فى جدية مصطنعة:

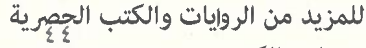
- الصحة غالية أوى لازم نحافظ عليها

أعاد إحداهما وأشعل الأخرى يملأ بدخانها صدره ثم أمسك أحد الأوراق من الملف

- تعرف حد إسمه (نجيب عبد الحافظ)!

أعقب قوله بمد يده بصورة التقطها من الملف لرجل فى أواخر العقد الخامس من العمر أشيب الشعر غزت التجاعيد وجهه ذو نظرة هادئة متفحصة يضع عوينات طبية فوق قصبة أنف رفيع يبدو عليه بعض الأرستقراطية.

دقق شريف النظر بها لحظات ثم هز رأسه نافيًا وأعاد الصورة.





- لأ أول مرة أشوفه

وضع الضابط الصورة داخل الملف يضيق عينه وهو يسحب نفسًا آخر من سيجارته يتطلع لتعبيرات وجه شريف عَلَّهُ يلتقط خلجة شاردة تشى بكذبه، ثم أضاف وهو يقلب فى الملف بيده الممسكة بالسيجارة فى عدم اكتراث:

- نجيب عبد الحافظ دكتور فى كلية العلوم جامعة القاهرة ومتخصص فى تدريس علم الفلك، مراته إتوفت من تمن سنين وله بنت وحيدة بتدرس نفس المجال فى أمريكا .. بواب العمارة إللى فيها شقته فى الزمالك بلغ إمبارح إنه ما خرجش من شقته بقاله تلت أيام، ولما دخلنا الشقة لقيناه مقتول بطعنة نافذة فى القلب.

- طب وأنا دخلى إيه أنا حتى ما أعرفهوش.

ما تستعجلش على رزقك .. تناول سعيد الدسوقى ورقة أخرى من الملف أمامه مكملًا:

- لقينا ورقة بخط (نجيب عبد الحافظ) كاتب فيها إسمك وعنوانك وكان هيبعتلك أمانة بالبريد كاتب إنها عبارة عن ملف مرفق بالخطاب هتفهم منه كل حاجة ومعاهم خمسين يورو، لكن واضح إنه ما لحقش يبعتهملك.

تناول شريف الورقة فى دهشة بالغة يقرأ محتوياتها التى كُتبت بخط سريع فى عجالة ثم فى الطرف الأخير من الورقة جهة اليسار تراصت أحرف عربية حاول قراءتها داخل عقله.

(شيغ، عضشطعق) ٢:١



تقلصت ملامح وجهه فى ضجر وقد رسخ لديه يقين بكونها لا تعبر عن جملة مفيدة، أو أنها مجرد أحرف توقيع المرسل.

طرقتان على الباب شتتا تفكيره أكثر قبل أن يدخل العسكرى بالقهوة والشاى وكوب ماء يضعهم على المكتب ثم ينصرف

التفت شريف لسعيد الدسوقى متسائلًا:

- وفين الملف ده

هز الضابط رأسه نافيًا على الفور وكأنه ينتظر السؤال:

- للأسف ما لقيناش أى أثر ليه مع كل أوراق وأبحاث الدكتور باستثناء الورقة إللى فيها بياناتك لقيناها واقعة تحت المكتب

صمت العقيد لحظات يتطلع لملامح شريف الصادقة وهو يهز رأسه نافيًا يمط شفتيه فى حيرة ودهشة بالغة لم يجد ما يقوله وبينما فى رأسه العليل تدق قبيلة إفريقية طبولها .. من هذا الرجل وكيف يعرف اسمه كاملًا ومكان سكنه ووظيفته وأى معلومات يريد إطلاعه عليها وأى مبلغ هذا الذى يريد إرساله له، لم يتعامل معه يومًا، هل كان يريده فى أمر ما يخص العمل لكن ما الداعى لخطاب وملف!! نبش فى ذاكرته فلم يجد سوى البيت والعمل هما ما تدور حياته فى فلكهما ليس له أى أصدقاء خارجه أو سهرات أو معارف سوء، حياته صفحة مياه راكدة هادئة لا تشوبها أى تموجات!

قطع سعيد أفكاره ملوحًا بسيجارته يعود بظهره لمخدع مقعده الوثير يبتسم فى خبث عندما تلمس الصدق فى قسمات وجه شريف وقرر التوقف عن التلاعب بأعصابه:

- بص يا أستاذ شريف أولًا علشان تبقى عارف التحقيق ده من اختصاص قسم الزمالك لكن أنا حبايبى هناك كلمتهم يبعتولك هنا عندى .. وده لأنى كنت عايز أشوفك..



ثانيًا إنت هنا مش متهم بحاجة، لأن إللى ما تعرفهوش إن تقرير الطب الشرعى ما لقاش أى بصمات فى الشقة غير بصمات المجنى عليه نفسه، حتى الأبواب والشبابيك والمنافذ مقفوله كلها من جوه كويس أوى ومفيش أى آثار كسر أو عنف أو حتى مقاومة من المجنى عليه .. إنت يا شريف مجرد شاهد علشان نقفل المحضر .. لأن مش علشان ورقة كتب فيها اسمك هنقلب دماغنا ورانا شغل كتير، الوفاة هتتقيد على إنها انتحار من غير أى شبهة جنائية.

رغم كون الأمر يرضى شريف إلا أنه شعر بعدم اطمئنان للضابط كيف يتجنب أمر هام كهذا، هل يتلاعب به!! آثر السلامة قائلًا:

- طب أنا ما أعرفهوش ولا عمرى شوفته ولا أعرف حاجة عن المبلغ ده، فيه حاجة مطلوبة منى تانى!!

ابتسم الضابط محاولًا تهدئة شريف الذى بدأ الإرهاق يثير توتره:

- أبدًا .. هكمل المحضر وهتقول الكلمتين دول وهتمضيلى عليهم وخلصت الليلة.

ثم استدرك ينظر لشريف نظرة ذات مغزى مضيفًا:

- لكن لو افتكرت حاجة كنت ناسيها .. أو وصلت لحاجة لازم تيجى تبلغنى بيها على طول .. متفقين

أومأ شريف برأسة مؤكدًا .. طبعًا

- عظيم أوى، إدينى بطاقتك، وعلى بال ما أكتب الكلمتين دول تكون شربت شايك وتمضيلنا على المحضر .. ومتشكرين أوى.



***

سائرًا بخطوات ثقيلة رأسه يدق كناقوس حرب خرج شريف من القسم خاويًا .. حلم آخر أضيف لحلم المحاضرات أفقداه الكثير من وعى ضاع نصفه وتشتت الآخر، أوى إلى مخدع كرسى القيادة يغمض عينيه لحظات يفكر فى عجوز كتب اسمه وعنوانه فى وريقة قبل انتحاره .. تمنى لو يغفو قليلًا ليستعيد صفاء ذهنه الذى احترق لكن صوت نابع من مقعد السيارة الخلفى أجبره ان يفتح عينيه يطالع فى مرآة السيارة أمامه شخص ملثم مألوف أحاط عنقه بذراعيه يخنقه بقوة انتفض لها شريف مستيقظًا من غفوة دامت لحظة واحدة داخل سيارته أمام القسم يتطلع حوله فى ذعر .. الملثم مرة أخرى .. انتزع نفسه من مرقده ومسح وجهه براحتيه ثم انطلق بسيارته عائدًا للمنزل بوعى مخفوق جيدًا حتى الامتزاج فأصبح جاهزًا للنضج داخل فرن حيرته

عاد للوعى على رنين هاتف عزت:

- طبعًا يا شريف اتمنجهت فى الفورسيزون
- منك لله يا بعيد دى كانت محاضرات مهببة، كله من نقلك ده
- إيه ده!! إيه إللى حصل!!
- قسم الهرم عايز أقوالى .. وقال إيه واحد انتحر وكان كاتب اسمى وعنوانى فى ورقة.
- إيه ده!!، طب وبعدين حصل إيه
- ولا قبلين، مفيش أى حاجة عليا والضابط كان كويس أوى معايا أخد أقوالى ومشانى.
- غريبة، طب وإيه حكايته الراجل ده!!
- والله ما عارف ولا عايز أعرف المهم أوصل البيت أرتاح.

أغلق شريف الاتصال ثم واصل طريقه يتطلع للمشاهد من حوله بأعين غائبة عن الوجود وعقل هبط إدراكه حتى دنا من مرحلة النوم، لكن سيارة



ميني كوبر حمراء كانت تتبعه أيقظت شيئًا من حواسه عندما تجاوزته بالرشاقة المميزة لهذه النوعية من السيارات تنم عن حرفية قائدها ثم انحرفت أمام سيارته بزاوية تمنعه من مواصلة التقدم:

- إيه يا بنى آدم إنت انـ.....

بتر شريف عبارته وقد اعتلت وجهه الدهشة وبدا متربكًا عندما نزل قائد السيارة فإذ بها فتاة تحمل هجين من ملامح شرقية ولمسات غربية أورثتها شعر كستنائى تزيحه عن وجهها لينسدل كالشلال على كتف سترتها الجلدية السوداء التى تحاكى نفس درجة لون بنطالها الجينز الذى يبرز رشاقة قوام واضحة بدت فى خطواتها تجاهه تنظر إليه بعيون زرقاء تعكس حزن عميق حاولت إخفاؤه بابتسامة بسيطة تمتص الحرج الذى بدا على وجهه قائلة بلهجة مصرية سليمة:

- حضرتك أستاذ شريف خليل

ترجل من سيارته فى تردد وهو يتفحص ملابسها وعينها التى تحمل حزن لم ينجح فى إطفاء إشراق وجهها الناصع

- أيوه أنا ... مين إنتى!

مدت يدها تصافحه محافظة على ابتسامتها الهادئة

- أنا دكتورة فاتن .. فاتن نجيب عبد الحافظ، بنت الدكتور نجيب عبد الحافظ إللى القسم استدعاك ياخد أقوالك بخصوص موته.

بدت آيات التفهم على وجه شريف يومئ برأسه يتمتم فى ضجر .. طب وكان إيه لازمتها الدخلة الأمريكانى دى، أومرينى أنا كل إللى أعرفه قلته فى المحضر.

بدا الأسف يتسرب لملامحها مما دفع شريف لاستعادة شيئًا من اللياقة:

- أنا أسف، البقية فى حياتك.

أومأت برأسها متفهمة وهى تغالب شحنة حزن تصاعدت لملامحها حاولت كبحها مستعيدة شيئًا من رباطة جأشها

- أسفة على الإزعاج يا أستاذ شريف لما وصلت من أمريكا إمبارح وجيت القسم سمعت عنك ودلوقتى وأنا داخله القسم قالولى إنك كنت هنا وشاورولى على عربيتك جيت جرى وراك .. أستاذ شريف والدى مستحيل يكون إنتحر، إنت أول واحد بتكلم معاه بعد ما عرفت نية ضابط الشرطة فى حفظ الملف.
- أنا مقدر شعورك يا دكتورة فاتن لكن أنا بجد ما أعرفش أى حاجة عنه وأول مرة أشوفه

ردت فى أسى:

- أستاذ شريف والدى كان أستاذ جامعى متخصص فى علم الفلك وكان ليه نظرياته وأبحاثه، ومش ممكن يكون كتب إسمك وعنوانك وكان عايز يبعتلك ملف إلا إذا كان فيه حاجة خطيرة عايز يقولهالك!.

ثم استطردت تغالب حزن تصاعد لروحها وعينيها:

- والدى كلمنى آخر مرة من أسبوع وكانت معنوياته كويسة جدًا، مستحيل ينتحر فجأة,,

توقفت عن الحديث عندما طالعها وجه شريف الشاحب وأعين بدا فيهما إرهاق بالغ:

أستاذ شريف إنت كويس!!

أغمض شريف عينه لحظة واحدة يغالب دوار سخيف راوده ثم هز رأسه آسفًا:

- أستاذة فاتن للمرة التانية أنا مقدر شعورك إنك فقدتى والدك ومش متقبلة إن وفاته كانت انتحار، أنا آسف جدًا على خسارتك لكن أنا مضطر أمشى لأنى من الصبح بره وتعبان جدًا

هَمَّ شريف أن يعود لسيارته التى ما زال محركها يعمل لكنها تداركته فى يأس بوريقة صغيرة

- دة تليفونى لو حسيت إن عندك استعداد نتكلم.. أرجوك كلمنى

وجد الخلاص فى أخذ الورقة التى دسها فى حافظته يومئ برأس تدور المشاهد من حولها يحيها فى عجالة ثم وبلا وعى انطلق بسيارته بسرعة مفاجأة غير مسؤولة أورثه إياها عقل غاب عنه المنطق وأطراف شبه متجمدة ووجه شاحب وشفتين كستهما زرقة الموت نفسه، ووسط نهر الشارع الرئيسى بدأ يترنح بالسيارة على نحو خطير يلاحقه نعيق تنبيه سيارات ثار سخط قائدوها ، فرك عينه وهز رأسه فى قوة لعله يزيل غشاوة بدأت تتراكم أمامه، تتراكم وتتراكم حتى تراخت مقلتيه ومال جسده مع المقود حادت معه السيارة عن الطريق وقفزت فوق الرصيف قبل أن تتوقف مصطدمة بعمود إنارة، بروية شبه منعدمة فتح باب السيارة وترجل منها لكن نهوضه المفاجئ أصابة بدوار مضاعف جعله ينحنى جوار السيارة مع رغبة كاسحة فى التقيؤ خضع لها سريعًا يفرغ ما فى أحشائه يتخلله الكثير من الدماء القاتمة بدأ المتفرجون عديمى الفائدة فى الاحتشاد، بأصابع متيبسة أخرج هاتفه يطلب آخر رقم تحدث إليه وما أن طالعه صوت عزت حتى تمتم بصوت غاية فى الإعياء

عزت .... شارع الهرم، قدام فندق أوروبا

تراخت أصابعه فسقط الهاتف من يده ثم مال بجسد فرغت بطارياته يسقط بجوار الهاتف الذى يتردد عبره صوت عزت فى قلق شديد.. ولكن شريف لم يكن هنا ليجيب.



الفصل (٥)

أجواء من السكون التام غَلَّفَت شقة المرحوم نجيب عبد الحافظ بحى الزمالك حتى مع وجود فاتن ابنته داخلها بعد أن انتهت السلطات من التحقيقات ونفت عن الشقة صفة مسرح جريمة فأعادتها للوريثة الوحيدة بعد أن خطت فى خانة سبب الوفاة كلمة (انتحار)، كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة بعد منتصف الليل بينما ظلت فاتن جالسة وحيدة داخل غرفة والدها خلف مكتبه العتيق، نفس المكان الذى وجدوه فيه حين وافته المنية مكتب منسق لا وجود للأوراق فوقه، عن يساره مكتبة ضخمة مكتظة بكتب ومجلدات، وعن يمينه طاولة تتعامد مع المكتب تراص فوقها حاسوب صغير جوار شاشته ماكينة آله كاتبة صغيرة.

تنهدت فاتن تفرغ حيرتها وأصابعها تسكن بين خصلات شعرها تسند جبهتها عل راحتيها تتصاعد لصدرها غصة مريرة شعرت معها بالغرفة تضيق من حولها وتطبق جدرانها على أنفاسها، فتحت النافذة التى تقبع خلف كرسى المكتب مباشرة تستجدى هواء الليل البارد تتطلع للحى الهادئ والشوارع الناعسة التى خلت من المارة، شاردة حائرة حزينة وحيدة، تنهدت ثم أغلقت النافذه تقى نفسها صفعات الهواء البارد جلست من جديد تمسك صورة قديمة تجمعها مع والدها ووالدتها كندية الجنسية منذ عدة سنوات تجتر زكريات المراهقة التى لاحت خيالاتها على ابتسامتها الحانية، كانت تنعم بدفء الأبوين والأمان وسطهما، حتى بعد وفاة والدتها وهى صغيرة بقى والدها يعوضها عن فقدها لأمها التى تحتل جزء صغير من ذكرياتها بينما يتصدر عقلها مشاهد والدها معها فى طفولتها و لعبها عند زجاج النوافذ أيام الشتاء حيث تكثف أبخرة فمها ومن ثم ترسم قلب وجواره تكتب (بابا)

تتذكر كيف كان يعلمها أمورًا تفوق سنها الصغير حتى اجتازت عقول أقرانها فى الدراسة بمراحل ملفتة، حتى بعد أن أكملت مراحل تعليمها



الجامعى فى مصر ثم سافرت تكمل دراسة علوم الفلك فى أمريكا، كانت تشعر بأن هناك قاعدة ترتكز حولها تدور فى فلكها، تسأله المشورة والنصيحة وتأمل أن تعود إليه فى نهاية العام تقضى معه إجازة الصيف، كانت تأمل أن تنهى دراستها لتعود فى كنفه، أما الآن.. شعرت داخلها بفراغ مظلم يشنق إرادتها وواجب يقتضى تبرئة ناصية والدها من وصفه بالمنتحر وتخليد ذكراه وسيرته، ما الذى لفت انتباهه فى الفترة الأخيرة جعله يتعمق فى البحث ويخفى عنها الأمر على نحو فقد حياته ثمنًا له!!، كان شعور وصم والدها بالموت منتحرًا يمزق نياط قلبها ويدفع الدماء فى عروقها حممًا يؤرقها ويثقل كاهلها فلا ذاقت لذة فى اليقظة ولا راحة فى السهاد.

راحت تعبث فى نموذج مصغر أمامها فوق سطح المكتب لأربعة أجرام سماوية مختلفة الأحجام خاص بوالدها باعتباره يعشق علم الفلك، ثلاثة أجرام سماوية على خط مستقيم، ثالثهم منحرف لأعلى ثم رابعهم أكبرهم حجمًا على نفس خط امتدادهم، كانت تعلم بحكم دراستها للفلك بدورها أن النموذج يمثل ثلاثية نجوم حزام الجبار أو برج الجوزاء، ثم الجرم الرابع الذى تشير إليه الثلاثية هو رابع اللمع جرم سماوى يمكن رؤيته من الأرض بعد الشمس والقمر وكوكب الزهرة، وهى (نجمة سايروس) السداسية أو (نجم الشعرى اليمانى) كما يسمونها العرب (*)

جابت الغرفة بالكامل لا تدرى عما تبحث تحديدًا.. كل الأوراق والأبحاث اختفت باستثناء أطنان الكتب هذه، ومع ذلك اعتبروا الأمر انتحار.. تبًا للشرطة.

غاصت فى محيط الكتب والمراجع الضخمة المتلاطمة، بعضها متعلق بالفلك وبعضها مستحدث لكتب فى التاريخ يضم الأعداد الكاملة لموسوعة (وصف مصر)، الخلافة الفاطمية.. الحضارة السومارية .. إذا ما عكف

---

* حقيقة فلكية

والدها على دراسة أمرٍ ما تسبب فى مقتله، فمن المؤكد أنه أدرك خطورة ذلك واحتفظ بشيءٍ فى مكانٍ ما.. شيء لا يستطيع أحد أن يتوصل إليه إلا من يثق به.. من غيرها سوف يتواجد فى الشقة إذا ما أصابه مكروه!! هو مكان يعلم يقينًا أنها سوف تعبث به إذا ما فقدته!! مكان سيدفعها الحنين والذكريات لمطالعة محتوياته.

بثت الفكرة لأوصالها شحنة كهربية فأضاءت لها مصباح بصيرتها

- صندوق ذكرياتى.

بنشاط مفاجئ دلفت غرفتها ووضعت كرسى أمام خزانة الملابس واعتلته تمسك بصندوق مستطيل فى حجم ذراع اليد، وضعته على السرير وعينها متعلقة فوقه بطبقة رقيقة من الأتربة دنستها أيدى عابث منذ وقت قريب للغاية، بَثَّ فى نفسها شيئًا من الأمل والحماس.

كصندوق بندورا فتحته فتصاعد من داخله عبق سنوات خلت ولحظات حية جمدتها عشرات الصور الفوتوغرافية تظهر فيها مع والدتها ووالدها فى مراحلها العمرية المختلفة، رابطة شعر حمراء على هيئة (فيونكة) طالما عقدت بها ضفيرتها، دمية صغيرة هدية من والدها، كتيبات تلوين لشخصيات ديزنى، دفترين مصفرى الأوراق طالما كتبت فيهما أشعارها القديمة مع بعض الرسومات التى كانت تخطها فى أوقات شرودها، تصفحت الدفتر فى بطء وملمس كل ورقة يحمل لها عبق ذكرى ترقرقت لها عينها، هَشَّت نفسها حنينًا لطفولتها فى كنف والديها حتى كادت تسقط فريسة بين أنياب الذكريات تنهش واقعها وتمزق قلبها لولا أن وقع بصرها على صفحة فى آخر الدفتر، قطبت جبينها فى دهشة ودققت النظر أكثر، هى لم تكتب تلك الرموز العجيبة بأى حال من الأحوال لأنها ببساطة لا تدرك معنى أيًا منها ناهيك عن كون الحبر المكتوب بها حديث جدًا، بعضها يشبه الرسومات وبعضها يشبه الحروف اللاتينية العتيقة، خفق



قلبها وهى تغلق الصندوق وتعود بضالتها تجلس خلف مكتب والدها فى حيرة تتحدث إلى نفسها:

- لو إنت إللى سيابلى الورقة دى يا دكتور نجيب ليه بتعذبنى بطلاسم ليه ما كتبتليش كلام واضح.

جالت ببصرها فى الورقة عدة مرات أدركت معها أنها لن تصل لأى شىء من معنى تلك الطلاسم إلا بعد الوصول لمفتاح حلها، ظلت تحدق فى الورقة كثيرًا فى صمت لا يعكس الصخب الذى يدور فى عقلها، عشرات الأفكار تتصارع وتتوالى لا يجد لها المنطق سبيلًا فيطرحها جانبًا ويبحث عن أخرى حتى أصابها السهاد وبعثر ما تبقى من تركيزها نهضت على أثره متوجهة لمطبخ أنيق تعد لنفسها قدحًا من القهوة المركزة تسللت رائحتها المنبهة لأنفها ثم نفذت لعقلها أنعشت خلاياه وأيقظت حواسها، عادت لحجرة المكتب تضع القهوة فوق سطحه ثم أمسكت بالورقة تقف بها خلف زجاج النافذة المغلق تتطلع لشوارع المنطقة الناعسة من جديد تلصق جبهتها على الزجاج البارد تسبل جفنيها فى حيرة وضيق تمنح نفسها لحظات استرخاء أبى عقلها أن يطيعها فيها فظلت الأفكار تلهبه، فتحت عينها تتناول قدح القهوة ترتشف منه رشفتان لكنها توقفت بغتة تتراجع برأسها للوراء تتطلع فى دهشة بالغة لشىء فوق زجاج النافذة، فيما يشبة حرف S بالإنجليزية قد كتبه أحدهم بإصبعه فوق الزجاج ثم تجلى مع بخار أنفاسها الحارة ، دفعت بمزيدًا من البخار ليتضح لها جزءًا من حرف مجاور.

بقلب متواثب أحضرت ورقة وقلما وكتبت الحرف S ثم عادت من جديد تدفع ببعضًا من أنفاسها الحارة فوق الزجاج ليتجلى لها مزيدًا من حروف إنجليزية بدت باهتة بعض الشىء فطلبت العون من قدح قهوتها العزيزة، قربته من النافذة ثم تركت أبخرته الأكثر سخونة تتكثف فوق الزجاج البارد، بدت مع تلك الطريقة الحروف أكثر وضوحًا فنقلت الأحرف فوق الورقة عن يمن ويسار حرف S وقلبها يخفق فى حنين لوالدها بينما عقلها

يسترجع ومضات من لعبتها المفضلة معه ، تخمين الأحرف والرسوم التى يخطها بإصبعه فوق الزجاج فى أيام الشتاء قارس البرودة، كانت تخمنها من حركة يده ثم تدفع ببخار فمها لتتأكد من الرسمة أو الحرف ثم تضحك وتصفق فى جذل طفولى، ثم تنال الجائزة عبارة عن قبلة حانية على جبينها وقطعة حلوى تلتهمها فى نهم.

عادت تجلس خلف المكتب قاصرة الطرف على حروف الكلمة فوق الوريقة ترتكز على المكتب بأحد مرفقيها تتخل أصابع يدها الثانية خصلات شعرها المتهدلة على جبينها تنفرج شفتاها فى تعجب تغمغم:

(key of Solomon) !!

***

(..... وقدرنا خلال الشهر ده نساعد ٥٠ دار أيتام ونوفى بمطالبهم وقدرنا نوطد ونعمق العلاقة بين أصحاب الديانات المختلفة على نطاق واسع وأهم إنجاز لينا خلال الشهر هو نجاح بعثة شبابنا لدول أوروبا إللى رجعت بعد ما شرفتنا هناك.. فى احتفالنا الأسبوعى تسمحولى أحيى حضوركم العريض أعضاء الجمعية الموقرين وأسيبكم تحتفلوا بإنجازاتكم)

نزلت تلك الفاتنة من فوق المسرح ثلاث درجات رخامية تسطع فى وجهها فلاشات الكاميرات من آنٍ لآخر والجميع يتابعونها ببصرهم يتفقدوا فى نهم ثوبها الأحمر الذى وصل لدرجة من الضيق بدا أنه سيتمزق فى أى لحظة، يجسد ثنايا أنوثتها المتفجرة، قصير للغاية حتى تخطى حدود المنطق ساهمت معه مساحيق مكياج صارخة فى جعلها أكثر إثارة تمشى تتهادى وسط الحاضرين بحذاء لا يقل كعبه عن عشرة سنتيمتر داخل أحد

الأندية الاجتماعية الشهيرة وسط أحد الأحياء الراقية تبتسم للحضور الجالسين من كبار رجال الأعمال والسلطة فى الدولة مع عائلاتهم الأعضاء فى الجمعية.

وصلت لطاولة فى نهاية القاعة يجلس عليها رجل منفرد يشعل سيجارًا يبتسم لها وهى تجلس بجواره، سحب نفسًا من سيجارته وأطلق أدخنتها فى الهواء قائلًا:

- متألقة دايمًا يا عفاف

ابتسمت عفاف فى ثقة:

- دة الطبيعى مستر (عدنان)، وإلا ما كنتوش إعتمدتوا عليا فى شغلكم.

هز رأسه فى امتنان ثم استطرد:

- صحيح يا عفاف.. تقلى العيار شوية من الأعمال الخيرية وقللى من نشاطنا الأساسى دلوقتى لأن وصلتلنا معلومات إن فيه ناس بتدور وراكم

- خليهم يدوروا مستر عدنان، فى الآخر المجتمع هيتهمهم بالجنون وفوبيا المؤامرة.

- عظيم أوى، بمناسبة الشغل ،عملتى إيه فى التصاريح !

أخرجت عفاف سيجارة من العلبة الخاصة بعدنان ووضعتها فى فمها فأخرج الرجل قداحته يشعلها لها، أخذت منها نفسًا وأطلقته فى الهواء وهى تضع ساقًا فوق الأخرى قائلة:

- عيب لما تسأل عفاف عملتى إيه.

ثم أشارت بيدها إشارة خفية للحاضرين مكملة: أنا فى جيبى نفوذ كتير أوى ومحدش يقدر يرفضلى طلب، ثم غمزت بعينها:

- زى ما إنت عارف.. كل واحد نفسه فى حاجة بجيبهاله.

أومأ عدنان برأسه متفهمًا وقد ارتسم على وجهه شبح ابتسامة ساخرة قائلًا:



- هيئة الآثار وافقت!

ابتسمت عفاف للعملية الشديدة التى يتسم بها ذلك الرجل، فأرادت إنهاء الأمر و أخرجت ورقة من حقيبة يدها وأعطتها له دون تعليق

فتح عدنان الورقة وعينه تلتهم نَص الموافقة

- هايل يا عفاف، عايزين الناس يومها تنبسط من غير قلق

- أومأت عفاف برأسها، هيحصل، لكن ليه اهتمامكم المرة دى أكتر من أى مرة

وضع عدنان الأوراق فى جيب معطفه وهو ينهض قائلًا:

- دورك بيقف لحد هنا يا عفاف، ثم أضاف: ويمكن قريب أوى تعرفى لوحدك.

شرع فى المغادرة لولا أن نادته عفاف قائلة فى عنج:

- مستر عدنان، مش عايز تجرب مع واحدة جديدة تربية إيدى هتعجبك

ضحك عدنان وهو يغادر قائلًا:

- الحاجات ده شيليها لاصحاب النفوذ بتوعك.. مش لينا.

ثم توقف ملتفتا لها مضيفًا فى جدية:

- ما تنسيش المأمور.. عايزينه معانا ضرورى!

لم يترك لها فرصة الرد أو التأكيد على المعلومة فقط وضع كفه داخل جيب معطفه وغادر فى خطوات وئيدة يستمتع بوقع كعب حذاءه المتثاقل فوق الأرضية الرخامية.



الفصل (٦)

ساد الوجوم والصمت غرفة العناية الفائقة بمستشفى الدكتور (عبد القادر رشيد) طبيب المخ والأعصاب إلا من صوت جهاز منظم ضربات القلب بتتابعه ورتابته المألوفة يبث بعض الطمأنينة فى قلبى دينا وعزت أثناء وقوفهما خلف زجاج سميك يتابعان شريف فاقد الوعى فوق فراش طبى متصل به العديد من الأجهزة الطبية المتراصة حوله بعد أن سقط فاقدًا للوعى وسط شارع الهرم.

مسحت دينا دمعة ساخنة انسابت على وجنتها وهى تتحدث لعزت فى صوت مبحوح ينم عن لوعه كبيرة:

- كان نازل كويس

أطرق عزت برأسه وهو يتنهد فى أسى:

- بسيطة إن شاء الله، دكتور عبد القادر عمله فحوصات ودلوقتى ييجى يطمنا.

ألصقت دينا جبهتها بزجاج نافذة غرفة العناية:

- أكيد من الضغط النفسى لما راح القسم

لم تكد تنهى عبارتها حتى التفتا معًا لوقع أقدام دكتور عبد القادر قادمًا من نهاية الرواق ممسكًا بعدة أوراق، رنت أعين دينا وعزت لوجه الطبيب علهم يطالعوا فيها آيات الاطمئنان والبشرى، لكن نظرة حيرة أطلت من عينيه زادتهم وجلًا وقلقًا، سارا خلفه حتى دلف ثلاثتهم لمكتبه ثم فض عدة صور لأشعات علقها فوق حائل مضىء يتنهد شارحًا:

- قوليلى يا مدام دينا، شريف اتعرض مؤخرًا لضغط عصبى أو نفسى أو اشتكى مؤخرًا مثلًا من سائل شفاف فيه شوية ملوحة بينزل من فتحات الأنف أو الأذن!!



- هو اتعرض فعلًا لشوية ضغوط النهاردة الصبح، لكن موضوع السائل ده ما حصلش قبل كده.. خير يا دكتور طمني!
- بصراحة يا بنتي أنا شاكك في شيء أتمنى يكون شكي في غير محله، عامة علشان نتأكد محتاجين شوية فحوصات تانية
- شاكك في إيه يا دكتور
- هشرحلك ببساطة.. السائل الشوكي داخل العمود الفقري وبين ثنايا المخ هو سائل شفاف بينظم ضغط المخ وبيمده بالجلوكوز والأكسجين ونسبته عند كل البشر بتتراوح بين ١٠٠ إلى ١٥٠ ملي لتر.

نسبة السائل عند شريف أقل من ٦٠ ملي لتر وده معناه إن السائل بيتسرب.. والأغرب إن لونه مايل للأزرق الفاتح وده كمان معناه إن فيه بكتيريا أو فيروس في السائل .

بدا الذعر في عين دينا ووجم عزت فتداركهم الطبيب سريعًا
- نقص السائل مفيش منه قلق أكيد حصل تسرب عن طريق فتحات الجسم نتيجة لزيادة ضغط المخ مع الضغط العصبي والنفسي، بشوية أدوية ومحاليل المخ بيفرز نسبه أكبر لحد ما تتظبط.. إنما نوع الفيرس إللي يخلي السائل أزرق ده إلى ما صادفتهاش قبل كده في كل حياتي المهنية.

غامت عيني دينا تسأله بشفاه مرتجفة:
والعمل يا دكتور !
- طبيب صديق ليا في إنجلترا بعتله بالفاكس صورة من الأشعات والفحوصات ولحد ما يرد عليا شريف هيمشي على



أدوية تحفز المخ يزيد من نسبة إفرازة للسائل الشوكى لحد ما يرجع لمعدله الطبيعى.

- طب وتأثير الفيروس ده ممكن يكون إيه بالضبط يا دكتور
- محتاجين الأول نعرف إيه هو الفيروس وفى نفس الوقت ما أقدرش أسحب عينة من السائل وهو قليل كده.

أطلت من عينى دينا الدامعتين نظرة تساؤل وهمت بإلقاء سؤال آخر للدكتور عبد القادر لولا طرقات على باب الغرفة دخلت بعدها إحدى الممرضات قائلة:

- المريض شريف خليل يا دكتور فاق.

كان عبد القادر أول من دخل الغرفة يقع بصره على شريف الممدد فوق الفراش ناعس العينين، لم يستطع عبد القادر منع دينا من الاندفاع نحوه تدنو من رأسه تنطق باسمه فى لوعة وأسى حتى شعرت بيده تحيط بكفها فى ضعف وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة دافئة مطمئنة، جذبها عبد القادر فى رفق ثم تفقد الأجهزة حوله التى استقرت مؤشراتها لانتظام الحالة، نظر إليه عبد القادر قائلًا:

- عارفنى يا شريف وعارف إللى واقفين دول!

مرت لحظة صمت وترقب ثم ابتسم شريف ابتسامة شاحبة وهو يفتح عينه قائلًا بصوت بدا مشوبًا بإرهاقٍ واضح:

- أنا بقيت كويس يا دكتور عبد القادر، ثم التفت لدينا وعزت مضيفًا، المهم إنتوا عاملين إيه.

ابتسم عبد القادر وبلهجة مطمئنة يتقنها جيدًا مع مرضاه:

- ما تقلقش يا بطل إنت زى الفل حمدلله على سلامتك.. ثم غادر الغرفة أعقبه عزت بعد أن ربت على كتف شريف برفق تاركين الغرفة لـ(دينا) التى دنت من الفراش تحتضن يد زوجها وتهمس له بصوت مبحوح من البكاء.
- روحت فين وسيبتنى.



مد شريف يده يتلمس وجهها هامسًا:
ما غيبتيش عن عينى لحظة، كنت شايفك وحاسس بكل حاجة، إزاى مش عارف، كنت شايف عزت وهو بيجيبنى المستشفى، كنت شايفك وإنتى عايزة تدخلى ومنعوكى، كنت شايفكم وإنتوا واقفين ورا الإزاز وإنتى بتبكى طول الوقت.
ابتسمت دينا فى دهشة:
تقصد كنت سامعنا أو حاسس بينا لأنك كنت مغمض طول الوقت
مط شريف شفتيه فى حيرة: كنت شايفكم! كأنى واقف جنبكم وإنتوا بتتكلموا لكن من غير ما تحسوا بيا، والأغرب إنى كنت شايف نفسى نايم مكانى دلوقتى كده.
أطلت الحيرة من عينى دينا تتابع كلمات شريف: حاسس بصداع فظيع، تلعثم قليلًا وبدا عليه التشتت والارتباك فمسحت دينا بيدها على رأسه فى ود متبوع بابتسامة جعلتها مطمئنة قدر الإمكان لا تشى بمقدار ما يعتمل فى نفسها من قلق تصاعد لعينها احتشد أمامها غشاء رقيق من الدموع:
- ده تأثير التعب يا شريف، هانده الدكتور عبد القادر يطمنك بنفسه.
أشاحت بوجهها تخرج من الغرفة تخفى احمرار عينها ومرارة تصاعدت لحلقها تنهد شريف فى ضيق من يعلم شعور زوجته, ثم لحظات ودخلت الممرضة للحجرة تقوم تقوم بتبديل المحاليل المعلقة لشريف قبل نفادها، استسلم لها شريف يحاول تفسير ذلك الشعور بالتشتت والخواء كأنبوب أجوف، ثلاث طرقات أخرجته من شروده يتابع فى دهشة بالغة (حسين) صديقه فى المحاضرات يدخل للغرفة مبتسمًا متأنق كعادته عينه نافذة لا تختلج:
- عامل إيه دلوقتى يا أستاذ شريف.
ابتسم شريف فى دهشة كبيرة قائلًا:
- حسين!!

- حسيت بعد المحاضرة إنك مدروخ شوية، حاولت أتصل لكن قلقت أكتر لما لقيتك ما بتردش.

جذب حسين مقعدًا من ركن الغرفة وجلس جوار فراش شريف الطبى متطلعًا لوجهه فى ثبات أثار ريبة شريف وكأنه يحلم

- لكن عرفت إزاى إنى هنا!!
- بسيطة إللى يسال ما يتوهش، مش بتقولوها كده

كرر كلمته من جديد مؤكدًا:

- مش ببتقولوها كده .. إللى يسأل ما يتوهش

أثار تكرار العبارة عقل شريف فآثر الصمت يتابع حسين وهو يدنو منه يسأل أمرًا غريبًا للغاية:

- بتحب دينا مراتك!

قطب شريف جبينه فى دهشة بالغة مقترنة برغبة عدائية تجاه حسين ممتزجة بتوجس:

- وإنت إيه دخلك فى أمور زى دى!!

ابتسم حسين على نحو مستفز وهو ينهض عاقدًا ذراعية خلف ظهره يدور حول فراش شريف:

- ليه كدة دا أنا لولا إنى بحبك كان زمانك فى خبر كان.. بص هفترض إنك بتحبها.. وعلشان كده حاول تبعدها عنك على قد ما تقدر وتبعد أى حد قريب منك .. وده لمصلحتهم.. لأن إللى جاى خطير أوى عليهم.

اعتدل شريف وقد بلغ منه الانفعال مبلغه قائلًا فى غضب:

- إنت مجنون، إيه إللى بتقوله ده، إتفضل إطلع بره

أسبل حسين جفنيه فى ضجر ثم فتحهما قائلًا:

- بص يا شريف، أنا علشان بعزك همنع عنك الأذى إنما معارفك وإللى حواليك مش هقدر أعملهم حاجة، فحاول تسمع الكلام، وإلا.. هنا توهم شريف أن أعين حسين قد



تبدلت للون الأحمر القانى ثم عادت لطبيعتها وهو يضيف بصوت عميق..

هتشوف الوش التانى



الفصل (٧)

(مفتاح سليمان العظيم) !

غمغمت فاتن بهذ العبارة تحدق فى حروفها المخطوطة على الورقة أمامها وقد تولد لديها شعور غريب بأنها تسير فى درب متشابك ومتصل لكنه معتم ينتظر من يهتك ستر ظلمته بضياء المعرفة ، دارت بمقعد مكتب والدها عن يمينها لملحق صغير بالمكتب قبع فوقه حاسوبها المحمول المتصل بالإنترنت وضغطت زر فتحه وانتظرت فى ملل، وفوق مستطيل محرك البحث جوجل كتبت كلمة سولومون بالانجليزية والعربية فتزاحمت نتائج البحث فاختارت أبرزها ***(the greater key of Solomon)*** مخطوطة مفتاح سليمان العظيم.

الاسم وحده أثار ارتجافة زحفت على عمودها الفقرى، اعتقدت فى البداية أن سببها رهبة الاسم إلا أنها تلفتت حولها فى دهشة فالمكان أصبح باردًا بالفعل مررت كف يدها على كتفها فى محاولة لبث الدفء فى أوصالها ثم دخلت لأحد مواقع نتائج البحث وقرأت محتواه بصوت منخفض.

- **(الكتاب من أهم مخطوطات الطلاسم النورانية، يضم العديد من وسائل دحر الشياطين، وأبواب دخولهم، كما تضم صفحاته جدول شهير يحتوى على قائمة بحروف الأبجدية العبرية الـ ٢٢ وكل حرف يقابله أربعة رموز ينتمى كل واحد منهم إلى عهد ومستوى روحانى مختلف تتمثل فى:**

أبجدية السحر

أبجدية الخط العلوى للشر

كتابة الملائكة

عبور النهر

يقال أن النبى سليمان ذاته هو من كتب هذا الكتاب حيث وجدوه فى قبر ابنه.. ويقال أيضًا أنه دسيس عليهم من شياطين الجن لإلصاقه بهم، لكن لا أحد يعلم حتى الآن حقيقته)

صمتت فاتن قليلًا تترك وقتًا لعقلها ليمتص تلك المعلومات ويجد لها مكانًا مناسبًا داخل تلافيف عقلها، نقرت بأصابعها فوق سطح المكتب ثم نهضت لمكتبة والدها تفتش بين المجلدات عن شيء متعلق بالأمر بعد أن ثبت يقينًا لديها أن الأمور اتخذت منحنى مخيف متعلق بكتب سحر عتيقه، ندت حركة خافته فى الخارج شحذت لها حواسها فتوقفت عن البحث وخرجت فى حذر تتفقد أرجاء الشقة دون أن تجد ما يريب، رجعت للغرفة تعاود البحث بين المجلدات ثم توقفت واتجهت لجانب يحوى كتب تاريخية، آخر ما اقتناه والدها حتى وقع بصرها على لفافة مغلفة بقماش أحمر من القطيفة معقودة بشريطة قماشية تناولتها من بين المجلدات فى توجس تقلبها فى يدها ثم سحبت الشريط الذى يعقدها فانحلت اللفافة تكشف داخلها عن ورقة حديثة الخامة فردتها فى ترقب فوجدتها عبارة عن صورة ضوئية لدوائر ضخمة بدا واضحًا من الخط الأسود الذى يتوسطها أنها كانت تحتل صفحتين متقابلتين فى الكتاب الأصلى، كانت عبارة عن أربعة دوائر تحتوى كل منها على الأخرى، ثم حوالى إحدى عشر خطًا مستقيمًا يقطعوا الدوائر ويشكلوا أقطارًا لها لتتكون ٢٢ خانة صغيرة داخل كل مربع مكتوب داخله رمز عجيب اقشعر لها بدنها، أمسكت بورقة والدها تقربها من ورقة الجدول تقارن بين هذه الطلاسم وتلك، هنا خفق قلبها عندما لمحت رمزًا له مثيل فى ورقة والدها، ثم لمحت آخر ثم آخر، توالت الرموز المتشابهة وكأنها تضيء داخل الجدول تكشف عن نفسها تحتشد جميعها داخل دائرة بعينها اشتعلت لها حماستها وشعرت بالجدية والخطورة.



(كتابة الملائكة).. هكذا كان عنوان الدائرة التى تصطف داخلها رموز رسالة والدها، كان للاسم وقع مطمئن فى نفسها مع كل تلك الرموز التى تذكرها بكتب السحرة القدامى بما يحويه من طلاسم ورسومات تثير الريبة فى نفسها، أحضرت ورقة وقلمًا، وبحثت عن أول رمز فى رسالة والدها وما يقابله بالعبرية ودونت ترجمته بالعبرية على الورقة البيضاء، ثم ثانى وثالث..... لم تكن تتقن العبرية لذا فبعد أن كونت جملتين صغيرتين فتحت قاموسًا على حاسوبها المحمول ونقلت الجملة الأولى

لحظة واحدة وظهرت الترجمة **(فاتن العزيزة قبل أى شىء نفذى طقوس التحصين.....)** خفق قلبها بشدة.. كانت أول كلمة فى الرسالة هى اسمها، مزيج عجيب من الرهبة والحنين انتابتها.. بالفعل كان يعلم أنها أول من سيجد الرسالة، كونها على حق حتى الآن يفزعها بشدة، لكن ما هى طقوس التحصين، هل هناك لفائف أخرى على الأرفف لم تراها

تذبذبت الإضاءة لحظة جعلتها تتصلب وتنظر للمصباح ثم تعاود فى عجالة وقلق بالغ نقل العبارة الثانية، لحظات وطالعتها الترجمة.

(حى الجمالية تخليد لذكرى بطل، البداية من هناك والتذكار هو.......)

رغم ترجمة الرموز لكلمات عربية إلا أنها ظلت بلا مغزى، دونت العبارة الثانية فى ورقتها ثم شرعت فى تكمله الترجمة قبل أن تدرك أن الارتجافة التى غزت جسدها ليس الخوف فقط إنما لاحظت تصلب أطراف أصابعها وقد تخضبت بلون أزرق باهت نتيجة لبرودة قارصة زحفت عليها واعترت جسدها بالكامل الشتاء هذا العام قارص البرودة ولكن ليس بهذه الدرجة، ثم من أين ياتى ذلك الهواء البارد عبر نافذة مغلقة!

وكأن جدران الغرفة انزاحت لتتيح المجال لتيار هواء بارد قوى للغاية يجتاح الغرفة على نحو غير طبيعى بالمرة طارت معه الأوراق من فوق المكتب وكأنها تفر بروحها من بطش عدو خفى ومعها خصلات شعرها تغشى عينيها، انتفضت ناهضة من خلف المكتب تدور بعينها فى ترقب

وخفقات قلبها تتسارع عندما سمعت شخصًا ما يهمس لها بكلمات غير مفهومة، ارتفع صوت الهمس من حولها تدريجيًا حتى بات وكأن هناك ألف شخص معها بالغرفة يتحدثون همسًا في وقت واحد، مع الكثير من حرف (السين) يحرق طبلة أذنها ويثير جنونها، وضعت يدها على أذنها وقد بلغ منها الهلع مبلغة تدور برأسها في جميع اتجاهات الغرفة في هستيريا تشاهد جميع الأوراق بالغرفة تتطاير وكأنها في مهب رياح عاتية، اندفعت تجاه باب الغرفة تشرع في الفرار من المجهول لتتوقف بغتة تتطلع لباب الغرفة الذى انغلق بفعل تيار الهواء أو أن يدًا خفية أغلقته، ثم شعرت بدفعة لم تر مصدرها تلقى بها لآخر الغرفة تضرب برأسها الجدار في عنف سالت له الدماء من جرح نبت في جبينها تأوهت منه في ألم فاق ألم أذنها من ارتفاع صوت الهمسات داخله.

كانت تتوقع أن تسقط بعد تلك الصدمة لكنها وبنفس القوة ظلت ملتصقة بالحائط، حاولت أن تصرخ فأبى صوتها أن يطيعها، فقط صدرها يعلو ويهبط مع تردد أنفاسها والدماء المنسابة من رأسها بدأت تغشى عينها وشحوب وجهها ينبئ بوعى يتسرب تدريجيًا ولكنها كانت واعية بما يكفى لتشاهد في أحد أركان الغرفة نيرانًا شَبَّت ذاتيًا في صفحة سولومون ورسالة والدها المطلسمة.

لم تكن تعلم هل ما تراه حقيقى أم أنها كانت تهذى إثر صدمة رأسها فقد روت بعد نجاتها من ذلك الحادث بفضل الجيران أنها شاهدت النيران تتراقص وتتشكل وكأنها شخص يتلوى ويستعر في النيران أو أنه هو النيران ذاتها، قبل أن تتركها تلك القوى الخفية أرضًا في عنف تسرب معه آخر إدراكها لتسقط داخل هاويه في قاع بحر مظلم لا قرار له.

***



تجمد شريف فى فراشه الطبى بعد أن أورثه مشهد عينى حسين خوفًا شديدًا التفت على إثره للمرضة التى كان قد نسى وجودها يناشدها طرد حسين من الغرفة فوجدها متصلبة خاوية نظراتها مازالت على وضعيتها وكأنها تمثال من الشمع، لحظات وتحركت الممرضة وكأن التمثال دبت فيه الروح تكمل تعليق المحلول وكأن شيئًا لم يحدث ثم استدارت تغادر الغرفة التى بحث شريف داخلها عن أى أثر لحسين دون جدوى.

طرقات على باب الغرفة ثم دلفت دينا لتصطدم بشريف يجلس فوق فراشه شاحب الوجه بنظرة خاوية يحدق للفراغ

- شريف مالك.

لم تصادف الكلمة شيئًا من وعى شريف فخطت فى ذعر تضع يدها على كتفه تكرر كلمتها، نظر إليها فى شرود زاد من هلعها تعيد سؤالها الذى لم يصادف إجابة، نظر إليها فى نظرة جمعت بين قلق وخوف وضياع، ثم انفرجت شفتيه مغمغمًا:

- دينا.. زميلى إللى خرج دلوقتى كان فيه أى حاجة تقلق!

أطلت نظرة متسائلة من عينى دينا وفى رأسها تتداعى أفكارًا متشككة فى قوى شريف العقلية جعلت وجهها يمتقع تجيبه فى تردد:

- زميلك مين يا شريف.. أنا كنت واقفه قدام الباب مع دكتور عبد القادر ومحدش دخل غير الممرضة

دارت عينيه فى محجريها على نحوٍ ارتجفت له شفتا دينا تتراجع تجاه باب الغرفة مرة أخرى وتهرول للخارج لحظات عادت بعدها مع الدكتور عبد القادر وخلفه عزت والأول يدنو من شريف وقلبه يحدثه بدنو كارثة عقلية لشريف، تفحص مؤشرات الأجهزة المتصلة به سريعًا ثم توقف لحظات أمام جهاز خفقات القلب المتسارع للغاية على نحو لا يستقيم مع حالة شريف التى يراها عليه.

عاد إلى شريف وسط نظرات ترقب وقلق من عزت ودينا وسأله:

- شريف حاسس بإيه؟

أجابة شريف فى ارتباك وثقة مهتزئة:

- حسين إللى كان هنا.. هددنى و..

ثم حانت منه التفاتة إلى دينا التى تقف جزعة ثم عاد للطبيب مكملًا، عينيه كانت..... صمت لحظات وكأنه لا يجد التعبير المناسب فبدا مشتت الفكر والجوارح.

تعلقت به أعين الجميع فى حسرة شديدة، حاول الطبيب طمأنته قائلًا:

- وارد تكون نمت وحلمت يا شريف لأن محدش خرج ولا دخل الأوضة غير الممرضة

ارتمت دينا على شريف تقاوم دمعة تجاهد لتسقط تقول بصوت متهدج:

- شريف حصلك إيه!!

أحاط شريف أكتافها بذراعيه هامسًا:

- مش عارف يا دينا، أنا مليش غيرك فى الكون ده كله.

حطمت كلماته حاجز مقاومتها الذى انهار كسد يحجز مياة نهر اندفعت كفيضان كاسح من الدموع ينساب من عينها تدفن وجهها فى صدره.. وأنا مليش غيرك.

حاول عبد القادر طرح تفسير يزيح عن كاهل شريف وطأة كون عقله ليس على ما يرام

- ساعات بننام واحنا قاعدين لحظة واحدة بنشوف حلم سريع أوى وبنصحى بنفتكر إننا شوفنا الحلم ده وإحنا قاعدين وصاحيين، أكيد إنت نمت لحظة يا شريف وحلمت بكده.

رغم غرابة ما يقوله الدكتور عبد القادر إلا أنه لاقى رضا وراحة فى نفس دينا، فمالت عليه قائلة:

هو هددك بإيه فى الحلم بقى.



مط شريف شفتيه فى لهجة جعلها قدر الإمكان مقنعة.. ما تشغليش بالك يا دينا واضح إنى كنت بحلم فعلًا، لكن أنا حاسس إنى بقيت كويس خلاص وعايز أخرج يا دكتور.. مش عايز أقعد فى المستشفى .

استنكرت دينا الأمر مطالبة إياه بالانتظار إلا أن الدكتور عبد القادر قاطعها:

- مادام دى رغبته مفيش مانع لو هتوفروله شوية عناية وإرشادات يطبقها بالضبط مع أدوية هكتبهاله.. يومين بس وهيجيلى تقرير كامل من إنجلترا يطمنا على صحته إن شاء الله.

سألته دينا فى قلق: طب الأعراض دى ممكن ترجعله تانى يا دكتور

- ممكن يحس بشوية صداع بسيط وزغللة لكن بتروح تدريجى مع الأدوية.

ابتسم شريف لدينا قائلًا:

- مش قولتلك إنى بقيت كويس، إندهيلى عزت بقى علشان أقوم.

نهض شريف يرتدى ملابسه التى أحضرتها الممرضة له بمعاونة دينا فى شرود أعزته الأخيرة لتأثير العقاقير، وبينما الممرضة توليه ظهرها تعيد ترتيب الفراش وتستبدل الملاءات تطلع إليها شريف فى توجس وريبة يسترج تجمدها جواره منذ قليل وقت دخول حسين، هل اختلط عليه الحلم والواقع على هذا النحو، تنهد فى حزن ونفسه تحدثه أن مرحله الجنون عنه ليست ببعيدة ارتدى ملابسه بمعاونة دينا ثم خطا تجاه باب الغرفة إلا أنه توقف لحظة يتطلع لكرسى صغير يقبع قرب الفراش الطبى، كرسى كان عند أحد أركان الغرفة قبل ذلك الحلم ثم أصبح بجوار فراشه مباشرة.



الفصل (٨)

بعد منتصف الليل داخل شقة شريف جلس خلف مكتبه يحاول عبثًا تدوين ملاحظات عن محاضرة اليوم لكن عقله المشوش لم يحتمل من التركيز سوى دقائق قبل أن ينهار مطالبًا بحقه الشرعى فى الراحة، مد يده لكوب ماء أمامه وعينه مازالت تتجول فى الورق سريعًا، لم تصل يديه للكوب فألقى نظرة سريعة يحدد بها موضعه ثم مد يده يلتقطه وهو يعاود النظر فى الأوراق، إلا أنه رفع وجهه من جديد فى اقتضاب عندما لم يلتقط الكوب وكأنه مجرد صورة، أجفل وتراجع على مقعده ثم عاود المحاولة لتعبر يده الكوب من جديد، نظر إلى يده فى هلع ثم مد يده يلتقط القلم ليصطدم بنفس النتيجة التى ارتفع لها معدل تنفسه ثم نهض يقترب من مرآة الغرفة فى تردد، لتطالعه المرآة تعكس صورة جميع محتويات الغرفة باستثناء أهم شىء، انعكاس صورته هو شخصيًا، تراجع وصدره يعلو ويهبط يحدق فى الانعكاس الخالى من صورته ثم نبت من العدم خلفه مباشرة نفس المجهول الملثم الذى يراه فى أحلامه ..

استيقظ منتفضًا من أمام مكتبه حتى كاد يسقط مع كرسيه يتلفت حوله ليجد أنه قد غفا فوق المكتب، كان كابوسًا مريعًا دقيق التفاصيل على نحو نظر معه لكوب الماء أمامه للحظات قبل أن يمد إليه أصابع مرتجفة يتلمسها بأنامله ثم راح يعتصرها بيده وكأنه يتمتع بماديته، تجرع دفعة ماء منها ثم نهض يطالع صورته فى المرآة بارتياح ثم توجه لغرفة نومة يتدثر بالأغطية جوار دينا يغط فى نوم عميق لوقت لا يدرى كم دام إلى أن تسلل إلى اذنه صوت دقات متتابعة استيقظت لها حواسه وتنبه لها عقله الذى مازال يعانى من التشوش وعدم اكتمال اتزانه، فتح عينين يغشاهما النعاس يمد يده يضىء المصباح خافت الإضاءة متطلعًا للفراش الخالى جواره، رفع رأسه يبحث ببصره عن دينا داخل الغرفة الخالية بدورها بينما صوت



الطرقات المنتظمة مازال يلح بالخارج وبنفس التتابع والرتابة المثيرة للأعصاب، نَحّى الغطاء جانبًا وجلس بجسد متداعى فوق الفراش.

- دينا إنتى بتعملى إيه عندك!!

لم يجبه سوى استمرار الطرقات المنتظمة مما دعاه للخروج مترنحًا للردهة الخارجية يكرر نداءه

- دينا انتى بتـ.......

بتر عبارته يحدق فى دينا التى تقف بملابس نومها أمام النافذة تصدم رأسها فى الزجاج المغلق على نحو منتظم وكأنها منومة مغناطيسيًا.

بصوت ناجم عن أحبال صوتية متقلصة ناداها شريف وهو يقترب منها فى وجل، دون أن تجيبه أو تتوقف عن صدم رأسها فى الزجاج، وصل إليها ثم وضع راحة يده على جبهتها التى امتقعت باللون الأحمر نتيجة للصدمات المتكررة، بأصابع مرتجفة جذبها شريف من يدها ،تحركت معه بأعين زائغة وبلا وعى حتى أوصلها للسرير وقد شارف قلبه على الانفطار هلعًا ووجلًا، تركها لحظة واحدة على الفراش لتعاود صدم رأسها بنفس التتابع فى حافة السرير الخشبية، بقلب منفطر أبعدها شريف مرة أخرى عن الحافة الخشبية فوقع بصره على خدوش طولية رفيعة وكدمات صغيرة زرقاء كست ذراعها وعنقها مع احمرار فى عينها اختلج له قلب شريف فأخذ يصك وجهها ويهزها برفق مناديًا اسمها بصوتٍ ملتاعٍ يحثها على الخروج من حالتها التى لا يدرى ماهيتها، شهقت بغتة وتقلصت ملامحها وتقوس ظهرها وتحشرج صوتها بصوت أنين خشن نابع من حنجرة لا تمت لها بصلة، أحاطها شريف بذراعيه وكأنه يحميها من خطر مجهول يهتف بها فى لوعة وصوت متهدج

- دينا حصلك إيه! ردى عليا

شهقت مرة أخرى ثم خرج صوتها متحشرجًا بالكاد يسمع

- شريف ما تسيبنيش.

تراجع شريف بوجهه لتقع عينه على وجهها الذى احتقن كثيرًا ونفرت منه شرايينها تخط خطوطًا زرقاء فى وجهها وقد احتقنت فى عينيها شعيراتها الدموية، أجفل شريف ووهن صوته من هول ما يرى، بأصابع مرتجفة أمسك الهاتف وشرع فى طلب رقم الدكتور عبد القادر جاره، كان ذلك هو ما خطر بباله وقتها أنه مجرد مرض ما أصابها، لكنها لم تمهله الوقت لإتمام الاتصال عندما نهضت بغتة وأطاحت بالهاتف من يده ثم دفعته فى صدره بقوة غريبة تراجع لها شريف عدة خطوات ثم تعثر بقطعة أثاث وسقط معها أرضًا بينما نهضت هى بأعين تفجرت فيهما الشعيرات الدموية وسالت الدماء من عينيها الساهمتين متوجهة ناحية نافذة الغرفة فى خطى بطيئة تفتحها ثم اعتلت مقعد التسريحة الصغير ووضعت إحدى أقدامها على الحافة تتطلع للشارع بأعين زجاجية، ألهب المشهد عقل شريف فهب واقفًا فى لوعة يهرول تجاهها ثم أحاط يديه حول خصرها ودفعها ليسقطا معًا أرضًا.

- دينا فووقى، فوووقى.

أطلقت زمجرة خشنة وهى تنفلت من يده فى بساطة ثم توجهت للنافذة من جديد وجلست فوق حافة النافذة، جاهد شريف ليقف من جديد لكنه كان متأخرًا للغاية عندما التفتت تنظر إليه بنظرة مشفقة قائلة بصوت مختنق:

- ما تسيبنيش!!

ثم قفزت من النافذة دون أدنى تردد، وصل شريف للنافذة فى اللحظة التى سقطت فيها فوق سقف أحد السيارات المتوقفة أسفل النافذة بعنف حطمت معه سقف السيارة وأطلقت جهاز الإنذار ثم تدحرجت أرضًا دون حراك.



الفصل (٩)

بعد أسبوع...

أجواء مثلجة غائمة تلبدت بها السماء تنذر بهطول أمطار فى أى لحظة مع ذلك الشعور العام بالكآبة والحزن المتخلف عن فقدان رؤية ضوء الشمس على مدار اليوم سار طلبة جامعة القاهرة فى وجوم منكمشين على أنفسهم ينفثون الأبخرة الحارة من أفواههم، ومن بينهم شقت فاتن طريقها بخطوات واسعة تثير انتباه الجميع بنمط ملابسها من الجينز والسترة الجلدية السوداء والحقيبة الأمريكية الصغيرة (waist bag) ماركة (هيرشل) حول كتفها الأيمن مع ملامحها الغربية كنتاج طبيعى لوالدتها الراحلة كندية الأصل، فشلت خصلات شعرها فى إخفاء ضمادة صغيرة فوق جبينها تبقت من آثار تلقيها علاج دام لمدة أسبوع بعد أن نجت بفضل بعض الجيران الذين رأوا النيران من النافذة المطلة على الشارع فور اشتعالها، أبلغوا حارس العقار وبعد دفعتين من كتفه انهار الباب ووجدوها مغشيًا عليها والنيران بدأت تخبو بعد أن التهمت الأوراق دون غيرها بدقة مريبة.

لم يورثها ما مرت به يومها إلا مزيدًا من العناد والتحدى فى مواجهة قوة تسعى لطمس أى دلالات أو تصفية أى شخص دنا من حقيقة ما بدا واضحًا أن جهلها بها هو سبب نجاتها حتى الآن، لكنها سيطرت على خوفها سريعًا بقوة وصلابة والدها أورثتها طاقة إضافية بتطوير بحثها والتقاط طرف جديد.

تجولت ببصرها فى الأرجاء تجتر ذكريات بعيده وقت صباها عندما كان يصطحبها والدها للجامعة، كم تشتاق إليه، لصوته الرصين، لنصائحه الصائبة، لم تكن تريد الابتعاد عنه لكنه أصَرَّ على إكمال دراستها بالخارج بنفس المجال الذى استهواها بتمهيد منه لكن عبث الأقدار كان سريعًا، هى

تعلم أن التدخين أورث والدها رئتين متهالكتين وقلب يتلاعب به، لكن ليس للحد الذى يقتله ويسرق أوراقه وأبحاثه ثم يحرق رسالته لها، قلب مريض لا يستطيع القيام بكل هذا.

نحت خواطرها جانبًا عندما اختلطت عليها أشكال البنايات التى زارتها يومًا منذ عدة سنوات فتوجهت لفرد أمن يقف أمام مبنى داخلى، سألته عن كلية العلوم فدلها وظل يتابع خطواتها الرشيقة حتى ولجت من بوابة صغيرة لمبنى كلية العلوم، عاملة النظافة البدينة لابد أنها تعلم كل صغيرة وكبيرة هنا:

- لو سمحتى مكتب الدكتور عبد السلام الزغبى فين

أشارت العاملة البدينة لأعلى فى خمول:

- الدور إللى جاى تانى مكتب على اليمين

طاقة سلبية يبثها هؤلاء الخمولين!

أمام عدة غرف بالطابق الثانى توقفت ببصرها عند غرفة تحمل اسم الدكتور عبد السلام الزغبى.. الدكتور عبد السلام موجود!!

- أيوه.. نقوله مين.. قوله فاتن نجيب عبد الحافظ

لم تمض لحظات حتى خرج العامل يشير إليها بالدخول لغرفة صغيرة نظيفة ومنسقة فى عناية يقع مكتب صغير على الجانب الأيمن منها ينهض من خلفة رجل بدين متوسط الطول يرتدى عوينات صغيرة لا تتناسب مع حجم وجهه الضخم الذى ارتسمت عليه ابتسامة مرحبًا فى سعادة حقيقية:

- ما شاء الله إنتى بنت الدكتور نجيب عبد الحافظ

صافحته فاتن بابتسامة:

أيوه بالضبط

- إتفضلى يا بنتى ده المرحوم كان عشرة عمر
- ما أنا عارفة يا دكتور علشان كده جيتلك

حمدلله على سلامتك يا بنتى المرحوم كان دايمًا يكلمنى عنك، كان فخور أوى بيكى وكان نفسه يشوفك حاجة كبيرة.

هزت رأسها موافقة ثم صمتت فاتن لحظات تغالب مشاعرها ثم قامت بسؤال مزدوج اختصرت به مقدمات طويلة:

- أنا جايالك علشان كده يا دكتور، إنت طبعًا عارف الدكتور نجيب وتدينه وطموحه فى العلم بعقليته الفذة إللى مستحيل معاهم إنه ينتحر كده.

- طبعًا يا بنتى الله يرحمه كان عبقرى، أنا تحت أمرك لكن أقدر أساعدك إزاى

مرت لحظة تفكير على فاتن:

- عايزة أعرف اهتمامات بابا فى الأيام الأخيرة ما كانش بيقولك حاجة أو يحكيلك على حاجة

شرد دكتور عبد السلام ببصرة وهو يتنهد قائلًا:

- سفر والدك لحضور مؤتمر علمى من كام سنة أعتقد إن ده كان بداية غرابة اهتماماته، لكنه برضو كان طبيعى وعايش حياته عادى جدًا،كل التغيير إللى حصله إنه أضاف التاريخ المعاصر لقائمة اهتماماته

- طب فى الأيام إللى فاتت لما كان بييجى الجامعة كان بيتكلم مع حد معين!

تطلع عبد السلام لحظات لوجهها بنظرة شفقة تحمل شيئًا من الحزن قائلًا فى خفوت وكأنه يخشى أن تسمعه:

- إنتى ما تعرفيش يا بنتى إنه كان واخد أجازة بدون مرتب من الجامعة بقاله ست شهور.

بهتت فاتن من الإجابة وأطلت من عينها الزرقاء نظرة تساؤل أومأ لها عبد السلام برأسه فى تفهم جهلها بالأمر:

- من ست شهور قالى كلام عادى وتصورت إنه بحث جديد فما إهتميتش أوى بالذات إنه كان الكلام مبهم، وهو ما كانش عايز يوضح، قالى وقتها إن شخصيات وأحداث تاريخية حصلت مرتبطة بأمور فلكية واللى يفهم أحداث تاريخية معينة ويربطها بالفلك هيكتشف سر كبير أوى، تنهد عبد السلام ثم أردف، عرفت بعدها إنه إعتزل كل حاجة وبدأ دراسة حقبة تاريخية معينة من تاريخ مصر المعاصر.

امتقع وجه فاتن لتلك الحقائق التى تسمعها للمرة الأولى عن والدها بينما كان طوال الوقت يهاتفها فى أمريكا يطمئن عليها ويطمئنها عليه يبلغها أن الأمور تسير على خير ما يرام لم تتصور يومًا أن الأمور آلت مع والدها لهذ الحد، أحزنها كثيرًا معاناته وحفظه لسرٍّ ما بمفرده يثقل كاهله متحملًا عبء الظهور بمظهره الطبيعى:

- وكان عايز يوصل لإيه فى التاريخ والفلك.

هز رأسه نافيًا:

- حاولت أعرف منه لكنه كان مضطرب أوى كل إللى قاله إنه لما يجمع فى إيده كل الخيوط هيفهمنى

راقب وجوم فاتن وقلقها البالغ المرتسم على صفحة وجهها البيضاء مما أثار شفقته فقال لها بود بالغ.

- اتصلت بيه كتير يا بنتى وحاولت أوصل له لكنه انعزل عن كل حاجة، وللأسف كانت دى آخر حاجة عرفتها منه لحد ما جالى خبر وفاته.

كادت فاتن أن تروى له ما مرت به ولكن عين عبد السلام الصادقتين أكدت لها أنه بالفعل لا يعرف شيئًا عن والدها فى أيامه الأخيرة مما لم تضيف معه روايتها جديدًا سوى إثارة بلبلة وأقاويل عن سيرة والدها بعد وفاته هى فى غنى عنها.

قطع عبد السلام فكرتها وهو يستطرد مكملًا:

- لكن ممكن أدلك على اسم أستاذ كبير وباحث فى **الجمعية المصرية للدراسات التاريخية** (*)

عرفت بالصدفة إنه بيساعده وبيمده بالأبحاث والمراجع

أقرن الدكتور عبد السلام قوله بتناول ورقة صغير خط فوقها اسم ثنائى وأعطاه لفاتن قائلًا:

- ده اسم الباحث، للأسف ما أعرفش غير الاسمين دول

تناولت فاتن الورقة تقرأ الاسم بصوت مسموع.

- إبراهيم السنباطى!، كويس ممكن أروح مقر الجمعية واسأل عنه.

لم تكد فاتن تنهى عبارتها حتى رنت نغمة تنبيه هاتفها برقم غير مسجل يمكن أن يكون غير ذى أهمية أو لا يعنى سوى بزوغ خطب جديد فى سماء الحقيقة، أمر قد يضىء لها دربًا من دروبها المظلمة.. أو يفتح دربًا آخر أكثر إظلامًا.

***

بعد أسبوع من وفاة دينا

(مش ناسى حاجة يا شريف.. المكان تحفة.. ما كنتش قادر أخبى حبى ليكى.. بلاش تنزل المحاضرة دى يا شريف.... إيه إللى بيحصل أنا مش فاهمة.. إللى أعرفه إنك أقرب شخص ليا فى الكون كله..... ما تسيبنيش يا شريف..)

---

* جمعية تأسست بمرسوم ملكى عام ١٩٤٥ فى عهد الملك فاروق بغرض النهوض بوعى التاريخى بين أبناء الوطن يقع مقرها الحالى فى القاهرة بحى مدينة نصر



تردد صدى تلك الكلمات فى عقل شريف وهو يسير فى تثاقل يجر ساقيه جرًا فوق أتربة كثيفة غائرة داخل أحد المقابر مع شعور عارم بالضياع والوحدة وضيق شديد خانق وأطنان من الهموم والذكريات تجثم فوق صدره تعيق تنفسه وتمزق نياط قلبه، تشاركه أحزانه الطيور التى امتنعت عن التغريد حتى نبات الصبار القوى ذبل ويبس من حوله تظلل الجميع سحابة سوداء قاتمة كئيبة دون مطر، ممسكًا بورود بيضاء خطا شريف وسط شواهد القبور حتى وقع بصره على قبر حديث الشاهد وفوق واجهته رخامة بيضاء خط فوقها (دينا طاهر عبد الجليل).

قبر دينا الذى ضمها منذ عدة أيام خلت، اشتعلت أعصابه وارتجفت أوصاله فها هى زوجته ترقد بالداخل وقد فارقتها الحياة وتركته وحيدًا فى هذه الدنيا المظلمة، بخطى وئيدة مرتجفة تقدم تجاه الشاهد، بدأت السحب ترسل غيثها الذى اختلط بدموعه التى تقطر من عينيه ليسيلا معًا على وجنتيه، اقترب أكثر حتى دنا من قبرها فتخلت عنه ساقيه فجثا على ركبتيه يضع الورود فوقه ثم انفلتت أعصابه وراح يجهش ببكاء حار ينادى باسمها فى لوعة حارقة ارتجف لها جسده كثيرًا، أو هكذا ظن بينما كانت الأرض هى ما تهتز من تحته.

هاله الأمر فأخذ يدقق النظر فى الأرض اللصيقة بالقبرحيث يجثو وهى تهتز بعنف ثم أخذت تتشقق على نحو غريب ودماء لزجة تفور من موضع الشقوق وبغتة برزت يد من أسفل الأرض تقبض على عنقه ومن وسط الدماء برز وجه شخص يخفى ملامحه بلثام تشرب من الدماء يحاول غمر وجه شريف فى الدماء انتفض جسده وهو يحاول التراجع فسقط أرضًا و.......



سقط شريف من فوق الأريكة التى كان ينام فوقها مستيقظًا فى ظلام صالة منزله على صوت جرس الباب يرن فى إلحاح على نحو انتزعه من ذلك الكابوس.

مسح قطرات عرق بارد تفصدت عن جبينه يحرك عنقه فى ألم، نهض يفرك عينيه المنتفختين يزيح فوارغ زجاجات الخمور المتناثرة أرضًا تتسكع حوله فى إهمال وفوضى، بأظافر استطالت نهش لحيته التى نمت متجهًا لباب الشقة فى ترنح وضجر تحت إلحاح الطارق، فتح فُرجَة صغيرة من الباب يضيق عينين أغشاها الضوء بعد أن اعتادتا على ظلام شقته عدة أيام ليطالعه وجه عزت ينظر إليه فى أسى بالغ، ترك شريف الباب وعاد للداخل يتهاوى فوق الأريكة، دخل عزت وأغلق الباب خلفه ثم أضاء المصابيح واتجه للنافذة يزيل الستائر ويفتحها ليغمر المكان ضوء ساطع استغاثت له أعصاب عين شريف فأغلقهما فى ألم وحجب الضوء بيديه معترضًا

لم يعبأ عزت باعتراضه يتطلع فى مرارة وحزن للفوضى من حوله والحالة المزرية التى وصل إليها شريف بعد موت زوجته، جلس جواره يربت على كتفه فى ود:

- أنا ما صدقتش البواب تحت لما قالى إنك بتبعته يجيبلك كل الخمور دى، من حقك تزعل يا شريف لكن مش لدرجة إنك تدمر نفسك.

دفن شريف وجهه فى راحة يده ولم يعقب، فأكمل عزت:

- أنا صاحبك يا شريف وواجبى أفضل جنبك فى محنتك، موت دينا أثَّر فينا كلنا ومن حقك تاخد وقتك، لكن إنت كده بتعاقب نفسك على ذنب ما عملتهوش، خليك مؤمن بقضاء ربنا.

زفر شريف زفرة حارة أخرج معها ما يعتمل به صدره من ضيق وحزن وضياع ثم غمغم بصوت مختنق:

- كانت أقرب واحدة ليا فى الدنيا كلها يا عزت، تموت قدام عينى وأنا مش قادر ألحقها
- إللى قولته فى المحضر والتحقيقات محيرهم لحد دلوقتى ولولا جيرانك إللى شافوها وهى بتنط من الشباك لوحدها كان هيبقى فيه شبهة جنائية .
- قامت الشرطة اعتبرتها انتحار صح!!.. دينا ما إنتحرتش ياعزت.. دينا مؤمنة بربنا، فيه حاجة دفعتها لكده من غير وعى منها.

احتقنت وجنتيه بحزن جارف يعود برأسه لمخدع الأريكة يكبح جماح ثورة كاسحة تجتاح جوارحه ثم مرر أصابعه داخل خصلات شعره المشعث وأثناء ذلك وقعت عينى عزت على ما يشبه أصابع فوق عنقه تركت آثار احمرار ، تطلع إليها فى اهتمام جعل عزت يتساءل:

- إيه مال رقبتك

بدا شريف مشتتًا غير مترابط الأفكار:

- مش عارف حلمت حلم كده و.... تقريبًا من النوم على الكنبة.

نظر إليه عزت فى شك:

شريف فى حاجة تانى من قبل حتى موت دينا، تعبك المفاجئ ومرضك الغريب وشفاك السريع!!

ظفر شريف فى ضيق شديد يعكس ما تموج به نفسه من حزن ممتزج بالغضب قائلًا:

حاسس بحاجة غريبة يا عزت مش عارف أوصفها، بقت تحصلى تهيؤات وصداع مزمن وحاسس إنى تايه، وفاة دينا بطريقة غريبة بحيث تبقى كأنها انتحار والـ .... بتر شريف عبارته ورفع وجهه يتطلع للفراغ بأعين طمسها الحزن ونظرة



غائبة عن الوجود تتردد فى عقله عبارة سمعها من بضعة أيام خلت:

(أستاذ شريف والدى مستحيل يكون انتحر....)

التفت لعزت قائلًا:
نجيب عبد الحافظ.. مات بطريقة تبان إنها انتحار وبنته متأكدة إنه ما إنتحرش!! فيه علاقه بينى وبين الراجل ده يا عزت.. علاقة ما أعرفهاش.. ولا حتى بنته تعرفها

ظل شاردًا صامتًا وقد عاد لعينه بعض البريق يسترجع أمورًا كان قد نسيها فى بحر أحزانه تتردد عبارة داخل عقله.

(ده تليفونى لو حسيت إن عندك استعداد نتكلم أرجوك.. إتصل بيا)

مرت العبارة على عقل شريف الذى بدأت تتبخر منه آثار الكحول بشكل جزئى لكن مازالت تدور فى عقله الأفكار ثقيلة بطيئة كمن يدور بملعقة فى إناء عسل أبيض، لكنها كانت كافية لتنتزعه من مقعده وتدفعه لغرفته تاركًا عزت مع تساؤلاته لدقيقة واحدة عاد بعدها يحمل وريقة صغير خط عليها بأرقام إنجليزية أنيقة رقم هاتف وتحته اسم (فاتن نجيب)
بحث عن هاتفه وسط الفوضى فوجده جثة هامدة بلا شحن.

- عزت إدينى تليفونك.
- خد، بس فهمنى هتعمل إيه ورقم مين ده.

وكأنه فقد حاسة السمع أجرى شريف الاتصال برقم فاتن مغمغمًا:

- أتمنى تكون وصلت لتفسير للى بيحصل.



فترة صمت يستمع لرنين الاتصال بفاتن، ثم لحظات وأتاه صوت فاتن مشوبًا ببعض الإرهاق.

- ألو، أستاذة فاتن نجيب.. معاكى شريف خليل فاكرانى.. طب كويس أوى.. أ أ.... ، ممكن نتقابل.. زى ما تحبى.. خلاص اتفقنا كمان ساعة ونص فى (روسترى) وسط البلد.

نهض شريف مترنحًا فى عجالة بعد أن أنهى المكالمة، يبحث عن حافظته ومفاتيح سيارته يدور حول نفسه دون وعى مترنحًا على غير هدى تحاصره فكرة البحث عن أى شىء يقودة لمن تسبب فى مقتل زوجته، راقبه عزت فى أسى لحظات ثم نهض يجذبه من معصمه فى رفق.

- شريف إهدى إنت وأنا هوصلك بعربيتى مش هتعرف تسوق بحالتك دى.
- طب يلا بينا بسرعة

تطلع عزت لملابس شريف الرثة وشعره المشعث وكأنه نزل للتو من حافلة مكدسة بالبشر يترنح من أثر الكحول، فى لهجة جلعها عزت ودودة قدر الإمكان حتى لا يجرح شعور صديقة المكلوم:

- شريف غير هدومك وأنا هدخل المطبخ اعملك حاجة تفوقك.

ألقى شريف نظرة سريعة على ملابسه فأومأ برأسه فى انكسار من غاب عنه عقله ثم توجه لغرفته المحتفظة بترتيبها منذ عدة أيام على يد زوجته الراحلة، لم يتحمل النوم داخلها ولا الاقتراب من السرير أو النظر إلى النافذة، دار حول نفسه يفتش عن ملابس يحاول تجاهل قبضة باردة أخذت تعتصر قلبه بلا توقف حتى وقع بصره على قميص سماوى معلق سبق وارتداه من قبل، تركه خارج بنطال جينز أسود واحتواه ببليزر كحلى أمام المرآة يمرر يده على لحيته النامية يشرد لحظات و......(شريف ما تسيبنيش) انتفض إثر ومضة سطعت لوجه زوجته فى المرآة بنفس ملامحها قبل قفزها من النافذة، تنهد يمسح وجهه براحته ثم التقط نظارة شمسية يخفى بها انتفاخ جفونه وهالات سوداء احتشدت أسفل عينيه مع

كوفيـة صـوفية عقدها حـول عنقـه وخـرج ليجد عزت قد جـاء لـه بكـوب صغير يحتوى على القليل من سائل أبيض مائـل للاخضـرار، جرعـة دفعـة واحدة ثم تقلص وجهه للغاية فى تساؤل جعل عزت يبتسم فى إشفاق قائلًا:

عصير لمـون مركز علشـان تفـوق مـن الخمـور إللـى شربتها يـا بيه.. يللا بينا أوصلك



الفصل (١٠)

ودع شريف عزت أمام الكافيه ثم دفع البوابة الزجاجية ثم خطوات وأصبح داخل كافيه (روسترى) الدافئ مناخه يخلع نظارته الشمسية يتملكه ذلك الشعور أن الجميع يتطلع إليه بمجرد دخوله رغم أنه فى الواقع لا يلتفت أحد إليه، عاد بذاكرته بضعة أيام يستعيد وجهًا لم يراه سوى مرة واحده قابله بضجر وعجالة يبدو أنه ندم عليها، إيجادها لم يكن عسيرًا فملامحها الغربية نوعًا ما لا يمكن أن تختلط مع وجوه أخرى فى ذاكرة نادرًا ما تقابل أشخاصًا بتلك الملامح، تحسس هاتفه المتوفى ولعن إهماله، اضطر إلى الارتجال والبحث بين طاولات استبعد منها من يجلس خلفها أكثر من شخص، وقع بصره فى آخر الكافيه على فتاة تجلس على طاوله صغيرة و تنحنى على هاتفها اللوحى أمامها فى شرود تعبث أناملها بطرف مقبض كوب مشروب انتهت من معظمه ينسدل على وجهها شلال من الشعر الكستنائى، خطا تجاهها فى تردد وتشكك، وكأنها سمعت أفكاره فرفعت وجهها تنظر إليه مباشرة يطالعها وجهه غير الحليق وأعين طمسها الحزن، نهضت تبتسم فى إشفاق من يشعر بشعوره وود جعلته قدر الإمكان يستبعد كلمات مثل.. لقد أخبرتك!

حاول هو الآخر الابتسام بينما عينه متعلقة بضمادة صغيرة على جانب جبهتها تفهم معها لماذا تسدل شعرها على هذا النحو المبالغ فيه.

كانت هى أول من مزق أستار الصمت بصوت هادئ ودود:

- إزيك يا أستاذ شريف، البقاء لله

ما أشبه الليلة بالبارحة..

- أشكرك..

كان يبحث بعينه فى وجهها عن أى خلجة شاردة توحى بالشماتة لكنها بحق كانت ودودة حزينة تنشد تعاونه معها، فتبسم فى راحة متسائلًا:

- سلامتِك!

- هقولك على كل حاجة لكن إحكيلى الأول بالتفصيل إيه إللى حصل معاك ولزوجتك الله يرحمها!

زفر زفرة حارة كادت تحرق النادل الذى جاء بناء على إشارته فطلب قدحًا من القهوة الإسبريسو دوبل يجتاح بها ما تبقى من الكحول فى دمه وإيقاظ عقل دهسه الحزن، ثم وعلى مدار ساعة روى كلًا منهما ما مر به من أمور قلما يجود بها عالم الحقائق ظلا بعدها صامتين تسودهما حالة تشبه الصدمة أو الوجوم أفاقت منها فاتن أولًا تتسائل:

- إللى يخلى زوجتك تنط من الشباك وهى مش فى وعيها يخلى والدى يطعن نفسه بدون وعى برضه.. مش كده!!

شرد شريف لحظات يعيد رواية فاتن على عقله مرددًا:

ده التفسير الوحيد.. لكن إزاى ومين إللى بيعمل كده!! مرت لحظة تفكير صامت استدرك بعدها متسائلًا.. هو إنتى قولتيلى اللغة إللى كانت الورقة مكتوبة بيها إسمها إيه!

- لغة الملائكة

هز رأسه موافقًا ثم أطل من عينيه تساؤل ترجمه عقله لسؤال يعلم يقينًا أنها تعرف إجابته:

- تفتكرى والدك كان عايز يحجب الورقة دى عن مين بالضبط لما كتبها بلغة ملائكية!

صمتت طويلًا ثم أجابت فى توجس وعدم اقتناع: أكيد حاجة خبيثة.. شياطين مثلًا!!

صمت شريف لحظات ظلت خلالها أعينهم متلاقية فى وجل وقلوبهم تخفق فى قلق يمط شفته فى حيرة شعر معها وكأنه يعيش كابوسًا من كوابيسه المتكررة سيستيقظ منه ليجد كل شىء على خير ما يرام لكن أبت الرحمة أن تمنحه تلك الرفاهية وأبقت له على واقع قاسى



- الجزء إللى ترجمتيه كان بخصوص تذكار موجود فى حى الجمالية لبطل!
- ده إللى قاله فى الجزء إللى ترجمته وبعدها حصل إللى حصل واتحرقت ورقة الترجمة وورقة الكتاب، وأعتقد لولا إنى ما أعرفش حاجة كان مصيرى مش هيفرق عن مصير والدى.

ألقى نظرة سريعة لساعته التى أشارت عقاربها للخامسة مساءً

- إيه رأيك نوصل لحى الجمالية.
- مفيش مانع لكن إيه إللى ممكن نلاقيه هناك

دفع الحساب يمط شفتيه قائلًا فى تفكير:

يمكن لما نروح نعرف !



الفصل (١١)

هيئة الآثار، المبنى الإدارى

كان يومًا جديدًا لا يمثل له أى فارق مع ما يسبقه من أيام منذ التحاقه بالعمل فى الهيئة، أعمال روتينية مملة خانقة موظفون واجمون متراخية أعينهم متململين، لا فكاك من كل ذلك سوى بالشرود والتخيل بأنك تجلس فى حديقة غَنَّاء مع أميرة عالم أسجارد تضع فاكهة الكرز فى فمك تأخذ منها قضمة صغيرة ثم تضعها جانبًا وتأتى قضمة الكرز الثانية من شفتيها، كان لديه أحلام كثيرة يحققها لم يكن من بينها الجلوس على كرسى خشبى أمام طاولة صغيرة يشاركه فيها اثنين من الموظفين يقوم بتسجيل خطابات الوزارة فى دفتر (سركى) ثم يدون فوق الأوراق رقمًا وتاريخًا كئيبًا وينحيها جانبًا فى فتور ليتم توزيعها على القطاعات لتنفيذ ما جاء بها من تعليمات، كان شابًا فى أواخر العشرينات وكان هذا يعطيه بعض الأمل فى تحقيق شيء مما كان يطمح فيه يومًا، ولكن وبلا أمل ظلت الأيام تتوالى ومعها يخبو حماسه وتتراخى إرادته بينما يظلم عقله فلا يرى سوى دفتر السيركى.

- أستاذ هيثم خلصت تقييد الجوابات
- آخر واحد فى إيدى أهو
- طب هات إللى خلصتهم دلوقتى علشان المراسل عايز يمشى

جمع هيثم الخطابات التى انتهى منها وأعطاها لتلك الموظفة البدينة فسلمتها للمراسل الذى وضعها فى حقيبته وغادر على الفور خشية أن يفتك به ذلك الوحش الأسطورى دون مبرر، وبينما هيثم ينتهى من الخطاب الأخير إذا بالأجواء تغيم من حوله التفت فى ذعر فإذا بتلك الموظفة تدنو منه من جديد تقول له فى دلال خرتيت برى يوم التزاوج.

- ما تتعبش نفسك، خليه فى بريد بكره

تقلصت أحشاؤه وهو يتطلع لذلك الوجه الذى ملأ أمامه المشهد بالكامل فحجب عنه سبل الحياة، أومأ برأسه موافقًا فأطلقت سراحه يزفر كمن ردت إليه روحه قبل اكتمال انتزاعها بلحظات.

فى نهاية اليوم الثقيل جمع أغراضه من فوق الطاولة المتهالكة منفضًا إياه من فتات الخشب المنبجس عنها الطاولة ومن بينها بالخطأ ذلك الخطاب.

فى المساء داخل منزله بينما يخرج بعض أغراضه من حقيبته فإذا بالخطاب بينهما، هاله الأمر فى البداية ولكنه استقر على عدم ذكر ذلك لرؤساءه وإعطاءه لهم فى الصباح وكأنه كان فى درج مكتبه، فتح الخطاب يطالع أوراقه فى فضول، فوجده نسخة كربونية من خطاب تم إرساله بالفعل لشرطة السياحة الخاصة بمنطقة اثرية شهيرة بالاستعداد لاستقبال فوج سياحى ضخم بعد ثلاثة أيام، كان الأمر مخالفًا للبروتوكول المتبع فى تلك الأمور فقد تم إرسال الخطاب الأصلى دون المرور على سلسلة من التوقيعات ودون قيده فى دفتر القيودات، فقط مدون عليه عبارة، (يُنفذ) وتوقيع غريب لم يراه من قبل، تصاعدت دهشته أكثر عندما لم يجد أى تعليمات بمرافقة الشرطة للوفد:

- إيه الكوسة دى إزاى يسيبوا سياح لوحدهم طول الليل فى منطقة أثرية زى دى

بدا الأمر مألوفًا لديه على نحوٍ ما فمكث يجتر أحداث مشابهة لكن أبت ذاكرته أن تطيعه كلما حاول الإمساك بها تفلتت منه، أحضر هاتفه النقال وطلب رقم أحد أصدقاءه ممن يضعون الشال الفلسطينى حول عنقهم ولايكفون عن مهاجمة سياسة الحكومة فى أى شيء

- أيوه ياض يا عماد عامل إيه إعتقلوك ولا لسه
- لأ لسه، بس قريب
- طب كنت عايز أسألك عن حاجة بسرعة كده قبل ما يعتقلوك
- إرغى

- بص مش كان فيه من كام سنة كده وفد جاى مصر عند الأهرامات هيحضر عفاريت باين

مرت لحظات صمت علم معها هيثم أن عماد يفتش فى ذاكرته عن تلك الأحداث ثم عاد يحدثه

- أهاااا، قصدك الوفد الماسونى إللى كان جاى مصر فى ٢٠١١، طبعًا يا ابنى ما أنا كنت واحد من الجماعة إللى كشفوا المؤامرة ووزعنا منشورات قبلها بيوم حذرنا الناس من إن أعضاء الوفد جايين يعبدوا شياطين ويحضروا جن ولازم نوقفهم والناس بصراحة ساعدتنا.
- يا نهار إسود طب وفعلًا الحفل إتلغى
- إتلغى اليوم ده لكن للأسف فوجئنا إنه إتعمل برضه بعدها بشهر.. بس إنت بتسأل ليه!
- ....
- ياض يا هيثم بتسأل ليه
- هاه!!، لأ أصل الـ... علشان الـ... ، عماد..... عايز أقابلك ضرورى.

***

انطلق شريف وفاتن بسيارة الأخيرة عبر الشوارع المتشعبة بتوجيه من شريف فى ظل عدم إلمام فاتن بتلك الأحياء التى لم تدخلها منذ سنوات، حتى وصلا لبداية الحى الشعبى المكدس بالمارة ذو الزقاقات المتشعبة للغاية، صمت شريف لحظات يوازن الأمر فى رأسه ثم أشار لها بالانتظار وترجل من السيارة يتوجه لمكتبة قديمة تعج بكتب تكدست فوقها طبقات الأتربة كما تكدست فوق صاحبها الطاعن فى السن الجالس أمامها،



كان ذلك تحديدًا هو اختيار شريف، شخص يهتم بالكتب وله عمر مديد عله يعرف شيئًا

- سلام عليكم يا حاج، أنا غريب عن هنا وسمعت إن فيه تمثال لبطل هنا عايز أتفرج عليه ممكن توصفلى المكان!

رفع المسن رأسه إليه فى بطء شديد يتطلع اليه بعيون حاصرتها التجاعيد حتى طمستها، مرت لحظات هكذا شعر شريف بالضجر وكان يهم بسؤال الرجل من جديد إلا أن الرجل انفرجت شفتاه وهو يقول بوهن:

- مفيش تماثيل لأبطال هنا يا أستاذ.

صمت شريف لحظات يبحث عن إعادة صياغة للسؤال، ثم سأله من جديد.. طب فيه اسم أماكن هنا على أسماء أبطال!.

مضت لحظات صمت طويلة اعتقد شريف خلالها أن الرجل قد توفاه الله على جلسته لولا أنه وجده يرمش بعينه فحمد الله فى نفسه ثم اقترب من الرجل يستمع لحديثه الواهن:

- حى الجمالية نفسه متسمى على اسم أمير فاطمى اسمه (بدر الدين الجمالى)*

راجل بجد وقف جنب المصريين فى شدتهم قاموا سموا الحى باسمه.

شرد شريف بعينه لحظات يردد الاسم فى دهشة يمرره على أذنيه لعله يستنبط أى معلومه حوله، بدا إيقاعه مألوفًا لولا أن عقله لم يستدعى أى معلومه حول ما قام به ذلك الفاطمى:

- وعمل إيه الأمير ده خلى الناس تسمى الحى باسمه

ظل العجوز يلوح بيديه يمينًا ويسارًا وهو يلوك فمًا فارغًا كما هم المسنون دائمًا ثم نهض فى تثاقل تَئِنُّ مفاصله الهَشَّة يتطلع للكتب المتراصة بالداخل ثم مد يده يسحب جاهدًا كتابًا متوسط الحجم نفض عنه غبار كاد يحجب

---

*حقيقة



الرؤية أمام شريف ويصيبه بربو مزمن لبقية حياته لولا تراجعه خطوتين:

خد الكتاب ده بعشرين جنيه بس، هتلاقى فيه كل حاجة عنه، وما تنساش تقرا الفاتحة عند ضريح البطل قدام البوابات بتاعته إلى رممها بنفسه.

أومأ شريف برأسه دون وعى لما يقوله الكهل يتطلع للغلاف اصطفت فوقه مجموعة مؤلفين متخصصين فى التاريخ، فتح الغلاف على أول صفحة لتطالعه جملة بخط كبير غمغم بها بصوت خافت:

(من حيث الموت تبدأ الحياة)، وكتب أسفلها.. أمير الجيوش أبو النجم بدر الدين الجمالى!!

- بيقولوا يا ابنى إن فى آخر أيامه كان بيقول الجملة دى، ومحدش يعرف سرها

أومأ شريف برأسه موافقًا فى غير اكتراث ثم شكر العجوز بعد أن نقده العشرون جنيهًا ثم عاد لسيارة فاتن يقلب الكتاب فى يده لتسأله فاتن فى فضول.. ها عملت إيه وإيه الكتاب ده

أجابها وهو مازال يقلب الكتاب فى يديه:

تخليد الذكرى مش نصب تذكارى زى ما فهمنا، التخليد فى إنهم سموا حى الجمالية باسمه (بدر الجمالى) إللى ساعد الشعب وقتها، ثم رفع يده الممسكة بالكتاب مضيفًا، إلى تفاصيلها فى الكتاب ده.. وإللى الراجل العجوز ده ضحك عليا وخلانى أشتريه.

انفلتت ضحكة من فاتن، ثم قرأت العنوان فى دهشة:

- أمير الجيوش!! يعنى إيه!

ألقى شريف الكتاب فى المقعد الخلفى قائلًا:

- هنعرف، فكرينى أبقى أخذه أقراه، لكن مش فاهم إيه العلاقة، مش والدك كان دكتور فى الفلك إيه إللى دخله فى التاريخ.

- مش عارفة لكن زميله فى الجامعة قالى إنه فعلًا فى آخر أيامه اهتم بالتاريخ المعاصر.

ظفر شريف فى حيرة بينما فاتن تتراجع بسيارتها ثم تتقدم بها فى بطء عبر أزقة الحى المتداخلة وسط تلك الشبكة العنكبوتية التى تشبه تيه قصر اللابرينت الذى ظل الميناتور يدور داخله للأبد وفقًا للماثولوجى الرومانية.

حمد شريف الله أنها مجرد أسطورة وإلا كان عليهما إلقاء فتاة جميلة عذراء للمينتور لاتقاء شره، أبصر من مكان قصى سيارات تمر مسرعة أشار لفاتن بالتوجه إليها، كان أحد الطرق الرئيسية الموازية لسور القاهرة التاريخى الذى يومًا ما كانت حدود مصر تنتهى عنده عندما بناه جوهر الصقلى قائد جيوش المعز لدين الله الفاطمى لتأمين دولة المعز ثم أصابها التهدم والضعف إلى أن جاء بدر الدين الجمالى وقام بإعادة بنائها، سارا عدة أمتار فى محاذاة السور حتى بلغا (بوابة الفتوح) تتوسط برجيها الاسطوانيين، مهيبة صلبة يبدأ من مدخلها الضخم شارع المعز لدين الله الفاطمى الذى يستقبلك بمسجد الحاكم بأمر الله ذو الطراز الراقى للغاية ثم سلسلة من الآثار والمعالم التاريخية وكأنك ولجت للماضى عبر بوابة زمنية.. حيث كان يُعتقد أن سبب تسمية البوابة بهذا الاسم هو خروج الجيوش الفاتحة منها ثم تعود منتصرة عبر بوابة النصر، إلا أنه ثبت أن التسمية تتوافق مع أسماء أبواب داخل العاصمة العلمية المغربية (فاس) وكأنه أريد للقاهرة أن تصبح عاصمة علمية بدورها.

انتقل شريف ببصرة للبوابة التالية على بعد مائتى متر تقريبًا من الأولى، كانت تشبه بوابة الفتوح باستثناء النقوش ودوران برجيها إلا أنها كانت مهملة بخلاف الأولى تتكدس خلفها المساكن والورش الحرفية، ومقابل البوابة على جانب الطريق الآخر وسط عدة أبنية سكنية عتيقة وقع بصر شريف على قبة صغيرة حفر على وجه أحد أعمدتها عبارة نطقها شريف بصوت خافت:



- قبة الشيخ بدر!!.. مش ده ضريح بدر الجمالى!!

حانت من فاتن التفاتة سريعة تتطلع للضريح تمط شفتيها.. على كلام العجوز تقريبًا هو..

عادت تنظر للطريق أمامها حتى تخطت الضريح إلى نهاية الشارع وشرعت فى الانحراف يسارًا إلى شارع (المنصورية) لولا أن استوقفها شريف بغتة مشيرًا لها بالعودة، دارت فاتن بالسيارة عائدة لضريح الجمالى فى تساؤل ودهشة، شاردًا مفكرًا وعينه متعلقة بالضريح يردد شريف عبارة الجمالى الأخيرة:

- **(من حيث الموت تبدأ الحياة) !!**

ترجل من السيارة ثم سار فى خطوات واسعة حتى وصل للضريح يتفقد بناؤه المشيد على الطراز الفاطمى من الجص المحترق، مرر يده فوقة فتملتكه رهبة مبهمة ثم دار حوله يتفقد أعمدته من الداخل وهو يفكر أنه منذ مئات السنين كان هنا مهندسون يحضرون الجص ويشيدوا هذا البناء بينما خلفهم بوابة النصر يدخل منها جيش مصر بعد كل انتصار يحققه، لابد أن الجمالى اختار مكان ضريحه هنا أمامها مباشرة إجلالًا وتعظيمًا، رغم أن زرقة المساء بدأت تسدل أستارها إلا أن شريف دلف داخل الضريح المهمل يتقدم فيه أكثر وأكثر حتى اتسعت حدقتى عينيه تستجدى ضوءًا انحسر بالداخل وبدا شاحبًا شحيحًا بالكاد تمكن شريف من رؤية نحت بخط رفيع داخل باطن أحد أعمدة الضريح، شرع يقترب منه لولا أن سمع حركة خافتة خلفه فالتفت ليجدها فاتن تقترب فى دهشة:

- شريف بتدور على إيه

مد لها يده هامسًا: إدينى موبايلك.

دنا يقرأ كتابة عربية دقيقة بباطن أحد أعمدة الضريح معتمدًا على ضوء شاشة الهاتف الشحيح:

- **للنصر بوابات لا يدخلها سوى المخلدون بينما رؤوسهم مرفوعة لأعلى، حيث يجدهم المجد.**



مرت لحظة تفكير وهو يعيد قراءة الجملة مرة أخرى ثم يتطلع فى نهاية العبارة لحفر بيضاوى منتظم فوقه نجمة دقيقة جدًا، دقق فيه النظر لحظات ثم عاود قراءة العبارة، التفت على إثرها يطالع البوابة الضخمة تنتصب شامخة مهيبة تتوسط برجيها القويين تتحدى الزمان والعصور فى عناد وصمت ينافس صمته الذى يغلف أفكارًا تتعارك فى رأسه تؤكد أن الجمالى كان معتزًا بشدة بانتصاره إلى درجة جنون دفعه لتدوين عبارات الفخر والاعتداد فى كل مكان، بدأت تتكون بعض المعرفة عن ذلك الشخص الذى قام بترميم وإعادة بناء بوابات النصر والفتوح وشيد باب زويلة.

تراصت الأفكار لتكون لوحة مكتملة، ترميم البوابات كان تحت إشرافه، بوابات النصر.... تنظر لأعلى.. حيث يجدك المجد، تركزت عينيه على البوابة ثم اندفع يعبر الشارع دون أن تلتفت عينه عن البوابة تتبعه فاتن فى ترقب صامت حتى ولج بين برجيها الضخمين حيث باطنها المقوس لأعلى كعادة الأسقف الفاطمية يدور بعينيه فى أرجاءه بحثًا عن شىءٍ لا يدرى كنهه وفى عقله تدور العبارة (ورؤوسهم مرفوعة لأعلى) يغمغم بصوت مسموع:

- الجمالى شخص مهووس بانتصاراته، الأشخاص إللى من النوع ده بتحب تسيب رسايل غامضة علشان محدش يحلها إلا عبقرى زيه وإللى بعده يعترفوله بالعبقرية أكتر وأكتر

التفت يبحث عن فاتن عندما لم تأتى بأى رد على كلماته معتقدًا أنها بجواره ليجدها مازالت تقف أمام البوابة بالخارج تنظر لأعلى وعلى وجهها أمارات دهشة بالغة، عاد أدراجه إليها فى تساؤل، فأشارت لأعلى دون أن تتفوه بكلمة فالتفت شريف ينظر حيث أشارت لتطالعه أعلى واجهة البوابة التى تشكل قوسًا ضخمًا، نقوش وزخارف ودروع محاربين منقوشة بنقوش عجيبة

مما دفعه للتساؤل فى حيرة أكبر:

- عبارة عن إيه الرسومات دى يا فاتن!!

نظرت إليه فاتن وقد بدا فى عينيها بريق ظافر:

دى مش رسومات يا شريف.. دى نفس رموز رسالة والدى.. لغة الملايكة إللى فى كتاب مفتاح سليمان



الفصل (١٢)

وسط إحدى عواصم دولة غربية، داخل إحدى القاعات الأنيقة الواسعة التي تكسو أرضيتها مربعات البورسيلين اللامع من اللونين الأبيض والأسود جلس رجل وقور مألوف الوجه طاعن في السن يتقلد منصبًا حكوميًا بارزًا إلى جانب منصبه الروحي في هذا المكان بصورة سرية خط الزمن في وجهه أمارات الحكمة والدهاء وترك في عينيه الزرقاوين بريقًا حادًا ينم عن مكر شديد استحق معه الجلوس منفردًا خلف ما يشبه مكتب من الأبنوس وكرسي يشبه العرش زينت خلفيته بنقوش على هيئة عين بشرية رسمت داخلها نجمة سداسية وشمس تشرق عن يمينه.

وأمامه بضع رجال ذوي مناصب حكومية في دولهم جلسوا بصفتهم غير الرسمية بزي موحد مطرز بخيوط ذهبية تنم نظراتهم عن الخطورة وعلى وجوههم أمارات الجدية والاحترام والإصغاء الشديد لحديث ذلك الرجل الذي يذكرهم في جملته الختامية باقتراب الهدف الذي أنشأت من أجله منظمتهم السرية قائلًا:

- من آلاف السنين ومنظمتنا بكل أعضائها على مر التاريخ بتحاول تحقيق أهدافها .. ضحينا بكل ما هو عزيز وغالي من أجلها، لكن كل الأهداف الصغيرة كان هدفها في النهاية هو التمهيد للهدف الأسمى والأوحد للكيان، وهو ما سوف يتشرف جيلكم بتحقيقه.. فلا تضيعوا المجد من أيديكم.

أثارت العبارة في أنفس الجالسين أمامه نشوة سطعت لها أعينهم ببريق يعكس مدى انتظارهم لذلك اليوم، أشار إليهم بانتهاء الاجتماع الأخير قبل أن يتجهز الجميع لبدء (الأحداث الكبرى) فخرجوا يتهامسون في استبشار تاركين رئيس الاجتماع أو (الماستر) كما يدعونه لايزال جالسًا فوق مقعدة يجتر ذكريات بعيدة عندما أخبروه بأن الأحداث الكبرى ستكون في عهده رئيسًا للمنظمة.

ابتسم ابتسامة حالمة عندما وصل بأفكاره لتلك النقطة يتطلع لمرآة مثبتة فى مواجهته على الجدار المقابل فى نهاية القاعة رسم فوقها بلون رمادى قاتم قرنين متقوسان للداخل، وداخل المرآة انعكست صورة الشمس التى عن يمينه لتكتمل اللوحة وتبدو كشمس تشرق من بين قرنين مخيفين يشبهها قرنين لن يختلطا على أحد عند رؤيتهما والتعرف عليهما على الفور ... قرنى الشيطان.

***

وسط أحد شوارع قاهرة المعز وبعد أن خيم الليل على الأرجاء شقت سيارة فاتن المينى كوبر طريقها مسرعة عبر الشوارع المغبرة وإلى جوارها يجلس شريف ممسكًا بهاتفها اللوحى يدقق النظر فى عدة صور التقطاها لواجهة بوابة النصر يظهر فيها نقوش ورموز عجيبة.. سبق ومر من أمامها وشاهدها كثيرًا دون أن يجول بخاطره يومًا أن تلك التى يحسبها الجميع مجرد نقوش زخرفية هى كلمات بلغة ملائكية قديمة للغاية ذات معنى يعلم الله فحواه.. الأمر تجاوز حد الصدفة بكثير.

أجفل شريف وتوقفت أفكاره عند رنين الهاتف فى يده، مد يده لفاتن به مغمغمًا:

- رقم غريب

التفتت فاتن لحظة أثناء قيادتها تطالع الرقم:

- شريف ده الرقم إللى إنت كلمتنى منه

دقق شريف النظر للرقم فبدت عليه آيات التذكر:

ده رقم عزت!!

ألو، عزت، أيوه إتحركت من الكافيه من بدرى رحت مشوار كده، هحكيلك لما أجى، ماشى مستنيك تعدى عليا الصبح.. سلام

أغلق الهاتف وهو يتنهد فى إرهاق يكبح حزن يطفو فوق صفحة وجهه من حين لآخر تموج فى رأسه التساؤلات دون أن يجد لها إجابة، شعر

وكأنه شجرة ضخمة فقدت جذورها فتهاوت تتقاذفها أعاصير المحن والشدائد... والغموض.
شخص ما كتب اسمه وعنوانه في وريقة صغيرة انقلبت لها حياته رأسًا على عقب بعد أن كانت هادئة كصفحة مياة راكدة في ليلة خلت من الرياح ثم ألقى فيها بغتة وابل من الحجارة.. أصيب بمرض غريب غادرته أعراضه كما زارته بغتة، ثم فقد شريكة حياته في هذه الدنيا، والآن هو داخل سيارة مع ابنة ذلك الرجل، ارتسم وجه حسين في مخيلته بابتسامته الدبلوماسية، هو لم ير منه ما يثير سخطه على هذا النحو سوى حلم أو كابوس على أقصى تقدير مما أورثه عداوة يعتقد معها أن حسين هو المسؤول عن موت زوجته، قفز في ذهن شريف عبارة أحد الحاضرين عندما سأله عن عدم حضوره المحاضرة الأولى ودهشته عندما أعزى شريف ذلك لظلام القاعة وسط أضواء البروجيكتور، وقتها أخبر حسين شريف أن ذلك الرجل مخرف، هل حقًا لم يكن متواجدًا في القاعة أم أن الـ.............. سطعت ذاكرته بفكرة منسية فأخرج هاتفه النقال من جيبه محدثًا فاتن بحماس مفاجئ.

- فاتن عندك شاحن يناسب تليفوني

ألقت فاتن نظرة سريعة على هاتفه أثناء قيادتها ثم أشارت لتابلوه السيارة

- أيوه الشاحن في التابلوه

فتح شريف التابلوه وأخرج الشاحن في نشاط مباغت ودس طرفه في هاتفه والطرف الآخر في قداحة السيارة وهو يغمغم

- لما كنت في الفندق زي ما حكيتلك شغلت كاميرا التليفون وأنا داخل القاعة، ونسيت الموضوع ده مع كل إللي حصلي.

أضاءت شاشة الهاتف ثم مرت لحظات بداية التشغيل على شريف كالدهر إلى أن دخل للفيديوهات المسجلة وسط متابعة فاتن عندما بدأ عرض الفيديو رفع شريف الهاتف ليتيح لها زاوية رؤية خفضت معها من سرعتها تشاهد معه أحداث الفيديو القصير للغاية الذي يعرض سير

شريف تجاه باب القاعة دخلها خلف حسين لحظة واحدة ثم أظلمت الكاميرا وانتهى الفيديو، صمت كلاهما لحظات بحث شريف وسط الفيديوهات لعله يجد مقطعًا آخر دون جدوى، تنهد في يأس وهو يعيد نفس الفيديو القصير عدة مرات ثم أوقفه عند لحظة تصوير باب القاعة التي تختلف عن القاعة التي من المفترض أن يدخلها كما يتذكر، كانت القاعة ٨ والآن هو يرى أنه يدخل قاعة رقم ٩ غمغم في خفوت:

- مطاوع ما كانش بيخرف زي ما حسين فهمني.. أنا كنت في قاعة تانية.. شرد قليلًا ثم غمغم:
- القهوة إللي عزمني عليها حسين!!
- وده معناه إيه!

تنهد شريف في حيرة ممتزجة بخوف مبهم تسلل لقلبه:

- معناه إني ما كنتش في وعيي جوه القاعة، والله أعلم كان إيه إللي بيتم حواليا وقتها.
- الألغاز كترت أوي ولازم ننظم تفكيرنا وإلا هنغرق، أولًا عايزين نترجم الرموز وده هيتطلب صفحة ترجمة للكتاب بدل إللي إتحرقت.

وافقها شريف يومئ برأس يدوي داخله احتفال قبيلة أفريقية بصيد نمر بري، تطلع لساعة يده قائلًا: هنحاول نوصل للغة الترجمة لكن الوقت دلوقتي إتأخر

أومأت برأسها في سهاد دون تعليق

- هترجعي شقة الزمالك
- لأ ما قدرتش أقعد فيها تاني من بعد إللي حصل، نازلة في أوتيل هوصلك وهروح أرتاح شوية لأن بكرة رايحة الجمعية المصرية للبحوث التاريخية.. إبراهيم السنباطي إللي كان والدي بيتعاون معاه، عايزة أعرف نوع التعاون بينهم وكان في إطار إيه، يمكن يكون عنده إجابات



- مشكلتنا بقت واحدة، من الأفضل أكون معاكى.

ياريت

***

رغم قوة قبضة ذلك الملثم التى تحيط بعنق شريف إلا أن ذلك لم يمنعه من ملاحظة عينيه التى بدتا مألوفتين كثيرًا، بلا شك هو يعرفه أو شاهده يومًا، امتدت يده تجذب جزء من اللثام فى اللحظة التى نجح فيها ذلك الشخص فى غمرة فى الدماء حتى اختنق شريف و......

دقت ساعة الحائط فى شقة شريف تشير عقاربها للحادية عشر ظهرًا ممتزجة برنين هاتفه الذى استيقظ على صوته بعد أن اكتمل شحن بطاريته، نهض يلهث بعد ذلك الحلم الذى مازال يراوده يتطلع بأعين نصف مغلقة لشاشة الهاتف التى أفصحت عن عزت.

- إيه ياعزت أنا لسه فى أجازتى بتصحينى ليه
- بصحيك علشان أنا واقف قدام باب شقتك وإنت مش سامع الجرس يا بيه
- طب جايلك

ألقى بالهاتف فوق الفراش الدافئ يتثائب طمعًا فى النوم من جديد، نهض يطالعه وجه عزت خلف باب الشقة الذى تركه وعاد يتهاوى فوق الأريكة بعينين محمرتين وجفون منتفخة تشى بإرهاق أثار دهشة عزت:

- شكلك كنت سهران يا معلم

مسح شريف وجهه براحتيه فى إرهاق بالغ يمرر أصابعه وسط شعره المشعث يتنهد فى حيرة مصحوبة بحزن بدا واضحًا أسفل جفونه المنتفختين وبقايا دموع جافة تركت بريقًا حزينًا فى مقلتيه ممسكًا بكتاب مفتوح مقلوبًا على منتصفه فوق الأريكة

- حصل إيه يا شريف وإيه الكتاب ده!

جاهد شريف ليبتسم متمتمًا

- أبدًا يا عزت أنا كويس بس كنت سهران أقرا فيه

تأكد لعزت بكاء شريف على فقد زوجته ولكنه يتوارى خلف ستار من الإرهاق والسهر، تناول عزت الكتاب يطالع اسم الغلاف مغمغمًا به.

- أمير الجيوش، الاسم مش غريب عليا!!
- دة كتاب تاريخى يا عزت بيتكلم عن فترة عصيبة مرت على مصر، بس لسه ما كملتوش

اندهش عزت وهو يقلب صفحات الكتاب يتساءل فى نفسه عن سر اهتمام شريف المفاجئ بكتاب تاريخى.

لم يسمع شريف عزت فى نفسه إلا أن نفس الفكرة كانت تدور فى عقله وهو يسترجع كلمات فاتن حول اهتمام والدها المفاجئ بالتاريخ الآن فقط شعر بنفس الاهتمام لم يتثنى له تكملة قراءة الكتاب حتى تترابط فى رأسه الأفكار، فلم يدرك حتى الآن علاقة إشارة الدكتور نجيب إلى أمير الجيوش بدر الجمالى.

- شريف سرحت فى إيه، ما قلتليش إيه إللى شدك فى الكتاب أوى كده خلاك تسهر تقراه

تنهد شريف فى حيرة من لا يجد الإجابة المناسبة محاولًا التفكير بصوت مرتفع:

- فيه حلقة غريبة يا عزت بتربط الأحداث ببعض، وفى نفس الوقت مفيش أى تناسق بين حدث والتانى، أنا مثلًا مالى ومال إللى اسمه نجيب ده يعرفنى منين علشان يبعتلى ورق، وليه عايز يوجه بنته لمملوك فاطمى عاش من مئات السنين، ومين حسين إللى ظهر فى المحاضرات وبقى صاحبى فى يومين وبعدها يجيلى المستشفى أو حتى أحلم بيه إنه عايزنى أبعد عن دينا الله يرحمها، وفى نفس اليوم يحصلها إللى



حصل!!، وبنت الراجل ده تتعرض لحادثة وتتحرق رسايل والدها ليها.. ووالدها نفسه مات بطريقة مالهاش تفسير!!

ازدادت تجاعيد وجهه عبوسًا عند هذا الحد يظفر فى يأس ممزوج بحزن بالغ مغمغمًا

- إيه إللى بيربط كل دول ببعض!!.

مسح عزت جبينه براحة يده مفكرًا ثم مَطَّ شفتيه يهز رأسه نافيًا فى حيرة إلى أن فوجئ بشريف يقبض بغتة على معصمه هاتفًا:

- عزت.. إيه إللى فى إيدك ده

هز عزت رأسه فى حيرة يتطلع مع شريف لخدوش اعتلت مرفقه وامتدت حتى كوعة وعنقه مع بقع زرقاء صغيرة تشبه الكدمات

- ما أعرفش والله يا شريف صحيت النهاردة لقيتها كده.. ده فى رجلى كمان زيها

امتقع وجه شريف يتطلع لعزت فى قلق جارف يسترجع عبارة حسين فى ذلك الكابوس

(إبعد عن كل إللى تعرفهم)

- شريف مالك بتبصلى كده ليه.

- عزت.. هحكيلك على كل حاجة وبعدها بلاش نتقابل تانى لحد ما نشوف حل فى المصيبة دى، فغرعزت فاه ينظر لشريف وكأنه يتطلع لمجنون، أكمل شريف مؤكدًا

اسمع الكلام.. أنا عندى ميعاد مع فاتن كمان شوية، قبل ما أنزل هفهمك وبعدها تعمل إللى قلتلك عليه.



الفصل (١٣)

قناة CNN الإخبارية الأمريكية

(فى إطار الاستعدادت لاستقبال واحد من أهم وأقرب الكويكبات مرورًا من كوكب الأرض أكدت الوكالة الامريكية لعلوم الفضاء ناسا بأن مرور الجرم السماوى سوف يكون قبل منتصف الليلة، كما تؤكد أنه لا يمكن ملاحظته إلا عند قطب الكرة الأرضى الشمالى لكن يمكنكم بالعين المجردة مشاهدة العديد والعديد من الأحجار المنفصلة عنه عند مرورها عبر غلافنا الجوى فى صورة شهب محترقة عديدة تخط السماء، ووفقًا لتقديرات ناسا أن مرور الجرم سوف يكون على مسافة كبيرة من الأرض بحيث أن ما سينجم عنه من طاقة كهرومغناطيسية ستكون متوسطة ولن تسفر عن أى أضرار على أبراج الاتصالات أو الأجهزة التكنولوجية الحديثة كما يتناقل نشطاء مواقع التواصل الاجتماعى)

ابتسم بروفيسير (باتريك فرانكلين) ساخرًا وهو يغلق التلفاز بعد استماعه لذلك الخبر وألقى بالريموت جواره ثم استرخى متمددًا فوق فراشه داخل إحدى غرف فندق الفورسيزون الفارهة التى امتدت إقامته فيها لعدة أيام بعد انتهاء المحاضرات التى ألقاها على مسامع مندوبى شركات الأوراق المالية وتداول الأسهم فى مصر، جلس يطالع بعض الأوراق لحظات، سمع طرقات هادئة على باب الغرفة نهض يفتح الباب ليجده أحد عمال خدمة الغرف يبتسم له فى دبلوماسية قائلًا:

- The beer which you request, sir

تفقده فرانكلين بنظرة فاحصة ثم أجابة.



هو إنت مش مصرى!

تنحنح العامل فى حرج وهو يومئ برأسه إيجابًا.

أيوه يافندم مصرى

طب ما تكلمنى مصرى، أنا أعرف أتكلمها زيكم بالضبط

انحنى العامل قائلًا

زى ما تحب يا أفندم، تؤمرنى بحاجة تانية.

أشار له فرانكلين بالانصراف دون أن يتحدث وأغلق باب الغرفة عائدًا بالزجاجة يصب قليلًا من محتواها داخل كأس يستقر داخله مكعبات ثلج انصهر معظمها، ثم رفع الكأس يرتشف منه بضع رشفات فى تلذذ واضعًا إحدى ساقيه فوق الأخرى، ألقى نظرة للنتيجة الرقمية فوق الحائط، كان يعلم التاريخ جيدًا لكن رؤيته عيناً يثير لديه انتشاء ينافس لذة الخمر.

التقط حقيبة معدنية صغيرة بدا من البساطة التى حملها بها أنها خفيفة الوزن وضعها على إحدى ساقيه ثم ألصق إبهامه عند مربع أسود حساس يشبه أفلام النيجاتيف ومض على إثرها ثم صدر عنه أزيز خافت يشى بفتح الرتاج، تطلع لمحتواها بأعين شاردة زجاجية تنافس زجاج الأنبوب الذى يسكن داخل فراغ إسفنج مقوى يملأ الحقيبة يسبح داخله سائل لزج، بينما تتداعى داخل عقله أفكار لا حصر لها والتزام ملقى على عاتقه جعله ينحى الحقيبة جانبًا و يتناول من جوارها أوراق وخرائط تفصيلية لمناطق شهيرة يطالعها وكأنه يراجع مهمته مرة أخيرة، ثم أومأ برأسه وهو يرنو ببصره تجاه النافذة التى تطل على النيل فى شرود ينسج صورًا ويجتر أفكارًا سرت لها فى جسده نشوة ارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة .

***

توقفت فاتن بسيارتها أمام مبنى راقى بمدينة نصر كتب فوق بوابته الأنيقة بخط كوفى **(الجمعية المصرية للدراسات التاريخية)** التفتت جوارها لشريف تستجدى منه تشجيعًا ثم خرجا معًا من السيارة يصعدان بضع درجات حتى البوابة، أبقى شريف على نظارته التى تخفى آثار إرهاق حاد بينما خلعت هى نظارتها تخطف أبصار موظفى الأمن فتوقف بهم الزمن كالمندوهين يطالعون ذلك الجمال الغربى الشرقى المختلط تنحنح شريف فعاد الزمن فى المضى:

- الأستاذ إبراهيم السنباطى الباحث إللى شغال هنا ألاقيه فين
- هو كان فى إجازة والمفروض يرجع من كام يوم وما رجعش، بنتصل بيه تليفونه مقفول وفى البيت عنده فى الشرقية ما يعرفوش عنه حاجة.

انقبض قلب فاتن لسماعها تلك الأخبار التى قد تنبئ بسقوط السنباطى أيضًا بنفس طريقة موت والدها، لعل جثته تتحلل الآن فى مكانٍ ما، لاقت هواجسها نظرة شريف المرتابة فقامت هى بمحاولة يائسة:

- مالوش عنوان فى القاهرة أو أصدقاء نسألهم عنه
- لأ والله إحنا ما نعرفش غير إنه بييجى من الشرقية

هنا أجفلت فاتن عندما تبدل بغتة صوت شريف لصوت جهورى ولهجة آمرة صارمة:

- يعنى إيه مكتب الوزير يبقى عايز باحث عندكم وما يلاقيهوش، إحنا فين هنا!

هنا نهض من نهض وانتفض من انتفض وارتبك من ارتبك، لاح شبح ابتسامة على شفتى فاتن ترمق أحد العاملين:

- حضرتك إحنا فعلًا ما نعرفش عنه أى حاجة!!

بدت آيات الصدق على وجوههم الوجلة فناوله شريف ورقة تحمل رقم هاتفه:



- مصدقك.. عامة لو ظهر كلموا مكتب سكرتارية الوزير على الرقم ده

تنهدت فاتن فى ضيق تلبس نظارتها الشمسية وتسير خلف شريف ليهبطا درجات السلم بلا هدف بعد أن احتشدت الظروف لتمنعهم من الوصول لأى معلومة أو حتى.......

- باشا حضرتك عايز الدكتور السنباطى ضرورى.

التفت شريف وفاتن فى آنٍ واحد لقائل هذه العبارة ليطالعا أحد موظفى المبنى وقد لحق بهما على السلم الخارجى يبتسم لهما ابتسامة سمجة معتقدًا أنها تجعله أكثر قبولًا:

- ضرورى جدًا
- طيب أنا هقول لمعاليك على سر هو قالهولى وقالى ما تقولش لحد خاالص

خفق قلب فاتن عند سماعها هذه العبارة و بدا على شريف الانتباه والموظف يقول فى لهجة متملقة مضاعفة.

- معاليك هو الدكتور واخد شقة فى شارع الهرم ومش قايل لحد علشان يعرف يشتغل فى أبحاثه من غير إزعاج واستأمنى أنا على السر ده أصله بيحبنى أوى وبيعتبرنى إبنه وأنا كمان بحبه جدًا لأنه راجل طيب و.....

هز شريف رأسه فى ضجر مقاطعًا حديثه:

- كويس أوى يا أستاذ ممكن العنوان بالضبط!
- محسوبك عاطف باحث هنا على الدرجة التالتة والمفروض أخد الدرجة التانية من فترة لكن لحد دلوقتى يا باشا ما جاتليش

انفلتت هذه المرة ضحكة فاتن فاستدارت تخفيها عن الموظف الذى غرق فى التملق أمام شريف بينما الأخير ظل جافًا معه قائلًا فى جدية:



- ادينى تليفونك واسمك بالكامل يا أستاذ عاطف وهبلغك خبر حلو قريب إن شاء الله

أثلجت العبارة صدر الموظف خاصة عندما أقرن شريف قوله بإخراج هاتفه من جيبه فاندفع الموظف يردد رقم هاتفه ثم دنا برأسه لهاتف شريف يتأكد من صحته على نحو فَجّ أغلق الهاتف بعد حفظ الرقم أمامه ثم منحه ابتسامة تنم عما يجيش به صدره من احتمال سخافته قائلًا:

- فين بالضبط فى شارع الهرم!
- عمارة(...) شارع الهرم الدور التالت، ثم التفت لفاتن مكملًا، أرجوكى يا فندم فكرى البيه بموضوعى

ابتسمت فاتن رغمًا عنها.. ما تقلقش اعتبر جواب الترقية فى جيبك

الفصل (١٤)

لم تألُ فاتن جهدًا ولم تهدر وقتًا وهى تراجع العنوان مع شريف أثناء انطلاقها بالسيارة بأقصى سرعة تسمح بها حركة السير وسط الزحام المزمن فى الطريق لشارع الهرم حيث العقار الذى وصفه لهما ذلك السمج، قلبها يحدثها بأن اختفاء الدكتور السنباطى له علاقة وطيدة بأبحاث والدها فقط تدعو الله أن لا يصلا ليجدا المكان يعج بالشرطة والمعمل الجنائى يعاين الشقة بعد أن وجدوا جثة السنباطى داخلها منتحرًا.

بعد فترة قيادة شاقة عرجت فاتن بالسيارة إلى شارع الهرم بصخبه وازدحامه الشديد، لم يحتج شريف أفضل من هذا حتى يتمكن من متابعة أرقام المنازل المتسلسلة التى يمرون عليها حتى أشار لبناية من ثمان أدوار تقريبًا تجاوزتها فاتن تعرج لشارع جانبى صغير بعده بقليل اصطفت بالسيارة داخله ثم نزلت مع شريف عائدين للعقار يطالعهما أمامه حارس أسمر من الجنوب بجلبابه الضخم وعمامته التى ترشده لموضع رأسه يجلس أمام بوابة البناية، راقب فاتن وشريف وهما يدنوان منه بهيئتهما ونظاراتهم الشمسية التى توحى بالأهمية مما جعله ينزل قدمه بحركة غريزية من فوق الأريكة الخشبية عندما باغته شريف:

- الأستاذ إبراهيم السنباطى ساكن فى الدور الكام!

كان رد الحارس مقنعًا للغاية عندما أخبره فى قناعة تامة واللعاب يتطاير من فمه أن، الـ... السطني..افقوَلتى.

ثم عاد يضبط كلامه بعد أن زال عنه أثر مباغتته بالسؤال:

الأستاذ السنباطى ماعم يجيشى إهنيه بجاله شهر.

تفحصه شريف لحظات ثم هز رأسه متفهمًا تلاقت عينه مع فاتن من خلف زجاج النظارات المعتم ثم غادرا دون أى كلمة أخرى فلم يحتاجا الكثير من الذكاء ليتأكدا أن السنباطى لا يريد استقبال ضيوف.

مضيا بضع خطوات ثم أبصر شريف على الجانب الآخر من الشارع كافيه بطابقين فأشار إليه قائلًا:

- تعالى نقعد هنا لحد ما نشوف هنوصل للسنباطى إزاى
- تفتكر ليه مش عايز يقابل حد

انتظر شريف حتى عبرا وسط السيارات التى تسير فى تثاقل حتى وصلا للجانب الآخر يتفتق ذهنه عن حقيقة واحدة:

- أكيد يعرف حاجة وخايف يتكرر معاه زى ما حصل مع والدك

صعدا للطابق الثانى من الكافية واختارا طاولة بجوار الزجاج الضخم الذى يطل على الشارع مباشرة، ألقى شريف نظرة على الحارس يتأكد من رصده من هذه الزاوية ثم جلس أمام فاتن يتنهد فى ضيق يمسح وجهه بعد خلع نظارته الشمسية مما دفع فاتن لتسأله فى شفقة.. زهقت!

هز شريف رأسه وهو يخرج من جيبه علبة سجائر وقداحة.. لأ تعبت .

أشعل السيجارة وملأ صدره بدخانها ثم أطلقه تجاه زجاج الواجهة، سعل مرة وتنحنح على نحو تساءلت مع فاتن:

إنت بتدخن جديد! أومأ برأسه أيجابًا وهو لا يزال يتطلع للشارع عبر الزجاج بأعين غائبة يسألها دون أن يلتفت إليها :

- حسيتى بابيه لما عرفتى إن والدك توفى.

أطل الحزن من عينيها وفى عقلها تداعت عشرات المشاهد، توترت خلجاتها وأطبقت شفتيها تبتسم فى أسف:

- ما صدقتش الخبر.. اتصلت بيه كتير أوى واستغربت إنه ما بيردش عليا

التفت إليها وجدها قد شردت يعلم يقينا أنها تجتر ذكريات لا حصر لها، لاذ بالصمت أعطاها وقتها حتى عادت إليه:



- تعرف.. لما كان بيسألنى زمان عايزة تطلعى إيه ،كنت بقوله عايزة أطلع زيك، ولما كبرت اخترت إنى أكون زيه وأدرس فى كلية العلوم وأتخصص فى فرع الفلك، لكن هو كان عايزنى أكون أحسن منه ووادنى أكمل دراسة فى أمريكا أفضل مكان تدرس فيه الفرع ده من العلوم، بصراحة ما كنتش عايزة أبعد عنه لكنى وافقت تحت إلحاحه، وعلى مدار تلت سنين كنت بنزل أجازات الصيف أقضيها معاه وأرجع أكمل، كنا بنتناقش فى مجال دراستى وعن الجديد إللى بدرسه، كان بيحب مجاله.. استمديت حبى للعلوم من حبه ليه.. تقريبًا كنت بحب أى حاجة لمجرد إنه بيحبها، آخر مرة كلمته فيها قبل وفاته بيومين، كان طبيعى جدًا ما شكيتش لحظة إنه بيمر بأى ظروف

مرت عليها لحظة صمت تلملم أشلاء قلب تمزق حزنًا ثم أكملت..

- عارف.. كنت أسمع إن لما شخص عزيز عليك يموت حتى وإنت فى مكان بعيد عنه ممكن تحس بيه..

صمتت لحظات ثم أضافت.. لكن أنا كنت عادى.. توفى وما حسيتش بحاجة.. صمتت مرة أخرى ثم أكملت بصوت مختنق.. وحشنى أوى.. كان فاضل أيام وأنزل أجازتى.. كان نفسى أشوفه.

استمع إليها شريف بصبر وانتباه كامل فقد بدا واضحًا أنها لم تتحدث إلى أحد بعد، تركها تفرغ كل ما يعتمل به صدرها من آلام، وجدها تتشابه معه إلى حدٍّ ما، لم يكن لها سوى والدها ثم فقدته بغتة، أطبق شفتيه أسفًا وحزنًا بينما قبضة باردة تعتصر قلبه وتطبق على أنفاسه تمنى معها لو يترك لمشاعره العنان وينفجر فى بكاء ونحيب بلا نهاية، مع شعور شبيه تجاه زوجته الراحلة يعربد فى أعماقه صورتها حلم جميل وصوتها لحن أغنية دار فى رأسه بلا توقف.. الحياة بدونها حذاء بالٍ غير مأسوف على

ضياعه، تماسك حتى لا تنقلب إلى جلسة اعتراف كالتى يقوم بها من يعانون ضغوطًا نفسية فى عيادات الأطباء النفسيين، أفرغ أحزانه فى سيجارته ثم أطفأها وأشعل غيرها دون وعى ثم تطلع لأول مرة لعينى فاتن الزرقاء التى كانت تغلفها طبقة من دموع أبت إرادتها أن تخضع لها فسجنتها فى مقلتيها، زفر شريف دخان سيجارته وبعض نيران تأججت فى صدره محاولًا تغيير دفة الحديث:

- بمناسبة لغز مفتاح سليمان إللى والدك سابهولك، كان فيه على الورقة إللى كتب فيها اسمى، مجموعة حروف جنب بعض، أنا طبعًا مش فاكرها لكن إللى فاكره إنها متلخبطة ومش مفهومة.

ابتسمت فاتن فى أسف تسحب حقيبتها (waist bag) المعلقة حول كتفها وتخرج منها وريقة صغيرة ناولتها لشريف شارحة: لما اتطلعت على المحضر فى القسم نقلت الحروف من الورقة، حاولت أعرف معناها لكن ما وصلتش لحاجة.

تطلع شريف للأحرف التى يصعب حتى نطقها بذلك الترتيب، يغمغم دون أن يرفع عينيه عنها:

أعرف طريقة تشفير تقليدية بيسموها (جناس تصحيفى) عبارة عن قلب الحروف الأبجدية لارقام وقلب الأرقام لحروف على حسب ترتيبها المتسلسل، ممكن نجربها.(*)

تطلعت فاتن لوجه شريف فى دهشة ثم التقطت الوريقة من يده فى حماس مباغت تقرأ العبارة:

ثم بدأت بالفعل بقلب أحرف الكلمة لأرقام والأرقام لحروف وهى تهمس

(شيغ، ءضثطعق) ٢:١


*حقيقة

وكأنها تحدث نفسها:

وفق جدول الحروف الثلاثينى حرف الشين هو رقم ١٣ والياء رقم ٣٠

أخذت فاتن تحصى أرقام الأحرف وفقًا لترتيبها فى جدول الأحرف حتى تمت رقم

١٣،٣٠،١٩ .. ٢٩،١٥،٤،١٦،٢٩،٢١ .. با

تطلعت للرقم بحيرة مضاعفة، ناولته الورقة تطلع بدوره للرقم يهز رأسه نافيًا ثم مط شفتيه يعيد إليها الوريقة متسائلًا:

الرقم ممكن يكون أى حاجة، إحداثيات موقع مثلًا أومتوالية عددية، أو يكون مفتاح التشفير غلط من الأساس، والدك كان عايز يخفى كل حاجة عن حد معين، الغريب إنه منتظر مننا نحل كل الألغاز دى!!

- فعلًا! طب على أساس إيه كان مستنينا نفهم الكلام ده!

تنهد يلقى نظرة عبر الزجاج للحارس الذى وجده ينهض من فوق أريكته الخشبية يدلف لمدخل البناية ثم توقف أمام المصعد ثم ضغط زر الاستدعاء

نهض شريف وفاتن التى فطنت بدورها لغموض ما يقوم به الحارس ترك شريف الحساب ثم هبط للشارع تتبعه فاتن، ثم دخلا البناية نحو المصعد الذى أفصحت شاشته الرقمية عن توقف المصعد عند الطابق الثالث وفى طريقه للعودة بناء على استدعائهم.

انتظرا فى الطابق الثالث أمام شقتين للحظات حتى سمعا رتاج باب إحدى الشقتين من الداخل ثم فتحه يطالعهم الحارس يشرع فى الخروج ليباغته شريف يدفعه للداخل فى خشونة قائلًا:

- الدكتور إبراهيم السنباطى فين

ارتبك الحارس من المفاجأة وهو يتراجع داخل الشقة أمام لهجة شريف الجافة:

- مش إهنيه، الدكتور مش إهنيه ورب الكعبة
- أمال فين، مش دى شقته!
- إإإإ يوه ... بس هو فى المستشفى بجالة كام يوم وأنا بتمم ع الشقة.

أمسك شريف بياقة جلبابه وحسرها حول عنقه ثم صدم به الجدار وبلهجة جافة:

- مستشفى إيه إللى راحها

احتقن وجه الحارس وبدا الاختناق على ملامحه ثم تكلم فى تردد:

الحكومة وديته السرايا الصفرا.



الفصل (١٥)

خبر فى نشرة أخبار

استقبل مطار القاهرة اليوم وفد رفيع المستوى من الأمم المتحدة ضمن فعاليات مؤتمر الدعم المادى والاقتصادى والتعاون المشترك.

خبر فى جريدة قومية

تنبؤات بانتعاش السياحة فى مصر بعد قرارات إلغاء أمريكا وبريطانيا وألمانيا الحظر على مواطنيها للسياحة فى مصر، وتزامنًا مع إلغاء الحظر تلقت هيئة الآثار عدة طلبات لأفواج مترقب وصولها قريبًا

خبر على أحد مواقع التواصل الاجتماعى

الحكومة تقوم بتحديثات كبيرة فى عدة محافل أثرية تحسبًا لوصول أفواج سياحية قريبًا

جريدة معارضة

أعرب العديد من الأهالى استياؤهم من سحابة الأدخنة التى تغطى معظم أرجاء العاصمة متساءلين عن سببها فيما أوضح المتحدث باسم وزارة الزراعة أن مشكلة حرق قش الأرز هى ما تسببت فى السحابة البيضاء، فيما نقل سيادته وعدًا على لسان سيادة الوزير بأن العام القادم سوف يكون خالى من سحابة حرق مخلفات الأرز.

***



- طبعًا كلكم عارفين حضارة المايا العريقة(*) إللى استمرت حوالى ثلاثة الاف عام فى الفترة (من ٢٠٠٠ ق.م حتى ٩٠٠ ميلاديًا) واللى كانت متميزة فى الفلك والرياضيات فقدرت بتطورها ترصد كويكب بيمر جنب الأرض كل ٤٩٠ سنة سموه كويكب (نيبرو) وأثبت العلم الحديث بالأرقام إنه فعلًا مر لحد دلوقتى ١٢ دورة وقريب أوى دورته الـ ١٣، ومن أهم تأثيراته إنه بيولد مجال كهرومغناطيسى قوى جدًا لكنه مش مضر .. و هنا وقف العلم الحديث، لكن بعض الخبثاء توصلوا لشروط لو توافرت أثناء مرور الكويكب هيكون المرور مصحوب بمشكلة كبيرة أوى زى ما حصل فى مروره التاسع.

تنحنح الدكتور (إبراهيم السنباطى) أستاذ مادة التاريخ بجامعة القاهرة وبقى صامتًا للحظات يترك فيها فرصة لعقول الجالسين أمامه لاستيعاب نظريته التى يقوم بشرحها لهم، ثم رفع ثلاثة أحذية يمسك بها أمامه يمثل طريقة مرور الكويكب قائلًا:

- زى الشباشب دى كده.

وضع حذائين ومرر الثالث من وسطهم مضيفًا

- دى الأرض ودة كوكب الزهرة ودة كويكب نيبرو وسطهم.

(*)حضارة نشأت عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد وسكنت فى تلك المنطقة التى أصبحت المكسيك حاليًا، وصلت لمستويات غاية فى التقدم العلمى والفلكى والحسابى وحتى السحر الأسود وتسخير الجان، أكدت فى أكثر من موضع أن الزمن يدور فى دوائر وأن التاريخ يعيد نفسه لذا قامت بالعديد من الحسابات فى محاولة للتنبؤ بالمستقبل فى أمور بقيت لغزًا حتى اليوم، قامت بوضع تقويم حسابى دقيق للأيام والسنين وتوصلت أن نهاية ذلك التقويم هو نهاية العالم وبالتالى دورة الحياة الحالية التى ستصبح عام ٢٠١٢، وهو ما لم يحدث فى هذا العام، اكتشف علماء معاصرون أن إزاحة الأيام عام بعد عام سوف تجعل من نهاية العالم بعد عام توقع المايا ببضعة أعوام.

ثم أضاف فى انفعال وكأنه يلقى بكلمة النهاية فى حفل ساهر

- إنتوا عارفين بقى إيه الأحداث إللى تزامنت مع المرور التاسع وعملت كارثة!!

أطلت نظرة بلاهة من أعين الجالسين أمامه بزيهم الموحد من القمصان البيضاء الطويلة خلفية الأزرار المميزة لرواد مستشفى الأمراض العقلية يشاركهم فيها الدكتور السنباطى الذى كان يقف فوق أحد الأسرة يشرح نظريته لهم، مما دعا بعض الجالسين أن يشيروا إليه قائلين فى تردد متوجس:

- مش عايزين نعرف، إحنا عايزين الشباشب بتاعتنا ...

(دكتور إبراهيم السنباطى.. زيارة)

ألقى السنباطى بالأحذية لأصحابها من رواد القسم فتقافزوا يتلقفونها فى فرح وسعادة كمن أفرج عنه بعد طول انتظار، ثم هبط بقامته القصيرة نسبيًا من فوق سرير أحد المرضى داخل العنبر يتوجه للممرض الذى قال العبارة السابقة يسأله فى دهشة عن شخصية الزائرين، لم يجبه الممرض المتجهم واكتفى باصطحابه فى تململ لغرفة جانبية ما أن فتح بابها حتى وجد داخلها رجل وامرأة يجلسان فى انتظاره، غادر الممرض وأغلق باب الحجرة فنهضت المرأة قائلة:

- أستاذ إبراهيم السنباطى! أنا فاتن نجيب عبد الحافظ، بنت الدكتور نجيب عبد الحافظ الله يرحمه، وده أستاذ شريف صديق مقرب.

بدا وجه السنباطى جامدًا لا يحمل أية انفعالات ينقل بصره فيما بينهم فى توجس يحرك شفتيه يرتل عبارت خافتة غير مسموعة تسرب القلق لفاتن

وشريف إلى أن توقف عن الترتيل يتفحص ملامحهم بنظرة ثاقبة ثم لانت ملامحه وعاد لهدوءه يرسم ابتسامة على وجه متغضن يبدو عليه الإرهاق والتوتر والسهاد يحرق عينيه:

- إيه إللى خلاكوا تدوروا عليا!!
- هنحكيلك كل حاجة يا دكتور ويارب نلاقى عندك إجابات

جلس ثلاثتهم وعلى مدار نصف ساعة قَصّوا ما مروا به من البداية على مسامع السنباطى الذى توترت ملامحه للغاية وتلاحقت أنفاسه على نحو بدا وكأنه مقبل على أزمة قلبية.

الفصل (١٦)

فى أحد الأحياء الراقية وفى ساعة متأخرة من الليل بينما الأمطار الشتوية تهطل بغزارة خلت على إثرها الشوارع من المارة وقل عدد السيارات للحد الأدنى، خففت سيارة كيا سيراتو سوداء من سرعتها حتى توقفت أمام حانة ذات إضاءة خافتة تكمن بوابتها فى السرداب كتب فوقها بأنابيب ضوئية، (ين يانغ بار) وعن يسار الاسم هلال، لم يكن أحدًا من سكان المنطقة يعلم المعنى الحقيقى للين يانغ والهلال المتجه حلقته لليمين أى فى المرحلة الأخيرة للإظلام التام والذى تعتنقه إحدى المنظمات السرية فى إشارة لانتهاء العالم الحالى كما نعرفه وبداية نظام عالمى جديد

(سعيد الدسوقى) مأمور قسم الهرم أيضًا لم يكن يعلم ذلك وهو يترجل من سيارته (السيراتو) يحكم إغلاق معطفه ثم يتوجه بخطوات واسعة فى محاولة لتقليص فترة مروره تحت الأمطار قبل الوصول لساتر عند بداية سلم يهبط لأسفل تجاه الحانة هبطه سريعًا حتى وصل لبوابة البار الخشبية ودفعها فى بطء وترقب حتى طالعه خلفها أحد المتأنقين يرتدى زى رسمى لاستقبال الضيف كواجهه للبار، ابتسم الرجل ابتسامة نحتت على وجهه بلا أى شعور، أشار لسعيد للداخل

- إتفضل

لم يجبه سعيد وهو يكمل طريقة لمدخل البار الهادئ الصغير من الداخل يتطلع للقليل ممن يجلسون يحتسون مشروبًا كحوليًا وسط إضاءة خافتة، لم تطل التفاته مكملًا طريقه لباب صغير فى آخر البار وكأنه يعلم هدفه جيدًا حتى اقترب منه فظهر شخص جواره يستوقفه قائلًا:

- دة مخزن البار يا أفندم وممنوع الرواد يدخلوه.

ابتسم سعيد فى تهكم وهو يخرج هاتفه يطلب رقمًا منتظرًا رد الطرف الآخر وهو ينظر لذلك الرجل مغمغًا:

- أنا لو عايز أدخل هدخل أنا العقيد سعيد الدسوقى، بس بلاش قلق

لحظات وأجابه على الطرف الثانى صوت أنثوى

- العقيد دسوقى هبعتلك واحد حالًا

مرت لحظات وسعيد يرمق الحارس باستخفاف حتى انفتح الباب ومن خلفه ظهر باب آخر يشير لسعيد بالدخول، تبعه عبر مخزن خمور برىء المظهر حتى رف ضخم دفعه الرجل فانزاح كاشفًا عن صخب مباغت احتوته جدران عازلة لصوت موسيقى محمومة وساهرين لم يتبين ملامح أيًا منهم وسط إضاءة شحيحة ملونة ومتحركة يتراقصون فى مجون وعشوائية تنم عن سكر بَيِّن وتناول لعقاقير مخدرة تكفى مدينة، مع ملابس سوداء والكثير من الكحل الأسود حول الأعين وكأنه ولج بوابات الجحيم وسط الشياطين، وعلى الجانب الآخر طالعه وجه عفاف بملابس فضفاضة شفافة تبتسم بخبث، بادلها ابتسامة متفحصة ثم تبعها للداخل حتى وصلا لغرفة مستقلة جلست على أحد مقاعدها تضع ساقًا فوق الأخرى:

- نورت المكان يا سيادة العقيد إتفضل إقعد
- ليه أصريتى أجى هنا أخد المبلغ
- ما تقلقش هنا أأمن مكان تاخد فيه مكافأة نهاية الخدمة.

ابتسم سعيد فى تهكم يخفى به شيئًا من القلق خالج ثقته، كان ينوى إنهاء تعامله معهم بعد أن دارت حوله بعض الشبهات، وقتها أخبرهم بأنه آخر تعامل له معهم وطالبهم بمبلغ لا بأس به يصلح كنهاية موفقة لتعامل مثمر يوفر له فيلا فى منطقة راقية ومبلغ محترم يعيش على ريعه، تظاهر بالتململ قائلًا:

- طب لخصى يا عفاف أنا مش طايق أقعد فى مرستان المجانين ده، فين المبلغ

أشعلت عفاف سيجارة ونفثت دخانها فى سماء الحجرة تختلس نظرة لم ترق لسعيد وضاعفت من قلقه:

- دكتور التاريخ إللى بيتكلم عن شغلنا.. لازم نتخلص منه

هز رأسه نافيًا، ما اتفقناش على قتل، هحاول أحبسه لحد ما تخلصوا شغلكم.

مَطَّت شفتيها فى عدم رضا دون تعليق ثم أضافت: الأهم من كده لازم تفضيلنا المنطقة من الأمن

اقتضب سعيد مستنكرًا: مستحيل أدّى أمر بكده، هيتعملى تحقيق وهتسأل وهتكشف، وساعتها مش هسيبكم

تابع سعيد رد فعل عفاف التى لم يبدو على ملامحها أى ضيق أو انزعاج، أخذت تحرك ساقها وتهز رأسها موافقة تنبت على طرف شفتيها ابتسامة أثارت توجسه.

لاحظ تعلق عين عفاف بنقطة ما خلف كتفه مما جعله يحاول التقاط طبنجته الميرى وهويلتفت فى سرعة إلا أن الواقف خلفه دس قطبى صاعق كهربى فى عنقه ارتَجَّ كيانه ثم أظلم عقله.

حمله مهاجموه وأسجوه فوق الطاولة وجردوه من ملابسه ثم أفسحوا المجال لرجل يرتدى زيًا فضفاضًا أسودًا يخفى رأسه ووجهه بغطاء رأس من نفس الثوب يقترب من سعيد يقوم برسم رموز وطلاسم على صدره وجبهته ثم يشعل النيران فى أوراق زهرة الياروا البيضاء حتى صارت رمادًا ويفركها فوق جسد سعيد وهو يردد تعزيمات وطقوس انتفض على إثرها جسد سعيد عدة مرات وعلى وجهه بدت أمارات معاناة يمر بها، ألقى ببقايا رماد الزهور المحترقة ثم عاد يدنى غطاء رأسه وهو ينهى الطقوس ويغادر دون تعقيب تاركًا الانتفاضات تغزو جسد سعيد للحظات، ثم تراخى جسده وانتظمت أنفاسه.. وفتح عينيه مبتسمًا ابتسامة لو شاهدها هو نفسه لسقط مغشيًا عليه هلعًا.

الفصل (١٧)

لا توجد وقائع يسردها شريف تصنع ذلك التأثير على وجه السنباطى بالفعل سوى أحداث نهاية العالم بعد أن انتهى من رواية ما مر به مع فاتن، امتقع وجه السنباطى وزاغت عينه بينما صدره يعلوا ويهبط مع أنفاسه، مرت لحظات صمت يتطلع للفراغ ثم أخيرًا تحدث فى صوت منخفض:

- إللى ببتحكيه ده خطير فوق ما تتخيل، إنت عارف إللى حصل لمراتك ده إسمه إيه.. إسمه مس من الشيطان، ده حاجة معروفة، أضاف السنباطى فى انفعال مباغت أجفل له فاتن وشريف:
- لكن ما كانش بالقوة دى، ثم عاد يميل عليهم بصوت خفيض مكملًا.. كان أقصى حاجة بيقدروا يعملوها هى وسواس قهرى ويقلبوا حياة الممسوس، إنما يسيطروا عليه بالقوة دى ويجبروه ينتحر ويحرقوا أوراق فاتن فى مكتب نجيب الله يرحمه بالدقة دى.... كده يبقى دخلنا مرحلة جديدة.

تلاقت أعين فاتن وشريف لحظة واحدة أطل فيها تساؤل متشكك دفع شريف لتفحص قميص السنباطى الأبيض خلفى الأزرار يتفق مع بعض بقع الشيب فى شعر رأسه المجعد وقد بدأ يشك فى قواه العقلية بالفعل فعاد يسأله فى حذر:

- مرحلة إيه بالضبط!

تلفت السنباطى يمينًا ويسارًا وعينه تدور فى فراغ الغرفة فى رعب بلا مبرر مغمغمًا:

- مرحلة التأثير المادى للجن والشياطين.. حرب ميتافيزيقية يعنى

ردد شريف المصطلح فى دهشة كبيرة مما حث السنباطى على الشرح بلهجة طبيعية:

- كلنا سمعنا عن حرب الطيارات والدبابات، والحرب البيلوجية، والحرب الكيميائية، والحرب الإلكترونية، والحرب الاقتصادية والنفسية والإعلامية، لكن الحرب الميتافيزيقية **(META PHIZEX WAR)** حرب وسوس بيها الشيطان لبنى الانسان.. حاجة كده معناها حرب بالظواهر الخارقة للطبيعة والمقصود منها دفع جحافل من الجن والشياطين بقيادة قائد منهم للسيطرة على العدو ويخليهم يحرقوا حياتهم بايديهم من غير ما العدو يخسر جندى واحد من جنوده.

اقشعر بدن فاتن فتلاقت عينها مع شريف تستجدى منه تأييد أو إنكار لتلك المعلومات فلم تجد ضالتها فعادت للسنباطى عندما أكمل فى حماس قاصرًا الحديث على فاتن:

- الحاجات دى بعد وفاة والدك حاولت أحذر منها، ساعتها إتعرضت لمحاولات قتل كتير بنفس نمط وفاة والدك، وزوجتك، لكن أنا بردد باستمرار عبارت تحصين إللى قالك عليها والدك فى رسالته لأنها بتحجب إللى يقراها عن عيون الشيطان، جريت زى المجنون أحذر مسؤولين كبار وكانت النتيجة زى ما إنتوا شايفين محدش صدقنى، صرخت وزعقت وحذرت فكان رد فعلهم حماسى جدًا، بقيت محبوس هنا مع المجانين.. أنا عارف إنى خارج خارج لكن مش قبل ما الفاس تقع فى الراس، يعنى بعد ما المصيبة تحصل.. دنا منهم يخفض صوته بغتة مردفًا، فيه مؤامرة كبيرة أوى

بتحصل يا ولاد ومشترك فيها ناس كبار أوى سواء بإرادتهم أو إن طقوس تقمص شيطانى إتعملت عليهم.

تلاقت أعين شريف وفاتن من جديد ولسان حالهم، واحد اتقتل والتانى اتجنن، أشار شريف لهاتف فاتن فأضاءت شاشتة تعرض صور نقوش بوابة النصر للسنباطى قائلة:

- محتاجين نترجم ده يا دكتور.

ضيق السنباطى عينين وهن البصر بهما يدقق فى صور بوابة النصر وما تحوية من نقوش برقت لها عينيه وأشرق وجهه وندت على قسماته آيات المعرفة فضرب جبينه براحته وهو يقهقه فى حسرة محدثًا نفسه.. بوابة النصر بلغة الملائكة!! العبارة منقوشة هناك طول الزمن ده ومحدش لاحظ!!

عاد للواقع يدور بعينيه فى ملامح فاتن وكأنه يرى شخصًا آخر فيها قائلًا فى ود وقد بدا عليه التأثر هامسًا:

- إللى خلف ما ماتش..ثم أردف، هحكيلك يا بنتى على كل حاجة.. أنا ووالدك الله يرحمه كنا أصحاب من زمان لكن كل واحد شغلته الدنيا وما كنتش أعرف حاجة عنه فوجئت باتصاله إنه عايز يتكلم معايا ضرورى، كنت فى بيت العيلة ساعتها فى الشرقية، نزلتله القاهرة مخصوص وإتقابلنا فى شقة الهرم، كانت حالته غريبة أوى ما بين الحماس والخوف وقالى حاجات كانت غريبة وقتها، إن الدورة ال ١٣ لمرور كويكب نيبرو مش هتعدى بسلام، ساعتها بدأ كلامه معايا عن أحداث نهاية العالم وقالى أنــ..................

- إيه رأيك يا دكتور سنباطى فى أحداث نهاية العالم!!

تطلع السنباطى للدكتور نجيب الجالس أمامه فى شقة الأول بالهرم فى ريبة وقلق قائلًا:

- نهاية العالم كلنا مؤمنين بيها لكن محدش هيقدر يعرفها ولا يستنتج وقتها إلا ربنا عز وجل
- ونعم بالله لكن إنت أستاذ تاريخ وعارف إنى ما بتكلمش عن النهاية الأخيرة إللى هاتفنى فيها كل صور الحياة بعد ظهور علامات القيامة الصغرى والكبرى، أنا بتكلم عن نهاية العالم زى ما إحنا نعرفه، ويتحول لصورة تانية مختلفة إنت عارفها كويس.

تلاقت أعينهم لحظات ثم عاد السنباطى يسأله فى حذر

- عايز تقول إيه بالضبط يا نجيب

مال نجيب للأمام وصمت لحظات وكأنه يبحث عن بداية مناسبة

- فكرتى معقدة شوية يا سنباطى بس إنت أستاذ فى التاريخ وأكتر واحد هيفهمنى، بقالنا زمان ما ا تقابلناش لكن إحنا أصحاب من أيام الدراسة وتفكيرنا كان قريب من بعضه.
- طبعًا يا نجيب بس الدنيا مشاغل بقى

أومأ نجيب برأسه موافقًا ثم أخذ نفسًا عميقًا وأردف فى لهجة تنم عن خطورة:

- هدخل فى الموضوع على طول يا سنباطى محدش عارف الساعات الجاية هيحصل إيه

.. حضارة المايا من أربعة آلاف سنة قبل الميلاد قدرت بعلومها وحساباتها إنها ترصد مرور كويكب صغير بين الأرض والزهرة سموه كوكب نيبرو أو(كوكب العذاب) على اسم أحد آلهتهم، و طبيعى جدًا من الناحية العلمية إن مرور جسم ضخم قريب من الأرض ينتج عنه قوة جذب متبادلة بينه وبين جاذبية الأرض ينتج عنها حقول كهرومغناطيسية فى أماكن متفرقة من الأرض.

وافقه السنباطى بإيماءة من رأسه.. عادى يا نجيب أنا عارف الكويكب ده والعلم أثبت إنه مر قبل كده جنب الأرض ١٢ مرة على مر التاريخ وما حصلش حاجة.

برقت عينا نجيب وأجاب فى غموض:

- فى الـ١٢ مرة يا سنباطى ماحصلش حاجة!!
- أعتقد كده!!

ابتسم نجيب يهز رأسه نافيًا:

حضارة المايا ما وقفتش لحد هنا، اكتشفوا إن مواصفات الكويكب مع توقيت مروره هى من شروط طقوس سحر مشهورة عند اليهود متعلقة بمواقع النجوم والأرقام، طقوس خطيرة جدًا لأنها متعلقة بجلب شيطان دموى وشنيع اسمه (بامفويت) علشان كدة كهنة المايا حفروا الطقوس دى على لوح حجرى وخفوه جوه هرمهم المدرج (تشى تشن إتزا) فى شبه جزيرة يوكاتان.

لكن منظمة أرمينية خبيثة اتولدت واتكونت من ألفين سنة قبل الميلاد من يهود أرمينيا اسمها (الهيبرو) سمعت عن الطقوس وعرفت إنها حقيقة مش مجرد أسطورة عندهم، وفعلًا وصلوا عن طريق جواسيسهم للمكان إللى مخفى فيه اللوحة وقدروا يسرقوها من هرم المايا بطريقة مجهولة.

لما المسيحية اجتاحت أرمينيا سنة ٣١٧ ميلاديًا، منظمة الهيبرو هربت بره أرمينيا وخدت معاها لوحة الطقوس واختفوا تمامًا بعدها من كل مراجع التاريخ أو إنهم إتخفوا ورا اسم تانى لكنهم ظهروا فجأة وقت الدورة التاسعة لمرور الكويكب وحاولو تنفيذ الطقوس لكن واضح إن الطقوس كانت ناقصه جزء مهم، علشان كدة فشلت... توارثوا اللوح لأجيال وأجيال مستتيين الدورة ال



١٣ علشان يكرروا الطقوس فى نفس المكان إللى محدداه اللوحة الصخرية بعد ما قدروا يكملوا الجزء الناقص منها.

تسرب بعض التوتر لنفس إبراهيم السنباطى انعكس على قدمه التى أخذ يحركها حركات عصبية دون وعى يتطلع لنجيب مفكرًا فى وجل، يقلب معلوماته التاريخية التى تؤكد صدق تلك المعلومات القديمة للغاية عن اكتشاف ورصد حضارة المايا لكويكب نيبرو والذى أكدته العلوم الحديثة وتم رصد مروره بالفعل ١٢ مرة بعدها.
هو يعلم شهرتهم فى علوم الفلك والتنجيم على نحو شديد التطور وتنبؤات مذهله أثارت الشك لدى المؤرخين حول إمكانية تواصلهم مع عالم الجان عبر بوابات نجمية * حقيقة
ثم زادت الشكوك عندما توصل المستكشفون لسبق وجود لوحة أسرار معترف بوجودها ضمن آثار المايا كانت تضم سرًا كبيرا لم يضطلع عليه إلا بضع اشخاص حول العالم احتفظوا به لأنفسهم، حتى اختفت اللوحة بغتة دون أدنى أثر فى التاريخ بأكمله.

- ها يا دكتور سنباطى فيه أى خطأ تاريخى فى كلامى!!
انتبه عقل السنباطى لكلمه نجيب التى انتزعته من تفكيره ثم هز رأسه نافيًا وهو يجيب
- بس ربطك بين المايا وجماعة الهيبرو مخيف أوى يا نجيب و فيه تساؤلات مهمة ما جاوبتش عليها، إيه إللى حصل فى الدورة التاسعة، مفيش أى حاجة فى التاريخ بتتكلم عن إللى بتقوله ده.
ارتسمت ابتسامة غامضة على وجه نجيب وهو يتطلع لعينى السنباطى مباشرة قائلًا:



- عيب يا دكتور.. ده إنت أكتر واحد عارفها لأنك كنت بتدرسها كل سنه لطلبة الفرقة الثانية فى كلية الآداب قسم التاريخ.

ثم أضاف وهو يخفض صوته ويميل للأمام نحو السنباطى على نحو يعكس إثارة تموج بها نفسه وفكرة مجنونة تحاصره انعكست على عينيه التى تألقتا بشدة قائلًا كمن يلقى بكلمة النهاية التى طال انتظارها فى نهاية حفل ساهر:

- حصلت سنة ١٠٦٥م يا سنباطى.. إنت عارف كويس إيه إللى حصل وقتها.

***

امتقع وجه السنباطى يطالع وجه نجيب وكأنه يطالع وجه مخبول فقد عقله، وفى رأسه قفز مشهد له منذ شهرين على الأقل أثناء دخوله قاعة المحاضرات الممتلئة عن آخرها فى مدرج كلية الآداب قسم التاريخ لمجرد أنه فى المحاضرة السابقة أشار بأن موضوع المحاضرة القادمة سيكون عن أظلم العصور الكارثية التى مرت على مصر منذ عشرات القرون والتى فيها تناقص تعداد السكان لأقل من النصف، يومها ألهب حشد الحاضرين حماسه وراح يشرح باستفاضة وتفاصيل دقيقة للغاية قائلًا:

طبعًا كلكم عايزين تعرفوا المعلومات الحقيقة والصحيحة عن أظلم عصور مصر وأكثرها دموية، فى بداية القرن الخامس الهجرى عام ١٠٣٦ ميلادى فى عصر الدولة الفاطمية كانت بداية عهد الخليفة الفاطمى الثامن على مصر (المستنصر بالله بن على الظاهر)، حكم مصر لمدة ستين سنة كانت مصر وقتها من بداية حكمه ولمدة تلاتين سنة بتنعم برخاء ونعيم وازدهار ما

شافتهوش قبل كده، كان عصرها الذهبى إللى مش هيحصل تانى، لكن بغرابة شديدة ابتداء من سنة ١٠٦٥م أحوال البلد إتدهورت فى آخر ٣٠ سنة بسرعة رهيبة وبطريقة ملهاش تفسير عند كتير من المؤرخين.

نشبت خلافات طاحنة بين قواد جيش الخليفة وأصابهم توحش ودموية غريبة تزامنت مع جفاف نهر النيل وانتشار وباء قاتل، بعدها الخير قل فى البلد وكترت الأمراض والزرع مات والأرض نشفت بعد ما النيل جف تمامًا ولمدة سبع سنين كانت البلد بتمر بحالة من الشر والشؤم، الشعب ما كانش لاقى ياكل وهلك الحرث والنسل، الخليفة نفسه ما كانش لاقى ياكل ويقال إنه باع الرخام إللى على مقابر أجداده علشان رغيف عيش.

فى البداية كانت الصراعات فى الشوارع على الخبز، مع الوقت ما بقاش فيه عيش فبقت الصراعات على أكل البغال و القطط والكلاب فى الشوارع لحد ما خلصت، وفى مراحل متأخرة اتجهوا لأكل موتاهم، لدرجة إن أحد الوزراء نفذ حكم إعدام شنقًا فى تلت لصوص وعلقهم فى شجرة، جم اليوم التانى لقوهم عضم بس والناس كلت لحمهم..

وفى مرحلة سودة وأخيرة الناس صنعت الخطاطيف والكلاليب وطلعت فوق بيوتها تصطاد المارة فى الشوارع وتدبحهم وتاكلهم، وانتشرت التجارة فى اللحم البشرى.
راقب السنباطى الامتعاض وتقلص العضلات التى بدت على وجوه الطلبة ثم هز رأسه فى أسى مكملًا:



للأسف هى ده الحقيقة لدرجة إن ما بقاش حد ينزل الشارع وكانت عائلات كاملة تموت فى بيوتها من الجوع والوباء ولو محدش اكتشف موتهم ودخل أكلهم كانت جثثهم بتتعفن من غير ما تلاقى إللى يدفنها، كان الشؤم والشر والبوار فى كل مكان، انتشرت الأمراض الوبائية، وصل تعداد سكان مصر خلال الفترة دى لأدنى عدد وصلتله فى تاريخها.. علشان كده سموها (الشدة المستنصرية)(*)

صمت السنباطى لحظات يتطلع لوجوه الحاضرين مرة أخرى فى القاعة أمامه التى سادها الصمت المطبق وكأن الحاضرين على رؤوسهم الطير من وطأة ما يسمعون.

- دكتور سنباطى إنت شايف إن سبب الشدة كان مجرد جفاف للنيل!

انتفض السنباطى يستفيق على عبارة نجيب الهامسة التى انتزعته من ذكريات القاوه لمحاضرة لم يمض عليها الكثير لطلبة الصف الثانى لكلية الآداب قسم التاريخ، يتطلع لنجيب الذى يجلس أمامه ينظر إليه فى ترقب وقد ضاقت عينه فى انتظار رد فعل السنباطى الذى ازدرد لعابه فى صعوبة وهو يغمغم فى شرود.

بصراحة لأ السلوك كان غريب ودموى أكتر من اللازم وكأن...... الشياطين كانت وسطهم

أشرقت ملامح نجيب وشعر بغبطة، لقد فعل حسنا بالتحدث لصديقه القديم حول ذلك الأمر فقد قفز السنباطى للنتيجة بأسرع مما كان يتوقع منه المصريون حقًا فى تلك الحقبة كانت سلوكياتهم شيطانية.

(*) حقيقة تاريخية

- بالضبط يا سنباطى.. فى الحقبة دى حصل مرور لكوكب نيبرو فى دورته التاسعة وفى نفس الوقت كان دخل جنود السلاجقة جنوب مصر ووسطهم اندس عناصر من جماعة الهيبرو قدروا ينفذوا طقوس لوحة المايا الصخرية بطريقة مجهولة دفعت للبلاد بالعشرات من شياطين الجن أتباع بامفويت بأصنافهم المتباينة.

اخترقوا العقول وسيطروا عليها وبالذات عقول قادة الجيوش وخلوها تحارب بعضها بغرابة شديدة، نشروا الجفاف والجوع والشؤم والموت والأوبئة والدم إللى بقى مالى الشوارع، لدرجة إن الناس كانت بتاكل بعضهم صاحيين يا سنباطى.

صمت نجيب يلتقط أنفاسه المتتابعة من فرط الإثاره ثم أردف.. فى شخص يا سنباطى مفيش غيره إللى قدر يعرف مكان منبع الظلام وقدر يتغلب عليه ويدحر مخطط الهيبرو الأول.. لكنه أخفى مكان المنبع وطريقة دحرها بشفرات متسلسلة صعبة جدًا.

ظل السنباطى يحدق فى وجه الدكتور نجيب فى شرود يجمع شتات افكار تتداعى داخل عقله بسرعة رهيبة رفعت من معدلاته الحيوية فندت لها جبينه رغم برودة الطقس وسبحت فى عقله صورة تخيليه للرجل الذى يقصده نجيب، خفض رأسه يمسح جبينه براحة يده يتابعه نجيب فى صمت من يحرص على عدم بتر أفكاره ثم رفع السنباطى رأسه تتلاقى عيناهم فى صمت وقد بدا بعض الاهتمام على وجه السنباطى قائلًا فى حذر:

- وبوابة منبع الظلام دى عبارة عن إيه يا نجيب .

بدت الحيرة على وجه نجيب يمط شفتيه يهز رأسه نافيًا فى أسف:

- جايز تكون بوابة كهف أو مغارة أو فجوة فى الأرض أو حتى فى السما.



بدا حذر وريبة على وجه السنباطى وهو يسأل نجيب:

- إنت تعرف أى معلومات يا نجيب عن حالات المس الشيطانى التى بتقول إنها حصلت بكثافة فى فترة الشدة المستنصرية!

لم يكن ذلك السؤال الذى توقعة نجيب من السنباطى، ثمة خطب ما بادٍ فى عينيه وطريقة سؤاله، لكنه أجابة فى حذر

- بصراحة لأ، مالك يا سنباطى حاسس إن الكلام ما كانش مفاجئ ليك

هز السنباطى رأسه نافيًا وقد اعتلت وجهه ابتسامة فاترة تجمع بين الحزن والأسى:

- طول عمرنا بنكمل بعض يا نجيب حتى وإحنا ما إتقابلناش من سنين، للأسف أنا أعرف أمور عن حالات مس من جن وشياطين بتحصل اليومين دول، متابعها بصورة سرية لأن ما ينفعش أستاذ جامعى سابق وباحث تاريخى محترم يدرس حالات مس وتقمص شيطانى وسحر.. المجتمع مش هيتقبل ده، لكن الحقائق دايمًا تظل حقائق حتى لو لم تقتنع بها، علامات المس أنا عارفها وبحاول دايمًا أحصرها.. لاحظت إنها كترت أوى السنة دى بالذات وما كنتش عارف السبب.

تطلع لحظات لنظرة الترقب والذهول التى ملأت ملامح نجيب وهو يهتف فى تهدج:

شوفت يا سنباطى، مش قلتلك

نهض السنباطى مشيرًا لنجيب بأن يتبعه قائلًا:

- تعالى يا نجيب أوريك حاجة ونكمل كلامنا

نهض نجيب فى حذر ودهشة يخطو خلف السنباطى الذى توجه لمكتبة ضخمة تعج بالكتب ودفعها جانبًا فانزاحت فى سلاسة غريبة وسط توتر



نجيب الذى اتسعت عينه فى ذهول مما يقبع خلف تلك المكتبة بريئة المظهر.



الفصل (١٨)

صمت الدكتور سنباطى عند ذلك الموضع من روايته يتطلع لوجه فاتن وشريف الذى شحب كثيرًا وظلوا على جلستهم يتطلعون إليه مأخوذين من هول ما سمعوا تتأرجح بهم الأفكار دون أن تعلو بهم لحد الاقتناع ولا تهوى بهم لقرارة التكذيب وبالأخص فاتن عندما سمعت عن ذكرى والدها، كان السنباطى هو أول من مزق أستار الصمت يميل بوجهه على شريف هامسًا:

- مش عايزين تعرفوا إيه إللى كان ورا المكتبة!!
- إيه !! .. ثلاثة أحرف نطقها شريف حملت كل الهول والوجل وفضول أشعل حواسه

تلفت السنباطى بعينيه يمينًا ويسارًا فى ريبة ثم دنا من شريف أكثر:

لازم تشوفوا بنفسكم، مفتاح الشقة جوه الكشاف إللى فوق الباب ادخلوا و...............

بتر السنباطى عبارته بغتة عندما دفع أحدهم باب الغرفة فى عنف ليلتفت الجميع يطالعهم أحد ضباط الشرطة من زوى الثلاث نجوم برتبة نقيب مقطبًا جبينه فى غضب يتبعه عسكريان، شحوب وجههما يشى بمصيبة سوداء سوف تسقط فوق رؤوسهم، بينما يصيح الضابط:

- أنا مش قلت يا بهايم تعليمات سعيد بيه إن المريض ده بالذات مالوش زيارات لا حد يزوره ولا حد يكلمه

حاول أحدهم التبرير بصوت متخاذل

- قالولنا يا عمرو باشا إنهم تبع الـ......

بتر النقيب عمرو عبارة العسكرى فى غضب مضاعف

- إنت هتقف تحكى معايا

ثم أقرن قوله بأن أشار لهما بإحضار السنباطى، فجذبوه من ذراعة بغلظة وكأنهم يرضون غرور الضابط ليخفف عليهم من وطأة إهمالهم، بدا قلق بالغ فى عينى السنباطى ثم وأثناء جره من العسكريين للخارج هتف بصوت مرتفع هستيرى لشريف وفاتن:

- خلوا بالكم.. الشيوعية العالمية وراها أسرار كتير .

لم تلق الكلمة أثرًا عند أىٍّ من الواقفين بينما الضابط يشير لفاتن وشريف للخارج هاتفًا فى غضب:

- وانتم، إتفضلوا برة

اعترضت فاتن فى محاوله لمجابهة حدته بأن لكل مريض حق لزيارته، إلا أن الضابط لم يكن مستعدًا للدخول فى جدال حول حقوق الإنسان فقد كان لديه أوامر عليا بحجب ذلك المريض عن العالم الخارجى تمامًا لاطلاعه على معلومات تضر بالأمن القومى لا يدرى كنهها تحديدًا لكنها الأوامر، لكن لا بأس سوف يؤكد على العسكريين بعدم ذكر تلك الهفوة، ولكن بقيت مشكلة فعلية أخرى يحتمها واجبه.. هى عما تحدث عنه المريض معهم وما أخبرهم به.

جذب شريف فاتن من ذراعها فى رفق وقد علم أنه لا سبيل لمجادلة ضابط احمر وجهه وارتفعت حدة صوته ووصل غضبه للذروة، خرجا معًا تاركين السنباطى يتم حجزه فى غرفة انفراديه وتقييده فى السرير وعزله عن العالم الخارجى بالكامل يتابعهم الضابط ببصره حتى ابتعدا مسافة كافية لا يسمعان معها حديثه عبر جهاز الإرسال محدثًا الطرف الآخر:

- ما يغيبوش عن عينك لحظة لازم أعرف المجنون ده قالهم إيه وناويين على إيه، فاهم!

لم يكد ينتهى من بث رسالته الغاضبة وإنهاء الاتصال حتى قفز صوت عبر جهاز إرساله بعبارت غاضبة موبخة، فرد عليها فى ذهول:



- ما تقلقش سعادتك اكيد مالحقش يتكلم معاهم وحتى لو اتكلم أنا مراقبهم كويس.

مرت لحظات صمت على الضابط بدا من اقتضاب جبينه وتركيزه الشديد أنه يتلقى أوامر جديدة ممن على الطرف الآخر من الهاتف سرعان ما تحولت لإيماءات من رأسه بالموافقة

- أوامرك يا سعيد باشا هبعت المريض لمعاليك قسم الهرم فى البوكس.

أنهى الاتصال ثم تنفس كمن ردت إليه روحه يتساءل فى ذهول كيف علم بالأمر بتلك السرعة!! لماذا لا يهتم أحد بذلك المخبول سوى العقيد سعيد وينوى حجز ذلك الرجل تحديدًا منذ أسبوع فقط وبعدها إخراجه بل لماذا يهتم بصورة شخصية بذلك الرجل ويسخر كل سلطاته لعزله عن الحياة بالخارج، كيف علم بدخول أشخاص غرباء للمريض، هل له أعين هنا فى المستشفى، لم يرتح للإجابة لكنه لم يكن يملك اختيارًا فقط زفر زفرة حارة تعكس مدى ما يعتمل به صدره من قلق عارم يشى بوجود أمرٍ ما تفوح منه رائحة فساد.. أو أمرٍ ما آخر غير تقليدى يحاك فى الظلام

***

أمام سور مستشفى الأمراض العقلية جلست فاتن على مقعد القيادة وجوارها شريف ينظر أمامه فى شرود وصمت للحظات يشعر بطنين يمزق تلافيف عقله من الداخل يعيد عبارات السنباطى على عقله يعرفها ولكنه لا يستوعبها، فكرة اتفاق اثنين من الباحثين على دنو كارثة ضخمة لم تنضج فى عقله بعد، تنهد فى حيرة ملتفتًا لفاتن التى لم تكن فى حال أفضل منه ساهمة واجمة حتى أنها لم تجد لديها عزم لتدير محرك سيارتها بل اكتفت بوضع المفتاح فى الثقب وتركته يتأرجح.

- فاتن إنتى مصدقة الكلام ده!

مطت شفتيها فى حيرة من وضعت فى موقف حرج بين صعوبة التنبؤ بدنو كارثة وبين اتهام والدها بالمبالغة فى الأمر.

- والدى راجل علمى، ما كانش هيصدق حاجة زى دى إلا إذا كان عنده الدلائل الكافية، زى إللى كتبها فى الورقة إللى سابهالى.

هز شريف رأسه موافقًا مدركًا من ملامح فاتن التى توحى بتشتت ذهنى يعكس مدى الصراع الدائر فى رأسها بين صعوبة تصديق دنو كارثة كبيرة وبين مصداقية والدها التى تعتبره مقدسًا لديها، وقع تفكير شريف على بعض تفاصيل كانت تحتاج إلى بعض الترتيب على افتراض كون الأمر حقيقى:

- أخدتى بالك فى حكاية السنباطى إن والدك قال إنه شاكك فى شخص هو إللى قدر يخلص البلد من الشدة الشيطانية دى!!

أقرن عبارته بأن استدار يحضر كتاب أمير الجيوش من المقعد الخلفى للسيارة، فتح صفحات بعد منتصف الكتاب لم يكن قد قرأها بعد يقلب الورق سريعًا تارة ويتوقف تارة أخرى يقرأ بعض الفقرات وسط متابعة فاتن فى ترقب بضع دقائق حتى أغلق شريف الكتاب دون أن يسحب أنامله من بين صفحة بعينها يشرد بعينه للشارع الخارجى عبر زجاج السيارة الأمامى دون أن يراه تتداعى داخل رأسه الأفكار والمشاهد حتى التفت لفاتن بعينين بدا فيهما ذهول وجل ومتردد:

- الأمير بدر الدين الجمالى هو إللى حرر مصر من الشدة المستنصرية

تصلبت ملامح فاتن لحظات ثم بدا شبح ابتسامة يغزو ملامحها، تتسع تدريجيًا بينما المعلومة تزداد رسوخًا فى عقلها تتفتق عنها النتائج حتى تحولت لابتسامة جزلة قائلة فى ظفر:

- كنت متأكدة إن بابا عارف هو بيقول إيه.

فتح شريف الكتاب مرة أخرى على نفس الصفحة يلتهم بعينيه بضعة أسطر منها فى نهم بأنفاس محبوسة من هول ما يقرأ، ثم أغلق الكتاب وأخذ نفسًا عميقًا يعبئ رئتيه بالهواء حتى يتصاعد لعقله ليعمل بكفاءة أعلى، يرى الفضول يطل من عينى فاتن يلتهمها التهامًا مما جعله يداويه قائلًا:

- زى ما قال السنباطى يا فاتن، وصلت الأمور إن الناس بتصطاد بعض علشان ياكلوا، وكانت شوارع القاهرة القديمة فاضية ومليانة دم وأوبئة وقيادات الجيش دخلت فى صراعات غريبة بين بعضها ودخل السلاجقة مصر، وقتها استنجد الخليفة المستنصر بأحد حلفاؤه.. والى عكا (الأمير بدر الدين الجمالى)

ثم أشار لغلاف الكتاب فى يده مضيفًا

- الملقب بأمير الجيوش.. لبى الجمالى الاستغاثة لكنه اشترط على الخليفة المستنصر تنحية جند مصر لأنهم ما كانوش طبيعيين، واعتمد كليًا على جنوده إللى معاه، * حقيقة

وفعلًا وصل بجيشه للبلاد والمصرين كانوا مستبشرين بيه خير لدرجة إن البعض منهم قال إن الجيش كان جاى وجايب معاه نور ربانى.

التفت شريف يطالع عينى فاتن المبهورة بتلك الأحداث ليكمل جملته الأخيرة فى تخوف وحذر:

- الجمالى أدرك السبب الحقيقى للشدة وقدر بجيشه وفرقته الخاصة وبطريقة مجهولة للكل يسيطر على الفوضى والدم ودحر بؤرة الظلام ورجع للبلد كلها بالكامل لاستقرارها.

ساد الهدوء داخل سيارة فاتن فلا تسمع سوى أنفاسهما المبهورة شاردين يوازن كلًا منهما تلك الخيوط المبعثرة يعيد ترتيبها وتحليلها إلى أن مزقت فاتن أستار الصمت ملتفتة لشريف قائلة:

- إنت عارف لو جمعنا بين كلام السنباطى وبين تلميحات والدى هنوصل لأيه!!

أومأ شريف برأسه فى أسف يلقى نظرة لساعته التى تجاوزت عقاربها الخامسة بعد العصر مغمغمًا فى شرود.. على كلام شبكات الإذاعة العالمية إن فيه كويكب هيمر النهاردة الساعة إتناشرفى منتصف الليل من جنب الأرض، لو توقعنا سليم يبقى هو ده نيبرو إللى هتتعمل الطقوس أثناء مروره.

كان للعبارة وقع مدوى فى قلبوهم وجمت لها وجوههم واكفهرت لحظات تجاوزها شريف يتساءل ساهمًا:

- ورا الشيوعية العالمية سر كبير.. عبارة متشفرة! تفتكرى كان يقصد إيه!!

- هنعرف لما ندخل الشقة

ثم أقرنت قولها بإدارة محرك السيارة وضغطت دواسة الوقود بقوة اندفعت لها السيارة تطلق إطاراتها صريرًا مزعجًا إلى حيث تقبع شقة السنباطى بما تحويه من سر يسكن خلف مكتبتها، سر تتمنى أن تتجلى منه الحقائق أو حتى قدر ضئيل منها.

فى ذات الوقت داخل حجرة مأمور قسم الهرم بعد أن أنهى العميد (سعيد الدسوقى) الاتصال بالنقيب عمرو ضابط مشفى العباسية للأمراض العقلية الملكف بحراسة السنباطى وقف خلف زجاج نافذة حجرته يتطلع للمشهد أمامه بأعين التهبت شعيراتها حتى اصطبغ بياضها باللون الأحمر القانى على نحو غريب أوشكت معه على الانفجار يتحرك بؤبؤها حركات عصبية فى جميع الاتجاهات تشى بوعى غائب وإرادة مسلوبة يتحسس من آن لآخر ذراع كسته الخدوش و الكدمات الزرقاء ينتظر تعليمات جديدة وأخيرة.



الفصل (١٩)

بدأ ضوء الصباح الشاحب يلملم أخر خيوطه ويتراجع تاركًا الساحة لعباءة الظلام السرمدية التى خيمت على الأرجاء فوق رؤوس الجميع مع سكون نسبى بدأ يزحف على شارع الهرم رغم كون الساعة لم تتجاوز السادسة مساءً، توقفت فاتن بسيارتها فى شارع صغير متفرع من شارع الهرم كانت قد توقفت فيه ذلك الصباح، ترجلا من السيارة متجهين للعقار الذى تقبع فى طابقه الثالث شقة السنباطى الذى لم يمتلك الوقت الكافى للإفصاح عما يخفيه خلف مكتبتها

خطوا داخل العقار بعد أن تأكدوا من عدم تواجد الحارس وصعدوا للطابق الثالث تطالعهم شقة السنباطى وفوقها على مسافة بعيدة يكمن مصباح غير مضاء على هيئة نصف دائرة من الزجاج الملون مكشوفة من أعلى وقف شريف أسفله فى حيرة هامسًا:

- هو حط المفتاح فوق إزاى
- المهم إحنا هنجيبه إزاى

جاءتها إجابة شريف على هيئة أصابع يده التى شبكها وانحنى بها قليلًا للأمام قائلًا.. إنتى وزنك اخف

كورت خدها الأيسر فى اعتراض عابث ثم استندت على باب الشقة واعتلت كفى شريف بوزنها المثالى كفراشة فوق غصن أخضر، دنت بيدها من المصباح تفتش داخله حتى اصطدمت أصابعها بجسم معدنى تناولته وهبطت من فوق غصنها، تفحص شريف المفتاح لحظة ثم دسه فى ثقب الباب وأداره فى ترقب حتى أكمل ثلاث تكات متتابعة، وخلف الباب طالعهما ظلام ضاقت له عينيه بنظرة جائعة للتفاصيل، خطا للداخل وخلفه فاتن تستجدى شجاعة من ذراعه المتعلقة به حتى أضاء مصابيح صالة الاستقبال ثم عاد وأغلق باب الشقة سعيًا خلف بعض الخصوصية دارات

أعينهم بنظرة متفحصة ممتزجة بشك وريبة يرصدان أثاث بسيط نظيف لكنه متراص بإهمال شديد وبلا ذوق يشى بسبق تفتيش الشقة وقلب محتوياتها بالكامل دون العثور على شيء و لم يستطيع الحارس إعادته لأماكنه جيدًا، إذا كان السنباطى مخبول فلماذا تهتم السلطات لأمره لهذا الحد!

توقفت أفكار شريف عندما جذبت فاتن ذراعه تشير لجزء جانبى من صالة الاستقبال على مستوى أعلى من المدخل:

- شريف المكتبة أهى.

تأملها شريف لحظات ثم خطا تجاهها يصعد درجتى سلم تتبعه فاتن فى وجل حتى وقف أمام المكتبة يطالع مئات من الكتب والمراجع والموسوعات على مساحة طول تقارب الخمسة أمتار، وقع فى نفسه عدم تصور عقلًا قرأ هذا الكم وأشفق منها على السنباطى، حاول دفع المكتبة أو جذبها للخارج لكن كمن يصر على تحريك عقار ضاع مجهوده سدى، وقف يتطلع إليها يعيد تقييم الوضع

الشيوعية العالمية وراها أسرار كتير

دنت فاتن من الكتب تردد كلمات السنباطى الأخيرة التى قالها مستترة حتى لا يلاحظها الضابط وتظهر ككلمة عادية ، تجاوب معها شريف قائلًا:

- زعيم الشيوعية هو كارل ماركس.. وليه مؤلفات هنا كتير
- جايز يقصد الشيوعية كفكرة عامة غرضها توزيع كل شيء بالتساوى، وقفت عند منتصف المكتبة تطبق فكرتها تطلع لمنتصف المكتبة دون أن تجد ما يلفت الانتباه فهزت رأسها نافية صحة فكرتها بينما شريف مازال يجول ببصرة فوق الكتب المتراصة قائلًا:
- أنا أعتقد إنه كان أبسط من كده

وافقته فاتن وهى تشير لكعب أحد الكتب الضخمة فى أحد أرفف المكتبة كتب عليه (الشيوعية العالمية) قائلة:



فعلًا، ثم بإثارة من تسحب سيف من غمده الحجرى جذبت الكتاب تقلبه فى يدها ثم جالت عبر صفحاته سريعًا، و عادت للصفحة الأولى تقرأ عبارة على لسان كارل ماركس تتصدر الكتاب:

(التاريخ يعيد نفسه مرتين.. الأولى بكارثة والثانية بمهزلة)

تطلع شريف لغلاف الكتاب لحظات ثم مرر عينيه على الصفحات سريعًا عله يجد ضالته أو يقع على رسالةٍ ما مخبأة بين السطور إلى أن هز رأسه معترضًا ثم رنا ببصره تجاه التجويف الذى تركه الكتاب فوق الرف للحظات أغلق بعدها الكتاب وطرحه جانبًا ثم ندت ابتسامة جانبية على شفتيه يكرر عبارة السنباطى بمزيد من التوضيح:

- السنباطى كان يقصد المعنى الحرفى للعبارة.. اقترب أكثر يمد يده داخل التجويف حيث مقبض صغير بالداخل جذبه للخارج مكملًا عبارته:

- ورا (كتاب) الشيوعية العالمية.. أسرار كتير.

اقترن قوله بقرقعة مكتومه نابعة عن أخشاب ثقيلة بعد أن جذب المقبض، شعر معها شريف بأنها انفصلت عن الجدار بضع مليمترات وأصبحت أكثر قابلية للحركة مما حثه على دفعها فى حذر تستجيب له طاعة وإذعانًا تنزاح موازية للجدار كبوابة زمنية كاشفة عن فجوة قصيرة لا يتعدى ارتفاعها المتر ونصف، ساد الصمت لحظات ثم انحنى شريف يلقى نظرة متوجسة للداخل بعقل ينزف أفكارًا سوداء تطالعه على ضوء الصالة غرفة صغيرة للغاية لا تتعدى مساحتها متران طولًا وأقل من ذلك عرضًا تقبع فى أحد أركانها منضدة متوسطة الحجم تراصت فوقها أشياء لم يتبين كنهها، أضاء هاتفه وتجول فى أرجاء الحجرة السرية التى لم يجد فيها أى

أغراض باستثناء تلك المنضدة مما شجعه على الانحناء والتقدم داخلها حتى اعتدل بقامته داخلها تراقبه فاتن لحظات حتى توقف أمام المنضده ثم تبعته ووقفت جواره تتفحص قطعة من الخيش تغلف شيئًا ما يحيط به مسحوق أبيض على شكل دائرة تتوسطها نجمة سباعية تظهر حوافها المرسومة على الطاولة من أسفل قطعة الخيش، قرب شريف مصباح الهاتف منها ثم مد يده فى وجل يفض قطعة الخيش عما تحتويه ليطالعه أول ما طالعه نجمة سباعية تتوسط دائرة محفورة داخل غلاف سميك جدًا من الجلد لكتاب ضخم أزاحت فاتن غطاء الخيش عن باقى الغلاف لتشهق فى دهشة كبيرة ترفع الكتاب الضخم بكلتا يديها فى هيبة هاتفة:

- مفتاح سليمان!!

كم تمنت لو تملك رسالة والدها المشفرة قبل أن تأكلها نيران الشر.. لكن بقى أمرًا آخر يستوجب فك شفراته، حمل شريف عنها الكتاب وهما ينحنيا برأسيهما عبر فرجة الغرفة لينتصبا فى الخارج تحت الضوء يتطلع للكتاب مغمغمًا:

الكتاب قديم جدًا.. شرع فى وضعه فوق طاولة قريبة يشير لهاتف فاتن:

- طلعى صور نقوش البوابة

كتاب أوراقة مصفرة سميكة غابرة لكنها محتفظة بقوتها وخشونتها ووضوح كتاباتها يتصاعد من بين طياته عبق تاريخ غابر سحيق ومخيف، مرر يده على الغلاف يستشعر نقش لنجمة سباعية محفورة داخله على نحو بالغ الدقة، لماذا نجمة سباعية هنا! كل ما يحيط بهم من ألغاز يمثل نجوم سداسية، على أية حال كل رقم يعتبر مخلوق مستتر له قوته.. والرقم سبعة هو رقم مقدس ويبعث على الراحة.



- تعرفى إن حاجات كتير أوى فى الكون سبعة، السماوت والأرض سبع طبقات، الأسبوع سبع أيام، ألوان الطيف سبعة، الطواف فى مناسك الحج سبعة.

ابتسمت فاتن تضيف: السماوات والأرض أكبر وحده فى الكون، وعكسها الذرة أصغر وحدة فى الكون برضو مستويات الطاقة حواليها سبعة، والمعادن الرئيسية فى الكون سبعة، وإذا كانت ألوان الطيف المرئية سبعة فالأضواء الغير مرئية برضه سبعة، ده غير رقم سبعة المذكور كتير فى القرآن متعلق بعذاب الظالمين وبثواب المحسنين. *حقيقة

هز شريف رأسه مصدقًا على إضافة فاتن يعربد فى عقله تساؤل هل حقًا النبى سليمان هو من سطر أحرف هذا الكتاب بنفسه وحفظه بطريقة غير تقليدية أم أنه مجرد نسخة عبثت بها الأيدى والأقدار، وضعت فاتن هاتفها اللوحى فوق الطاوله تظهر شاشته إحدى الصور الملتقطة لنقوش واجهة بوابة النصر تقول فى عبث:

- على فكرة أنا سمعت إن غلاف الكتاب منصوع من الجلد البشرى

أجفل شريف وسحب يده ينظر اليها يستنبط من نظرة عينيها مدى جدية المعلومة فمطت شفتيها فى عبث مغمغمة.. ده إللى قريته

ثم أقرنت قولها بفتح الكتاب تمرر الصفحات بحثًا عن صفحتين متاقبلتين فى المنتصف تمامًا يشكلان دائرة ضخمة ولكن أثناء ذلك مد شريف يده يوقف إحدى الصفحات التى شاهد فيها صورة مجازية لوجه تيس ذو قرنين ضخمين يتوسطهما تاج وعلى جبينه نجمة سداسية يعقد ساقيه التى تنتهى بحوافر فوق الكرة الأرضية طاويًا جناحين يكسوهما ريش أسود يرفع يده اليمنى عاليًا يشير لنجمة سداسية فى مرحلة الإشراق ويشير لأسفل بيده اليسرى لنجمة أخرى سباعية فى مرحلة الإظلام وخط فوق الرسمة بالكامل خطين قانيين متقاطعين غير منتظمين وكأنهما رسما بأنامل أصابع ملوثة بالدماء أشمأز قلب شريف من الرسمة التى لا تنذر

بخير، لكن قراءة العنوان فى الصفحة المقابلة باللاتينية ثم أسفلها بالإنجليزية (أنتى بامفويت) جعله يشعر باطمئنان نسبى حول طبيعة الكتابة اللاتينية أسفل العنوان وترجمتها الانجليزية التى تبدو كما لو كانت طقوس تحصين.

ألقت فاتن نظرة على الرسمة المقبضة ثم استمرت فى تمرير الصفحات وهى تغمغم

- أنا شوفت الرسمة دى قبل كده بتعبر عن تلاقى العالم السفلى مع العلوى
- أحسن ما فيها إن قدامها طقوس دحره

تركز انتباهها على صفحتين متقابلتين فى منتصف الكتاب يكونا جدول دائرى تعرفه جيدًا، سبق لها التعامل مع صورته، نقرت بأصبعها فوق اللغة الرابعة التى تحمل اسم لغة الملائكة، ثم قامت بتقريب صورة نقوش واجهة بوابة النصر على هاتفها اللوحى وبدأت فى حل التشفير بينما شريف يراقبها تارة ويدور ببصره فى أرجاء الشقة تارة أخرى يشعر أن هناك أمر مريب، يشعر وكأنهم ليسوا بمفردهم أو.. تاهت منه العبارات وبات الأمر يفوق الوصف شرد له وأنصت و.......

بضمير مرتاح حرسنا قباب بناتنا السبع، فتركنا لكم محراب الضياء الأخير.. هناك يرشدك المفتاح النافذ أن كما فوق تحت، وكما فى اليمين فى اليسار، حيث.......

تلاشت هواجسه ينتبه لجملة فاتن بعد ترجمتها يمررها على عقله، يثبت لديه يقين فى أسرار نقوش بوابة النصر، عاد للطاولة بجوارها يدون تلك العبارة كمن يدون وصايا اللوح المحفوظ، شرعت فاتن فى التقاط الرمز التالى لترجمته إلا أنها تسمرت تتطلع لشريف فى قلق:

- شريف إنت سمعت صوت حد!



امتقع وجه شريف بعد أن ثبت لديه يقين مخيف لا سبيل للشك فيه تدور عينه فى الأرجاء بحثًا عن المجهول يهمس لها

- إحنا ما عملناش حساب إنه يتكرر معانا نفس إللى حصل معاكى وإنتى بتترجمى رسالة والدك.

لم يكد ينتهى شريف من عبارته حتى ارتفع صوت همسات نابعة من الفراغ ارتفع تدريجيًا أغلقت فاتن على إثرها كتاب سولومون وناولته لشريف ثم حملت هاتفها وحقيبتها فى عجالة وهى تهتف:

- اللعنة بتتكرر يا شريف.. لازم نخرج من هنا

اندفعا تجاه باب الشقة وفى آذانهم ارتفع صوت الهسيس كألف شخص يتهامسون معًا داخل الغرفة، لم يكد شريف يشرع فى فتح باب الشقة حتى تلقى الباب من الجانب الآخر صدمة هائلة انهار على إثرها متحطمًا، تراجعا فى رعب ليطالعهم خلفه شخصين لم تخطئهما عينا شريف وفاتن وتذكراهما على الفور، المخبران اللذان كانا فى مستشفى الأمراض العقلية تبعاهما لشقة السنباطى ولديهما أوامر واضحة باعتقالهما مع كل ما يحملونه.

اضطر شريف وفاتن للتراجع أمام تحطم الباب واندفع المخبران لينقضا عليهما كالثيران التى تنفث بخارًا من أنوفها بلا عقل لا يلقيا بالًا للهمسات التى ارتفع صداها إلى حد يصم الآذان ومن اللا مكان بدأ تيار هواء بارد يتسلل عبر الشقة، تيار أعاد لعقل فاتن ذكرى ليست ببعيدة مرت فيها بتجربة قاسية كادت تودى بحياتها

***

مال الماستر بذراعية يرتدى معطفه بمعاونة مساعده الخاص أمام المرآة يتطلع لوجهه الذى كسته تجاعيد تناغمت مع شعره الأبيض الذى تبقت فيه

بضع خصلات صفراء كان لونه الغالب يومًا، يقشعر جسده كلما مر بخياله الجامح أن المنظمة شارفت على بلوغ هدفها منذ التأسيس فى عهد الحضارة الأرمنية عام ٢١٧٠ ق.م

وفى سبيل ذلك مدت أذرعها وتشعبت داخل المجتمعات الشرقية والغربية على نحو عميق للغاية نالت فيه من العادات والتقاليد حتى التصميمات الهندسية لبعض الأماكن والأبنية الشهيرة لم تسلم من بصمتهم تحت لواء ليس للأديان أو القيود فيه مكان، كان الأمر صعبًا للغاية يشارف حدود المستحيل، حتى تعلموا جيدًا أن الخضوع لنظامهم الجديد لن يأتى إلا بعد ضعف وإنهاك الجميع بما فيها الحكومات، وبقيت وسيلة ذلك على مر السنوات بين إشاعة فتن ونشر لأمراض وأوبئة وبين منتجات استهلاكية فى ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، حتى جاء اليوم الذى يعتبرونه المسمار الأخير فى نعش النظام العالمى الحالى، تم حشد وتنشيط جميع الحلفاء والعملاء على مستوى العالم استعدادًا لهذا اليوم، الجميع بلا استثناء علموا أنه اليوم، الجميع حافظوا على السرية، الجميع بدأوا العمل.

- موعد الطائرة، ماستر.

أومأ الماستر برأسه لمساعده دون أن يلتفت إليه ثم أشار له بالانصراف وما أن أغلق باب الغرفة حتى استدار يلتقط هاتفه المؤمن يطلب أحد الأرقام الدولية يصدر أوامر تفعيل بروتوكول شهير بعد أن وصلته عدة تقارير من عملاء يؤكدون تسرب معلومات من بعض المتشككون حول احتمالية إقامة شعائر وطقوس فى منطقة أثرية، كان التسريب متعمدًا والنتيجة متوقعة هى حشد ضخم يقوم به النشطاء على هدى تلك المعلومات المغلوطة، كان بروتوكول خاص جدًا يُستعمل على شعوب دول العالم الثالث عندما تثار شكوك لدى شعوب هذه الدول حول أمرٍ ما وتبدأ الأقاويل والتشككات بين نشطاء هذا الشعب، يتم وقتها تفعيل بروتوكول (تفريغ الغضب).



انقطع رنين الاتصال ليحل محله عبر سماعة الهاتف صوت هادئ مميز فى احترام شديد:

- الماستر.. شرف كبير لينا.

ابتسم الماستر فى هدوء وصمت للحظات ثم انفرجت شفتاه بعبارة قصيرة وعملية للغاية:

الصانع (فرانكلين).. نشط العميل (٦٦٦ NWO)

***

وسط أجواء من الانتشاء تغمر جميع الجالسين من أعمار الشباب والفتيات فى مقهى بالقرب من وسط البلد فى تلك المنطقة التى تعتبر ملتقى فكرى لجميع ما يجول بخاطرك من أهواء، بينما الليل أرخى سدوله يغمر الجميع بكحل سرمدى لا فكاك منه إلا من أضواء خافتة تشع من مصابيح واهنة أمام المقهى تشاركها أضواء قطع الفحم المشتعل فوق أحجار (النرجيلة) ذات روائح الفاكهة المتباينة تعبئ رائحتها المنطقة الفسيحة أمام المقهى تتصاعد أدخنتها قليلًا فيجرفها تيار الهواء العليل حتى تتلاشى فى الأفق، تراصت الطاولات أمام المقهى أكثر مما بداخله تحيطها جلسات الرواد من الجنسين، وفى مكان قصى على طاولة صغيرة جلس شابان بدت على أحدهم ملامح التوتر يمسك بورقة مطوية يناولها للآخر الذى فضها فى هدوء يقرأ محتواها بأعين بارقة ثم يميل على الشاب المتوتر الذى لم يكن سوى هيثم موظف هيئة الآثار الذى وقعت تحت يده بالصدفة صورة من موافقة هيئة الآثار على إقامة حفل عند منطقة أثرية دون المرور على الروتين المعهود مع الأفواج السياحية، تركزت عينا عماد صديق هيثم فى عينى ذلك الأخير قائلًا فى صوت منخفض:



- بص يا هيثم أنا عارف إنك عاقل، علشان كده هتفهمنى، إحنا ما ينفعش ننشر خبر زى ده من غير ما نتأكد لأن لو طلع غلط هنضيع وهنفقد مصداقيتنا للأبد!
- طب والعمل
- العمل هو إننا نصبر شوية لحد ما نتأكد وقبل ده إوعى تجيب سيرة لحد وإلا هيكون فيه خطورة على حياتك

أجفل هيثم وازداد توتره وهو يقول بقلب خافق

- للدرجة دى!!
- وأكتر، إنت ما تعرفش خطورة أصحاب الطقوس دى ونفوذهم
- طب وإيه هدفهم من كده
- الجماعة دى هدفها خلق نظام جديد قيادته تبقى تحت سيطرتها، وطبعًا مش هيتحققلها ده إلا إذا سحبت العالم كله لفوضى عالمية من جفاف ومجاعات وصراعات، وقتها بعد ما تضعف قوة الجميع تقدر تسيطر عليهم وتفرض كلمتها

دارت عينى هيثم فى محجريها يحاول استيعاب كلمات عماد للحظات ثم تساءل فى ريبة:

- طب وده ايه علاقته بالحفلة إللى هيعملوها.

ذم عماد فى تفكير لحظات ثم قال:

- احتمال يكون الحفل كنوع من فرد العضلات، إنهم رسموا رموزهم على أبنيه أثرية، عامة المنظمة دى أيًا كان اسمها فهى كيان خبيث وأى عمل تقوم بيه أكيد وراه مصيبة و.............

بتر عماد عبارته عندما ارتفع رنين هاتفه المحمول، امتقع وجهه بينماعينيه متعلقة بشاشة الهاتف التى ظهر فوقها عبارة (unknown)

سرت ارتجافة فى أوصاله وهو ينهض تتلاعب برأسه الظنون يعتذر لهيثم مغمغمًا:

- لحظة ياهيثم لحسن الحاجة بعافية شوية وأخويا بيكلمنى

نهض يحث الخطا لمكان قصى يضع الهاتف على أذنه ليأتيه على الفور صوت جاف يحدثه فى جديه ودون أى مقدمات بأسم كودى يحفظه عماد جيدًا:

- (٦٦٦ NOW).. (الصانع) شخصيًا معاك.. ابدأ الحشد.



الفصل (٢٠)

كانت فكرة واحدة هى المسيطرة على عقول المخبرين مقتحمى شقة السنباطى، وهى اعتقال فاتن وشريف وتحريز أى شىء يكون معهم، هكذا كانت الأوامر التى انقضا لتنفيذها عبر الباب المحطم كالثيران يمسك أحدهما بيد فاتن ويجذبها إليه ليحيط ذراعيه حول جسدها الضئيل يقيد حركتها تمامًا إلا من حركات عصبية لقدمها تبحث عن أرض ارتفعت عنها، تراجع شريف خطوتين للوراء ثم طوح بكعب كتاب سولومو فى وجه المخبر الثانى تلقاها فى صدغه فلم تزيده سوى ثورة وغضب يتلقى الضربة الثانية من الكتاب على مرفقه فأطاح به يطالعه خلفه شريف أعزل يتراجع مبهوتًا فانقض المخبر يقبض على ملابسه ويتهيأ لدفن قبضته فى وجهه لا يعبأ بتيار الهواء البارد الذى ضرب الجميع وصوت الهسيس المتزايد الذى بات حادًا تصرخ له الآذان حتى أنه تغلب على البرمجة العقلية للمخبرين فتراخت يد الأول ليترك فاتن أرضًا يحيط أذنيه بساعديه فى ألم لا يدرى مصدره، ودفع الثانى شريف فى ضعف بعد أن زاغت عينه ودارت فى محجريهما ثم أمام الجميع اندفع جسده كمن تلقى لطمة هائلة التصق معها بالجدار مقيدًا من مجهول يصرخ فى ألم أفصحت عن موضعه الدماء التى انسابت من عينيه تمتزج بدماء تنساب من فمه قبل أن تقفز رأسه من فوق كتفيه بدون استئذان بعدها سقط أرضًا كالخرقة البالية وتدحرجت الراس جوار فاتن التى كانت تجاهد للإمساك بتلابيب وعى يحاول مغادرتها والفرار بروحه وهسيس لحوح يحرق طبلة أذنها ويعتصر كيانها رفعت يدها فى هزال تشير للكتاب الذى سقط جوار شريف بينما الأخير يمسك برأسه الذى أوشك على الانفجار ألمًا، زحف شريف تجاه الكتاب وقد تفهم بنصف وعى ما ترمى إليه فاتن .

سقط جوار الكتاب فى اللحظة التى صرخ فيها المخبر الأول صرخ عاتية بترها عندما قفز رأسه أيضًا من موضعه يعلن تمرده على مكان تواجده

تهاوى بعدها جسدًا مازال قلبه يعمل ويضخ نافورة من الدماء عبر العنق المبتور كانت من نصيب شريف فى مشهد أصيب على أثره بحالة هيستريا أخذ على أثرها يقلب صفحات الكتاب سريعًا بأصابع مرتعشة بعد أن دفعت غدته الكظرية مزيدًا من السائل المحفز داخل عروقه يفتش عن صفحة أوقفه القدر عندها منذ قليل يقامر على صحة العنوان الذى قرأه عليها، يلتفت من وقتٍ لآخر لفاتن المتراخى جسدها أمامه تتأوه فى ضعف يشى بيد خفية بدأت تعمل عليها، فغر شريف فاه لحظات يحدق فى نقطةٍ ما خلف كتف فاتن شحب لها وجهه وتراخت يديه، لكن تأوه آخر من فاتن جعلته ينفض عنه الذهول يقلب صفحات الكتاب بسرعة محمومة يلهث وكأنه يركض يتجنب قدر الإمكان النظر حوله للأعين الجاحظة والرؤوس المبتورة ورائحة صدأ الحديد تزكم أنفه تشى ببركة من الدماء حوله، لماذا تضيع الأشياء وأنت فى أمس الحاجة إليها!، وصل أخيرًا لصورة الشيطان التيس ثم رفع وجهه يتطلع للفراغ بجواره، شاحبًا مرتبكًا خفض وجهه وقفز بصره على العنوان فى الصفحة المقابلة يغمغم فى صوت جاهد ليجعله مسموعًا يلتهم السطور:

- **متاريس الحجب عن العابرون.. صاعدًا إذا ما صعدت عبر ثلاث مع ثلاث حتى خطفت الخطفة وغرك الغرور وبلغت الحبور وظننت أنه النشور، أعادتكم همسة الكون السابعة ملومًا مدحورًا.**

خُيِّل لشريف أن الهسيس الصاخب تحول لخوار غاضب، مما حثه على المضى قدمًا.

- **بسلطان سليمان العظيم احمل رجسك وعد ملومًا مدحورًا تلاحقك ومن عاونك اللعنة أينما حللتم فإن لك موعدًا عند من لا يخلف الميعاد ولا يضار مع اسمه أحدٌ من العالمين.. آمين**

توقف الهسيس تدريجيًا وسط دهشة شريف تراخت معه جوارحه بعد أن ساد هدوء افتقده الدقائق المنصرمة، نهض يعاون فاتن على النهوض يخفى عينها عن جثة المخبرين المشوهة يدور بعينه فى أرجاء الغرفة بحثًا عن المجهول دون أن تقع عينه على شىء، انحنى يتناول الكتاب فى هيبة يرفعه أمام وجهه تطالعه بقع دماء المخبرين المتناثرة التى لوثت الغلاف وبضع صفحاته مغمغمًا:

- طقوس التحصين إللى والدك كان عايزك تعمليها من البداية.

أومأت فاتن برأسها إيجابًا ترتجف فى عدم اتزان وهى تستعيد حقيبتها الصغيرة.

- لازم نخرج من هنا لأنهم هيفتكرونا إحنا إللى قتلناهم والدنيا هتتقلب علينا

خفق قلب شريف لهذه الحقيقة التى غابت عن عقله لحظات رغم منطقيتها، كيف سيفسر موت المخبرين بتلك الطريقة البشعة ما رد فعل المحقيقين عندما يخبرهم أن شيطانًا مريدًا قتلهم، بالطبع مصيرهم أحد مصحات الأمراض العقلية ليؤديا فترة العقوبة بها، مر بخلده الدكتور السنباطى وهو داخل مشفى العباسية بينما يقين مبعثه ما رآه بعينه منذ قليل كان إشارة له للتأكد من كون السنباطى فى غاية العقل ولم يزج به هكذا إلا لحقيقة غريبة وقع عليها بمعاونة الراحل نجيب، لكن ما يحيره هو موقف السلطات منه ومن أى أحد يدنو من الأمر وكأن البعض فى السلطة يحاولون جعل الأمر سرًا، وضع الكتاب أرضًا وفتحه عند المنتصف قائلًا:

- مش هنقدر نمشى بيه كله وكمان بقى مليان دم.

ثم أقرن قوله بأن طوى صفحتى المنتصف الخاصين بالترجمة ثم جذبهما فى قوة ينتزعهما من الكتاب، شعر للمرة الأولى بملمس الصفحات الخشن المصنوع من ورق قاسى ومقوى وجد معه بعض الصعوبة أثناء طيها اسطوانيًا ووضعها فى جيب البليزر الذى تلوث طرفة بالدماء يحاول

محوها دون جدوى يهبط مهرولا درجات السلم تتبعه فاتن ثم خرجا من البوابة يتوجها لسيارة فاتن، سارا بضع خطوات تجاه الشارع الجانبى وآثار الصدمة أفقدت كلاهما النطق، أمسكت فاتن يد شريف تجذبه بغتة تهمس له بطريقى توحى بخطورة وترصد:

- شريف فيه بوكس شرطة واقف ناحية عربيتى

التفت شريف يلقى نظرة لسيارة الشرطة التى تقف على مسافة حوالى مائتى متر فى اتجاه الشارع الجانبى مما دعاه لإمساك يد فاتن وجذبها للسير فى الاتجاه المعاكس بخطوات جعلها قدر الإمكان هادئة لا تلفت الانتباه، يدير رأسه نصف دورة ليلتقط بطرف عينيه السيارة وقد بدأت تتحرك خلفهم فى بطء ليثبت لديه يقين من كونها تترصدهما.. وقتها لم يكن هناك داعيًا من التظاهر بأنهم أحد العابرين فحثا الخطا بضع خطوات ثم انطلقا يركضا بغتة وسط استنكار وسخط المارة يزيحونهم عن طريقهم فى اللحظة التى انطلقت سيارة الشرطة بدورها خلفهم بسرعة بعد أن تخلى قائدها أيضًا عن الحرص، لكن زحام السيارات فى شارع الهرم الرئيسى حال دون تقدمها السريع لملاحقتهم فاختلطا وسط المارة حتى غابا عن أعين الشرطة لحظات ابتعدا خلالهم بضع أمتار ثم عرجت فاتن على أحد أكشاك البيع فوق الرصيف تسأله فى ود ومرح لا يتناسب مع الموقف تمامًا:

- شارع (سامح صدقى) فين لو سمحت بندور عليه أنا وخطيبى مش عارفين نوصله

قطب شريف جبينه فى دهشة يتابع وصف البائع من داخل الكشك يشير للأمام شارحًا الطريق للشارع يغرق فى عينها الزرقاء وقوامها الممشوق:

- حضرتك هتمشى على طول فى شارع الهرم هتلاقية رابع تقاطع على أيدك الشمال

لم يدر شريف ما ترمى إليه تحديدًا من ذلك بينما جذبته يمرا من أمام كشك البائع وبمجرد أن توارت جوار الكشك حتى عرجت مع شريف إلى

الشارع الذى يقع على ناصيته الكشك مباشرة يحثا الخطا وسط الشارع حيث مقهى راقى يمتاز بواجهة زجاجية معتمة لا تظهر من خلفه، وفى الداخل استقبلهما الدفء ورحبت بهما طاولة فى مكان قصى تقبع خلف أحد الأعمدة الضخمة، يغالب تردد أنفاسه أخرج شريف هاتفه يطلب رقمًا لم يكد يرن حتى أتاه صوت المتحدث من الجانب الآخر هاتفًا فى عصبية:

- إنت فين يا بنى آدم ما بتردش على تليفونى من الصبح ومش موجود فى شقتك
- إهدى يا عزت، ما أنا فهمتك يا أخى لازم تبعد عنى علشان مصلحتك
- مصلحة إيه يا شريف وزفت إيه أنا مش مقتنع بموضوع إبعد عنى ده وبعدين الخدوش إللى إنت خايف منها زى ما هى وزادت.. لازم تخلينى أساعدك يا شريف.. إنت فين دلوقتى !

افترض جدلًا صحة رؤيا حسين وصدق تحذيره لكن استمرار حالة شريف يشى بكذب الادعاء أو أن الرؤيا من البداية كانت هلاوس انبثقت من مرض أصاب عقله.

- أنا فى كافيه متفرع من شارع الهرم، هوصفهولك بالضبط.. لو ناوى تيجى يا عزت يبقى بأقصى سرعة.. لأننا فى ورطة .

وضع شريف هاتفه على الطاولة أمامه ثم انفرجت شفتيه:

- كان لازم نجيب كمان صفحة عبارات التحصين .
- شريف أنا مش مستوعبة يعنى إيه جن وشياطين تقتل وتحرق !!

تردد شريف قليلًا ثم أجاب:



- أنا شوفته يا فاتن، كان جنبك بالضبط حاطط إيده فوق راسك وإنتى كنتى بتتألمى، كان قريب أوى من شكله إللى فى صورة الكتاب .

تطلعت فاتن لوجه شريف المطرق فى ريبة وقلق ممتزج بخوف تحول لقشعريرة عندما قفز لذهنها صورة ذلك الشيطان:

- إللى شبة التيس فى الكتاب كان واقف جنبى!! الحمد لله إنى ما شوفتهوش.

مط شفتيه وهز رأسه حائرًا مشتتًا يوازن نسبة كون مرض عقلى أصابه بهلاوس هو مريض بشيء غامض لكن ليس لهذا الحد، أسبلت فاتن جفنيها تعمل على استرخاء أطراف ترتجف تتزاحم فى رأسها مشاهد الدماء التى سالت أمامها وكائن من عالم الجحيم يلمسها ويؤلمها، هل أصبحت الشياطين الآن تظهر وتتجسد!!، هل تطور الأمر عن المألوف، أم أننا نحن من أصبح لدينا أعين قادرة على رؤيتهم، فتحت عينيها عندما لم تجد إجابة تمرر أصابعها بين خصلات شعرها تزفر فى ضياع وحيرة وتيه كبير فى الدنيا، ما الذى أقحم والدها نفسه فيه! ما الذى عرفه مع كل تلك الأجواء المخيفة، لقد فقد حياته نتيجة لأنه توصل لأمر يحاك من حولنا، أمر تسعى هى أيضًا مع شريف لتبر أغواره أملًا فى الوصول لحقيقة تسببت فى مقتل أقرب الناس إليهما.

- فاتن..فيه ضابط واقف بره الكافية.

انتزعتها العبارة انتزاعًا من شرودها تبصر بقلب ارتفعت خفقاته أحد ضباط الشرطة يقف خلف زجاج الكافية المعتم يتحدث عبر جهاز اللاسلكى، ثم التفت يرنو ببصره داخل الكافية وكأنه ينظر إليهم مباشرة ثم دفع الباب الزجاجى ودخل بخطى بطيئة يتفقد الرواد الذين التفت بعضهم إليه فى ريبة، انكمشا خلف الطاولة يخفضا وجوههم التى شحبت وكأنهم يفرون من الموت بينما يصم آذانهم وقع أقدام الضابط تشى باقترابه من العمود الذى يجلسان خلفه مصطحبًا معه جريمة اقتحام شقة وقتل فردى



شرطة سينغلق معها الستار على اعتقال وسجن أبدى، لفظا قلبيهما عبر حلوقهما عندما ظهر الضابط من الجانب الآخر للعمود يوليهم ظهره يدور ببصره ثم بدأ فى الاستدارة بجسده تجاههم ليثبت يقينًا لديهم أنهم مدركون لا محالة

***

رغم انتهاء الاتصال بهذه العبارة المقتضبة التى ألقاها مستر فرانكلين الملقب فى المنظمة بلقب (الصانع) على مسامع (عماد) إلا أن الأخير ظل يضع سماعة الهاتف على أذنه غير مصدق أنهم اتصلوا به بعد عدة أشهر من الاتفاق معه على الاندساس وسط جماعة أنصار صلاح الدين التى كان يجب اختراقها بعد أن ثبتت فاعليتها عام ٢٠١١ عندما استطاعت حشد الكثير من الشعب ضد محفل عند هضبة الأهرام تسبب لمنظمى المحفل فى ارتباك كبير وتأخير فى تنفيذ أحد أغراضهم عندما تم تأجيل المحفل من السلطات تحت ضغط شعبى جارف. *حقيقة

لذا قررت جماعة الهيبرو التعلم من أخطاء الآخرين عندما قرروا اختراقها وإخضاعها لإرادتهم، كانوا يحتاجون إلى شاب مصرى معروف وسط أقرانه لم تمس سمعته من قبل ولا يثير الشكوك يزحف تدريجيًا داخل الجماعة ويتفوق عليهم بمعلومات يتم إمداده بها حتى يستحوذ على ثقتهم وتكون له كلمة مسموعة بينهم، وقع اختيارهم على عماد نظرًا لضيق أحواله المادية وقدرته على التأثير على الآخرين بميوله القيادية ونهر طموحاته الذى لا ينتهى، تم إعطاؤه اسم كودى (nwo ٦٦٦) الذى لم يكن يدرى حتى معناه.

بالفعل زحف ببطء بين الجماعة وكان له حضور كبير بينهم حتى تزعم جميع تحركاتهم، ومن بعدها لم تطلب منه الهيبرو سوى أعمال بسيطة على غرار نقل آراء وتوجهات الشباب فى رسائل دورية بسيطة مقابل



مبالغ مالية ثم انقطع الاتصال وقتها اعتقد أن مهمته انتهت إلى أن تلقى اتصالًا منذ بضعة أشهر تقابل بعده بشخص لم يره من قبل أخبره باحتمالية تكرار ما حدث عام ٢٠١١ وأنه يريده أن يقوم بتكرار نفس الحشد مرة أخرى إذا ما أمروه بذلك، كان أول ما تبادر إلى ذهنه هو السؤال لماذا يريد هؤلاء دفع المعارضين للقيام بحشد ضدهم عند قيامها باحتفاليه جديدة، لم يتلق إجابة لكن بعض الأموال كانت إجابة كافية ليتخلى عن فضوله ثم يصمت وينتظر.

خفض الهاتف ووضعه فى جيبه ثم عاد للطاوله مصفر الوجه مشتت الفكر شاعرًا بمسؤولية ألقت للتو على كاهله، سأله هيثم فى قلق:

- خير يا عماد الحاجة والدتك كويسة

وكأنه أفاق من حلم عميق فحدق لحظات لهيثم بنظرة من يراه للمرة الأولى أو لا يدرى عما يتحدث هيثم ثم هز رأسه ينفض ما يدور فى عقله مغمغمًا:

- أبدًا يا هيثم تعبانة شوية لكن الدكاترة طمنونا، المهم نرجع لموضوعنا
- ماشى أنا زى ما فهمتنى مش هجيب سيرة لحد لـ.....

لأ يا هيثم هننشر الخبر فى كل مكان وأنا هكلم الشباب تبعنا هيقوموا بالواجب على الفيس بوك وتويتر، وإنت إكتب عندك عن الطقوس وبلغ كل إللى تقابله.. المحفل النهاردة الساعة ١٢ بالليل عند أهرامات الجيزة يعنى كمان خمس ساعات، وهيتم هناك طقوس سحر أسود واستدعاء كيانات شيطانية من الجن.



الفصل (٢١)

نظرًا للهجة شريف التى تنم عن خطر محدق حاق به، لم يسأل عزت كثيرًا فقط تلقى العنوان وارتدى معطفه وأخذ سسلة مفاتيحه ثم نزل الدرج فى سرعة ليتوقف بغتة قبل أن يصطدم بجاره الشاب يصعد الدرج فى سرعة كبيرة، ألقى عزت عليه السلام فى عجالة وشرع يتفاداه لولا أن استوقفه الشاب قائلًا:

- أستاذ عزت ممكن لحظة بس، أنا كنت عايز أقولك على حاجة ببلغ بيها كل إللى أقابلهم علشان ده واجب علينا كلنا

لم يترك له الشاب فرصة التعقيب وأكمل مباشرة.. إحنا هنعمل وقفة احتجاجية كبيرة عند الأهرامات لوحضرتك تقدر تيجى معانا وتبلغ كل إللى تقدر عليه

قطب عزت جبينه يتطلع فى استنكار للشاب الذى لم يكن سوى (هيثم)

- وقفه احتجاجية إيه يا هيثم، معلش أنا مش فاضى للكلام ده
- طب حضرتك إعرف الأسباب بس....
- معلش يا هيثم مستعجل

تسرب إحباط لقلب هيثم لم يلبث أن طرحه جانبًا مدفوعًا بشعور كبير بالمسؤولية أضرم نيران العزم فى قلبه من جديد فقام بنشر الخبر عبر جميع مواقع التواصل الاجتماعى ثم تهيأ للمشاركة فى المسيرة.

أما عزت فقفز داخل سيارته وانطلق بها فى سرعة كبيرة نحو شارع الهرم تتلاعب برأسه الظنون والهواجس يضع العديد من التصورات حول ما يمر به صديقه الآن دون أن يخطر بباله أن شريف أصبح أيضًا مطاردًا من الشرطة بعد اتهامه وفاتن بقتل اثنين من أفرادها مما يعنى شن حملة شرسة للبحث عنه وإيجاده بأى ثمن، شريف كان يعلم ذلك وهو جالس بجوار فاتن على تلك الطاولة داخل الكافيه وقد هربت الدماء من وجوههم عندما وصل الشرطى لطاولتهم المتوارية خلف أحد الأعمدة يوليهم ظهره



يدور بعينيه بين رواد المقهى بحثًا عنهما حتى وصل لموقع طاولتهم ثم شرع يلتفت إليهم، استعدا للنهوض سريعًا كمحاوله يائسه للركض خارج المقهى، لولا أن توقفت استدارة الشرطى يستمع لنداء جاءه عبر جهاز اللاسلكى فى يده يردد:

- بياع كشك السجاير اتعرف على المشتبه فيهم وقال إنهم راحوا على شارع (سامح صدقى)، إجمع قوتك وفتشولى الشارع كويس

- أمر معاليك

أجابه الشرطى وهو يركض خارج الكافيه تاركًا شريف وفاتن خلفه مباشرة على وشك أن يفقدا الوعى من فرط الإثارة يتنفسا الصعداء تبتسم فاتن وهى تتنهد فى ارتياح، بادلها شريف ابتسامة متفهمة تحمل شيئًا من الامتنان ثم نهضا فى حذر يتطلعان عبر زجاج المقهى الخارجى إلى الشارع الذى أصبح آمنًا فانطلقا فى الاتجاه المعاكس لاتجاه سير الضابط، عاود شريف الاتصال بعزت يخبره عن موقعهم الجديد:

- ابعد عن شارع الهرم، ادخل فيصل وأنا هوصفلك نتقابل فين بالضبط.

بخطوات واسعة اخترقا نهر المارة السائرين فى تثاقل منشغلين بمشاهدة واجهات محال الملابس التى احتشدت متجاورة تتخللها مطاعم الوجبات السريعة التى أصبحت تلاقى إقبالًا ملحوظًا فى الآونة الأخيرة تسببت فى تكتلات بشرية جاهدت فاتن وشريف للعبور خلالها والأخير يغمغم:

- الناس دى ما بتعملش أكل فى بيوتها ليه!
- أمال الأكل الفاسد والمنتهى الصلاحية هيودوه فين!



- هيفضلوا يأكلوهولنا ويرفعوا نسبة السمنة والأمراض العصرية ما بيننا.

ضمت فاتن شفتيها فى أسف دون تعقيب يواصلا المضى قدمًا بضع دقائق حتى وصلا لنهاية الشارع ليجدوا تقاطع ضخم لم يكن سوى شارع فيصل عرجا إليه ليصطدما بزحامه المضاعف الذى أصبح محببًا لنفس شريف اليوم بخلاف أى يوم آخر مما أعطاهم قدر من الاطمئنان لم يمنعهم من حث الخطا حتى بلغا ناصية شارع جانبى متفرع من فيصل تواريا داخله وأعاد شريف الاتصال بعزت لحظات حتى طالعته سيارة عزت الجيب الذى وقع بصره عليهم بدوره فتوقف أمامهم مباشرة بصرير مزعج لإطارتها، دار شريف يحتل المقعد المجاور له وجلست فاتن على المقعد الخلفى، انطلق عزت بالسيارة على الفور وفى رأسه يطرق ألف سؤال وسؤال:

- إيه إللى حصل يا شريف فهمنى!!

تنهد شريف يجيبه بصوت أضناه التعب:

- فى كارثة كبيرة أوى هتحصل يا عزت جماعة سرية بتدبرها وإحنا مش حاسين

- كارثة إيه يا شريف!!

روى له شريف ما مرا به فى شقة السنباطى فغر له عزت فاه يحاول استيعاب تلك الأهوال التى يرويها شريف، امتدت يد شريف تكشف عن معصم عزت الممسكة بمقود السيارة يدقق النظر لخدوش ما زال أثرها جليًا، تنهد أسفا يقول لعزت:

- معلش يا عزت أنا عارف إنى دخلتك معايا فى أمور مالكش فيها ذنب

هز عزت رأسه نافيًا

- ولا إنت كمان يا شريف ليك فيها ذنب.. أنا معاك لحد ما نعدى كلنا المحنة دى وربنا يسترها.



هز شريف رأسه فى امتنان ثم التفت لفاتن يناولها صفحة سولومون.. كملى ترجمة يا فاتن وأنا هاحاول اردد عبارات التحصين.
احتلت شاشة هاتف فاتن صور بوابة النصر ثم فضت ورقة تترجم بضع كلمات ثم توقفت عند إحدى الصور لبوابة النصر تقوم بتكبير جزء صغير منها عند رمز معين تدنيه من شريف متسائلة: الرمز ده مش موجود فى ترجمة سولومون !!

تناول شريف الهاتف يتطلع لصورة مركزة على نقش خط طولى فوقه نجمتان صغيرتين، مط له شفتيه ثم أعاد لها الهاتف مردفًا: خليه للآخر
لحظات صمت مرت على ثلاثتهم قطعتها فاتن تقرأ العبارة كاملة:

بضمير مرتاح حرسنا قباب بناتنا السبع، فتركنا لكم محراب الضياء الأخير.. وهناك يرشدك المفتاح النافذ أن كما فوق تحت، وكما فى اليمين فى اليسار حيث الطريق إلى أرنينى.. هكذا بالضياء تكتسب المجد فى الكون والظلام يبتعد عنك.

صمت مطبق ذَيَّل عبارة الجمالى بصوت فاتن عندما لم يجد أحدًا ثمة علاقة تربط أواصرها ببعضها أو بأىٍّ مما توصلوا إليه، أضافت فاتن:
- لو جيبنا العبارة من الآخر للأول هنوصل إن مكان الكارثة إللى هتحصل - أيًا كانت- هو مكان اسمه (أرنينى) لكن إيه المفتاح النافذ وإيه هى قباب البنات السبعة ومين إللى حرسها!!
جاوبها صمت جديد بضع لحظات قطعة شريف هذه المرة:
- أعتقد إن (قباب السبع بنات) دى آثار .. إدينى تليفونك.



ناولته هاتفها اللوحى فى ترقب تميل للأمام بوجهها تتابع شريف وهو يتأكد من اتصال الهاتف بالإنترنت ثم قام بفتح إحدى صفحات محرك البحث (غوغل) وكتب فى المكان المحدد للبحث

؛قباب السبع بنات؛

لحظات وطالعته العديد من نتائج البحث التى جعلته يقطب جبينه فى دهشة ويعاود البحث مرة أخرى لتطالعه نفس النتائج مما جعله يغمغم:

- القباب موجودة بالفعل لكن كل نتايج البحث بتقول إن المتواجد ستة والسابع مجهول مكانه

أقرن قوله بأن فتح إحدى نتائج البحث فى محاولة لمعرفة تفاصيل أكثر، لحظات وظهر له صورة لقباب جصية متراصة طوليًا، قرأ بصوت متمتم غير مفهوم أسفلها من شرح لذلك الأثر، مرت دقائق غرقت خلالها السيارة فى صمت بينما شريف يطالع معلومات عن تلك القباب إلى أن تحول انتباهه عندما انحرف عزت بالسيارة على نحو مباغت أجفل معه شريف وانتبه ينظر أمامه ليجد عزت يجاهد ليتفادى زحامًا شديدًا يعيق مرور شارع فيصل من العشرات من الأشخاص السائرون على نحو مقتضب بلا أى شعارات.

- خناقة دى ولا رايحين فين دول!!

لم يجب شريف أو عزت عن سؤال فاتن الذى لا يملكون له ردًا فقط تابعوا بأعين متسائلة المشهد أمامهم بينما تمكن عزت من الرجوع بسيارته قليلًا وعاد للانحراف فى أحد الطرق الجانبية قبل أن يدركه الزحام.

- شكلها وقفة احتجاجية، بس رايحين على فين كده!!

التفت شريف يطالع المسيرة عبر زجاج السيارة الخلفى أثناء ابتعادهم بالسيارة يقول هذه العبارة، مما دعا عزت لإجابته وهو يناور عبر الطرق الضيقة لمعاودة الخروج إلى شارع رئيسى مرة أخرى قائلًا:



- طب وإزاى الشرطة سايباهم كده دول أول ما بيسمعوا عن تجمع بييجوا فى لحظة، غريبة أوى!!
- فعلًا غريبة!!

أجابة شريف فى فتور وهو يعاود مطالعة المعلومات المتراصة فوق شاشة الهاتف اللوحى لحظات، ثم رفع رأسه شارحًا:

- قباب السبع بنات دى أضرحة موجودة فى مصر القديمة وبالأخص (عزبة خير الله) قصتها إن الحاكم بامر الله الفاطمى قتل سنة ٤٠٠ هجرية سبع أشخاص من أسرة وزيره (الحسين بن على المغربى) علشان ينتقم منه لما خرج عن المذهب بتاعه وهرب بره مصر، فيه أقاويل إن الحاكم بأمر الله حس بالذنب وبنى الأضرحة دى عليهم لكن الراجح إن مش هو إللى بناهم وإن وزير بعده هو إللى بنى القباب فوق المقابر *حقيقة

مالت فاتن على المقعد الأمامى تستمع لتلك المعلومات التاريخية التى قصها عليهم شريف متسائلة فى حيرة:

- وإيه قصة الضريح السابع إلى مالوش وجود ده!!

هز شريف رأسه نافيًا فى حيرة يفتش عبر المواقع التاريخية عن إجابة لسؤال بدا واضحًا أنه بلا إجابة:

- الضريح السابع مش معروف مكانه و مين إللى مدفون تحته ولا حتى إللى بناه، البعض قال إنها مجرد تسمية ومفيش ضريح سابع.
- مصر القديمة ساعة من هنا.. إيه رايك!!

تبسم شريف مجيبًا.. بس خلى بالك يا صديقى، الشرطة أكيد قالبين الدنيا علينا.



لم يكن عزت يحتاج لتحذير فبعد ما رواه له شريف عن مقتل المخبرين على هذا النحو البشع فى وقت لم يكن أحد معهم نظريًا سواهم تكفى لتكون جريمة قتل تزج بهم للسجن ما تبقى من حياتهم.



الفصل (٢٢)

بقلب متواثب قفز النقيب عمرو فوق درجات سلم العقار الذى تقبع شقة السنباطى فى طابقه الثالث يتحدث فى غضب عبر جهاز اللاسلكى للمسؤولين عن مطاردة فاتن وشريف:

- إزاى يا بهايم يهربوا منكم!!هاتوهملى من تحت الأرض قبـ...

تراخت يده الممسكة بجهاز الإرسال وتوقف بشكل مفاجئ تزامنًا مع بلوغه الطابق الثالث أمام شقة السنباطى المحطم بابها يطالعه فى الداخل مجزرة سالت على أثرها الدماء حتى انسابت خارج عتبتها يعبق الأجواء برائحته التى تشبه الحديد الصدئ، تسمر مبهوتًا دنا بوجهه للداخل ليتكشف له المزيد من الدماء تسبح وسطها أجساد ورؤوس، ارتد للخلف وقد تقلصت معدته فى اشمئزاز يغالب رغبة كاسحة فى التقيؤ بدا معها أنه يرى للمرة الأولى جريمة قتل بهذه البشاعة لم تمض لحظات حتى هضمها وغالب اشمئزازه يرفع اللاسلكى أمام فمه قائلًا فى أسى:

- ابعتلى المباحث الجنائية والطب الشرعى فيه جريمه قتل فى رقم (...) شارع الهرم الدور التالت.

عاد ببصره للمشهد بالداخل يدقق النظر لكتاب ضخم مفتوح وملقى وسط الدماء أثار فضوله فتقدم بحرص لكى لا يفسد الأدلة ثم دنا من الكتاب يحاول تجاهل أعين جاحظة لرأس أحد المخبرين الملقاة جواره، يطالعه فوق صفحة الكتاب الملطخة بالدماء مربعات ودوائر داخلها حروف وأرقام ورموز مطلسمة مكتوبة بخط اليد الدقيق للغاية وأسماء غريبة اشمئز لها قلبه نهض دون أن يمسه يدور بعينيه فى الأرجاء دون أن تبرح قدمه موطأها يرنو ببصره للقسم الثانى من الصالة تطالعه مكتبة ضخمة مزاحة جانبًا كاشفة عن فجوة فى الحائط لم يشأ التوغل أكثر وطمس أى بصمه أو دليل حتى يأتى رجال الأدلة الجنائية، فعاد ببصره لجثث

المخبرين و حانت منه التفاتة خاطفة لعنق الرأس المجتز سجل معها عقله ملاحظة مبهمة احتاج للحظات كي يترجمها عقله الواعي لتساؤل محدد دار في رأسه.
إن مكان فصل العنق مشرزم غير منتظم الحواف مما يستبعد معه استعمال سكين أو نصل حاد في قطعه وإلا لاستوت حواف القطع، لقد تم فصل العنق بقوة عن طريق جذبه لأعلى، لكن أي قوه بشرية تلك القادرة على جذب عنق وفصله على هذا النحو، عاد ببصره أرضًا للكتاب يتراجع خارج الشقة، تومض في مخيلته فكرة ترفضها عقليته البوليسية الواقعية لكن ضميره أخذ يلح عليه بها بلا توقف أو انقطاع، شيئًا ما خبيثًا يتخطى حدود المنطق والعقل يحدث منذ بضعة أيام وقد وصل لذروته اليوم.

***

مطار القاهرة الدولي الساعة السابعة مساء، درجة الحرارة ٤٠c

أعلن الموظف المختص عبر مكبر الصوت الداخلي لصالة مطار القاهرة الدولي وصول الرحلة ٥٤٠ طيران لوفتهانز القادمة من لندن إلى القاهرة هبط بعدها بدقائق المسافرون فوق درج الطائرة وتوجه الجميع لإنهاء إجراءات العبور من جوازات المطار في سلاسة وهدوء ثم توقفوا في انتظار حقائبهم أمام سير الحقائب باستثناء القليل منهم لم يكونوا يحملون سوى حقيبة يد صغيرة من بينهم رجل غربي الملامح طاعن في السن بدا ذلك من انحناء قامته أثناء سيرة يحمل عنه حقيبته الصغيرة مساعد شاب يسير خلفه في احترام وتوقير ويلقبه بالماستر.
ولجا عبر بوابة المطار الخارجية تجاه سيارة سوداء تنتظرهم، جلس المساعد في المقعد الأمامي بعد أن تأكد من استقرار الماستر في المقعد



الخلفى الذى ارتسمت على وجهه ابتسامة وقورة ينظر للجالس فى المقعد الخلفى جواره قائلًا:

- فرانلكلين.. الحارس الأمين، كل مهماتك ناجحة.

ابتسم فرانلكين فى احترام وازدادت عينه الزرقاء بريقًا

- النجاح نابع عن توجيهك، ماستر

- العينة جاهزة !

دون تعليق التفت فرانكلين جواره يحضر حقيبته المعدنية الصغيرة والتى ما أن لامس إبهامه مربعها الحساس ببصمة الإصبع حتى ارتفع غطاؤها تلقائيًا فى بطء يدنيها من الماستر الذى تألقت عينيه يطالع الأنبوب داخلها فى نشوة يومئ برأسه فى امتنان أعاد فرانكلين على إثرها غلق الحقيبة ثم مضت لحظات صمت احترمها فرانكلين بينما الماستر يتطلع لشوارع القاهرة المزدحمة والتى فشلت البرودة القارصة التى هبطت على أرجائها فى التخفيف من حده زحام السيارات والمارة على أقدامهم يتطلع الماستر فى صمت من خلف زجاج نافذة سيارته المعتم المبانى والكبارى وأضواء الطرقات ووجهات المحال التى تعج بالرواد والمارة ترتسم على شفتيه ابتسامة حالمة مردها أفكار تنساب داخل عقله تثير فيه نشوة وسطوة شعر معها أنه امتلك الكون والحياة والنشور وما هى إلا سويعات قلية ويثبت لنفسه وللمنظمة بأكملها فى جميع أنحاء العالم أن نهاية المطاف وتحقيق الآمال الكبرى قد دنا من الحافة.

عاد من شروده على مشهد كورنيش النيل لتتملكه رهبة مبهمة سرت لها فى جسده قشعريرة باردة جعلته يتنفس بعمق مغالبًا قلق مفاجئ اعتراه وتغلغل داخل قلبه يتطلع فى اقتضاب لمشهد النيل المهيب تنعكس فوقه أضواء المبانى والفنادق والبواخر العابرة يتحرك فى هدوء وقوة ينساب داخل أعماقه وكأنه يعلم نواياهم ويراقبهم كما يراقب القط الفأر بعد أن أحاط به وسيطر عليه، نفض عنه ذلك الشعور يحاول استرجاع ثقة



اهتزت دون مبرر، يراقب الطرق بينما السائق يدنو من فندق الفورسيزيون حيث الجناح الخاص به .

***

لم يكن السنباطى يعلم إلى أين يأخذونه تحديدًا من مشفى العباسية بل لم يكن يعلم حتى لماذا يحتجزونه من الأساس، فقط أنزلوه من المشفى ووضعوه داخل سيارة الشرطة (البوكس) واكتفوا بسائق وحراسة عسكرى معه فى الخلف باعتبار أنه رجل طاعن فى السن بالكاد يسير على قدميه، رجل كل جريمته أنه بمجرد مقتل نجيب صديقه أصابه الذعر وذهب لمسؤولين بالأمن العام يخبرهم بخطر محدق وخراب كبير، استمعوا إليه حتى بلغ بحديثه لنوع المؤامرة وما ستسفر عنه من أضرار.

لم يكن يعلم بعدها أن ما رواه لهم لفت انتباههم على هذا النحو حتى أنهم بعد عدة اتصالات زجوا به مباشرة ودون أدنى تبرير أو تردد فى مستشفى الأمراض العقلية دون إضافة أى كلمة أخرى وأحاطوه بحراسة على نحو مريب رسخ معها يقينًا لديه بتورط بعض نافذى السلطة.

تنهد فى أسى تدور الكلمات فى عقله وتتسابق.. مستحيل كل ده صدف.. كل دقيقة تمر ينزع الغطاء من فوق لغز لنجده قطعة واضحة فى لعبة (بازل) الحقيقة تمنى أن تنجو فاتن من كل المخاطر التى تحف من ينغمس فى شفرات تلك المؤامرة الضخمة خاصة وأن ظنون وهواجس عبثت برأسه لم يشأ الإفصاح عنها، نفض عنه ذلك الهاجس و مسح وجهه براحتى يديه ثم التفت يطالع الشارع عبر فتحة صندوق السيارة المغلقة بأقطاب معدنية تطالعه عدة محال وبازارات سياحية استنبط معها أنه بالقرب من آخر شارع الهرم يضع احتمال اصطحابه لقسم الهرم الذى يقع فى تلك المنطقة، سرت فى جسده قشعريرة قارسة البرودة تتناسب مع درجات حرارة وصلت لأدنى معدل لها يفرك أنامل تغضنت بشرتها فى محاولة يائسة لاستدرار دفء تطالب به عظامه الواهنة، توقف عن فرك

يديه ينصت السمع لصوت صخب الحياة فى زحام شارع الهرم يعلمه جيدًا لكنه لم يبلغ يومًا هذا الحد، ضوضاء بشرية شديدة ترتفع تدريجيًا على نحو متزايد وملفت للانتباه و.....

توقفت سيارة الشرطة بغتة اندفع الجميع معها للأمام، رصد السنباطى محاولات السائق التراجع بالسيارة بينما ضوضاء وهتافات تجمعات بشرية فى الخارج تتعالى حتى أصبحوا قريبين للغاية حول السيارة التى توقفت وأخذت فى الارتجاج بعنف بفعل أيدى بشرية تشبث السنباطى والعسكرى بمقعدهم المقابل فى ذعر عندما ظهر عدة رجال وشباب تسلقوا صندوق السيارة يجذبوا العسكرى للخارج من ملابسه التى بدأت فى التمزق وآخرين يشيرون للسنباطى بالنزول، بالكاد انتزع أحد المحتجين العسكريين من قبضة الغاضبين يذكرهم بكونهم عسكريين لا حول لهما ولا قوة.

ركض العسكريين فى ذعر غير مصدقين أنهما نجوا من بطش متظاهرين غاضبين على السلطة و داخل السيارة وبينما يشرع السنباطى فى النزول أبصر هاتف قديم متهالك داخلها انحنى يلتقطه ويدسه فى جيبه لم يكن يدر صاحبه وكان أقرب الاحتمالات أنه هاتف العسكرى الذى كان يجلس أمامه، لم يهتم بالتفسيرات بل يكفى أنه الآن حر ويملك هاتف، وهذا يكفى فى الوقت الراهن، نزل من صندوق سيارة الشرطة وما إن دار حول السيارة حتى شهق فى ذهول عندما أبصر المئات من المحتجين يغلقون الشارع بالكامل يهتفون ضد الأمن يتهمونه بالتقاعس

وسط الزحام والضوضاء والتدافع الشديد ظل السنباطى يجاهد ضد التيار حتى تشبث بأحد الطرق الجانبية من شارع الهرم ظل يخوض داخله حتى ابتعد عن الضوضاء وأوى إلى ركن آمن يرتعش بردًا وتعبًا ثم أضاء شاشة الهاتف وبدأ يضغط أزرارًا ممسوحة معالمها يطلب رقمًا يحفظه



جيدًا يعلم يقينًا أن حالة صاحب الرقم لا تسمح له بالرد، لكنه يأمل ان يجيبه من يحتفظ بهاتفه.

وضع الهاتف على أذنه يستمع بقلب خافق مترقب للرنين المتصل فى انتظار مجيب

بينما فى آخر شارع الهرم تقدمت المسيرة أكثر ينضم إليها المزيد والمزيد، وفى مقدمتها شاب محمول على الأعناق يهتف بحماس كبير ضد المؤامرات وضد الحكومات، شاب اسمه عماد.. يعرف جيدًا ما يقوم به.

الفصل (٢٣)

شقت سيارة جيب سوداء ظلام الليل الحالك قارص البرودة طريق النصر (الأوتوستراد) يقودها عزت في حذر وترقب وإلى جواره شريف يفتش عبر الهاتف اللوحي داخل مواقع الإنترنت حول طبيعة المنطقة، تتابعه من فوق كتفه فاتن الجالسة في المقعد الخلفي في صمت مشحون بشحنه توتر خيم على الجميع أثناء توجههم لحي مصر القديمة وبالأخص عزبة خير الله التي تقع في المنطقة الوسطى بين حي البساتين ودار السلام ومصر القديمة.

لم يكن أحدًا منهم يعرف الكثير عنها سوى أنها منطقة غاية في الشعبية إلى حد مقلق، لكن إشارة الأمير الفاطمي بدر الجمالي لهذه القباب القابعة عند أطرافها الشمالية في نقوش بلغة الملائكة فوق بوابة النصر باعتبارها تحمل سر الخلاص، كان أمرًا يتعدى حدود الصدفة يستلزم معها الذهاب إلى هناك في الحال وتحت أي ظرف.

فرك شريف عينه في إرهاق ثم رفع الهاتف اللوحي الخاص بفاتن لمستوى كتفه اقتربت فاتن بوجهها تطالع أحد المواقع على شاشته تستمع لشريف شارحًا:

- الجمالي مملوك من أصل (أرمني) ويقال إن جدوده توارثوا أمانة سر كبير.

أطفأ شريف شاشة الهاتف وأعاده لفاتن دون أن يتلقى اى تعقيب فقط خيم الصمت على السيارة من جديد وكل منهم غارق في محيط من الأفكار المتلاطمة يتصور عشرات الصور لشكل محراب الضياء الذي تركه الجمالي لدحر منبع الظلام ومخطط لنشر التناحر والأوبئة والشر.

سبحت داخل عقل شريف عبارة كار ماركس.. (التاريخ يعيد نفسه)، تمنى وقتها لو أن الرجل كان مخطئًا فى مقولته وإلا فهم فى على مشارف تكرار لكارثة قديمة.

مرت السيارة فى طريق الأوتوستراد على منطقة (منشية ناصر) عن يسارهم أو كما يسمونها (مدينة القمامة) لما لها من نشاط رئيسى هو جمع القمامة وتقسيمها وإعادة تدويرها تصطف الورش الحرفية خلف سور قصير بطول الطريق تبرز خلفه قمم مساكنها المعدمة شديدة العشوائية كشواهد القبور تحتضن داخلها هضبة الدويقة التى تقبع أسفلها وفوقها العديد من المنازل تنتظر أن تسقط فوقها صخور الهضبة من جديد بخلاف تلك التى وقعت عام ٢٠٠٨ وراح ضحيتها ١٠٠ شخص وعشرات الإصابات

أما الجانب الآخر عن يمينهم حيث مدينة الموتى الأحياء التى تعج بشواهد وقبب وأضرحة يشغلها الأموات يتخللها أحياء تعج بهم منازل سكنية وسط القبور يعيشون فيما بينهم بسلام وتفاهم تام، يزداد المشهد سواءًا كلما توغل ثلاثتهم مما زاد فاتن انكماشًا فى مقعدها تطالع المشاهد الكئيبة شحيحة الأضواءعلى الجانبين عبر زجاج النافذة تتساءل فى قرارة نفسها أى بشر معدمون يعيشون هنا!

انحنى عزت بالسيارة مع الطريق يمينًا إلى (الطريق الدائرى) ثم بعد بضعة أمتار وعبر دروب وصل للجانب الجنوبى من العزبة تطالعهم مساكنها التى هى عبارة عن غرف مبنية من الحجر متناثرة على نحو عشوائى تبدو فى الظلام كشواهد قبور ضخمة لأشخاص مازالوا على قيد الحياة لا تتجول وسط دروبها الضيقة سوى الكلاب الضالة لكن ذلك كان أفضل من دخولها صباحًا وإلا كان عليهم مشاهدة أسراب من الأطفال ممن لا يطيقون ملابس نصفهم السفلى يحتشد فوق المخاط المتدلى من أنوفهم ذباب وناموس وقوافل أفيال إفريقية، من بين زقاق وآخر وضع أحدهم أمام حجرته الصخرية مصباح أصفر كئيب يزيد الأمر سوءًا ولا

يضيف سوى مزيدًا من الظلال المقبضة، وعلى استحياء تجد بعض الأفراد يجلسون أمام حجرتهم يعبئون صدورهم بهواء الليل المحمل بروائح تلال من القمامة تقع غير بعيد اعتادت عليها أنوفهم، تقدم عزت بسيارته فى وجل وهو يغمغم:

- إحنا مش بعيد نتخطف هنا ومحدش يحس بينا

ازدرد شريف لعابه فى ريبة بعد أن توغلوا داخل العزبة يشير لأحد المارين قائلًا لعزت:

- أقف هنا نسأل على القبب بدل ما نتوه.

أطاعه عزت فى صمت يبطئ أكثر وأكثر من سرعة سيارته حتى توقف جوار ذلك الرجل الذى انتبه للسيارة ينظر إليهم بتشكك:

- إحنا عايزين نروح عند قبب السبع بنات، نمشى إزاى لو سمحت.

جالت عينا الرجل بنظرات غائبة عن الوجود تتفحص الجالسين داخل السيارة فى تبجح حتى طالعه بالداخل شريف وعزت وفى الخلف فاتن، مما جعله يبتسم فى خبث قائلًا بلسان تثاقلت كلماته بفعل المخدر:

- طب ما أنا ممكن أجيبلكم مكان أحسن من هناك وهريحكوا ع الأخر.

مرت لحظات صمت استوعب عزت خلالها المغزى من العبارة كتم بعدها ضحكة كادت تنفلت من بين شفتيه، بينما قطب شريف جبينه يقول فى لهجة جافة:

- فين القبب يا جدع إنت.

غمز الرجل بعينيه وهو يضع سبابته ووسطه على شفتيه يقربها ويبعدها منها مكملًا:

- طب شوفلنا معاك سوجارة طب.

مد شريف يده يلتقط من تابلوه السيارة علبة سجائر عزت ويعطيها له فى نفاد صبر

- فين القبب!

طب يا باشا ما تزقش أنا عارف البهوات إللى زيكم زهقوا من جو الشقق والفلل وعايزين يقضوها فى مكان جديد وغريب.

تناول علبة السجائر وسط غيظ شريف المكظوم يضيف:

- ليليتكوا فل إن شاء الله، هتمشوا على طول لحد ما تقابلكم صخور عالية وكوم زبالة هتعدوا بالعربية من وراه وتنزلوا تانى وتاخدو يمين طواااالى لحد ما توصلوا لحته نازله لتحت هتلاقوا جواها القبب هتسيبوا العربية بره وتنزلوا على رجليكم.

شرع عزت فى الانطلاق بالسيارة دون أى تعقيب لولا أن تناهى إلى مسامع شريف عبارة الرجل يقولها بتثاقل مغمغمًا:

- خلى بالكوا النهاردة يوم البنات

أشار شريف لعزت بالتوقف ودنا من نافذة السيارة يرنو لذلك الرجل عبرها قائلًا فى ريبة:

- بنات ايه إللى يومهم النهاردة!!

بدا الرجل مرتبكًا متلعثمًا يشير بيديه إشارات ليست ذات معنى يدس علبة السجائر فى جيبه وقد بدا فى عينه شيئًا من القلق من نظرات شريف المتفحصة ثم أجاب:

- دى تخاريف العزبة يا باشا تخاريف وربنا.. ليلتكوا زى الفل

تحسس الرجل كنزه الصغير فى جيبه ثم ولاهم ظهره ومضى فى طريقه غير عابئ بنداءات شريف له إلى أن توارى وسط الغرف الحجرية التى غرق معظمها فى الظلام يجلس على مصطبة حجرية أمام إحداها يشعل سيجارة من علبة عزت الفاخرة ويطلق دخانها فى تلذذ مغمغمًا:

ليلتكوا فل يا باشا...

***

ساد الظلام المهيب مدينة (الفسطاط) التاريخية العتيقة التى تم إنشاؤها منذ قرون سحيقة فكانت تعتبر مدينة تحصنها الطبيعة يحدها الجبل شرقًا والنيل حولها ينقسم لفرعين، سهل ذلك الزراعة والتجارة فاتخذها الفراعنة مدينة كبيرة لهم استقر بعدها البابليون عند نزولهم مصر ثم اتخذها الرومان مقر دفاعى لهم يربطهم بالوجه القبلى، إلى أن اتخذها المسلمون عاصمة إسلامية لهم عند دخول مصر عام ٦٤١ ميلادية بقيادة عمرو بن العاص، بعد اقتحامه لحصن بابليون الرومانى أحد أعتى الحصون وقتها والذى ظلت إلى يومنا هذا أجزاء ضخمة منه، وظل الاسم على حالة الفسطاط القديمة شاهدًا على حضارات متعاقبة منذ آلاف السنين *حقيقة

لم يستطيع شريف إحصاؤها أثناء تفكيره فى تلك المنطقة التى أصبحت مهملة فى طى النسيان يغلفها الصمت والظلام الذى لم يهتك ستره سوى أضواء مصابيح سيارة عزت التى برغم كونها سيارة قوية ذات دفع رباعى إلا أنها أخذت تتأرجح بثلاثتهم بشدة آثر مرورها عبر صخور ودروب وعرة فوق طريق غير ممهد يتفادى الصخور يدور حول أضخمهم ثم انطلق شمالًا عبر منطقة خالية نسبيًا إلا من عدة حجرات متناثرة على الطريق حتى طالعهم سور صخرى قصير لا يتجاوز النصف متر بدا واضحًا خلفه منخفض رملى صغير لا يتجاوز انخفاضه المتران يغلق نهاية الطريق يعلن انتهاء حدود عزبة خير الله الشمالية بسور قباب السبع بنات.

توقف عزت بالسيارة أمام السور وترك ضوء كشافاتها يهتك ستر ظلام تلك المنطقة الرملية المنخفضة التى ظلوا يتفقدونها من داخل السيارة بأعين ملأها توجس ورهبة مبهمة مردها عدم اتضاح الرؤية فى قاع ذلك

المنخفض لكن على الضوء الشحيح أبصروا مساحة كبيرة خالية يتوسطها على خط طولى غير مستقيم قمم أربعة قباب مبنية من الحجارة على الطراز الفاطمى يفصل كل ضريح عن الآخر من خمسة إلى عشرة أمتار، تركزت أعينهم على أقرب الأضرحة وأكثرهم وضوحًا يتجلى لهم بناء فى شكل مكعب متدرج القمم كالهرم يتجاوز ارتفاعه التسعة أمتار وعرضه الثمانية قاعدته حجرة مستطيلة يتوسط جدرانها الأربعة بوابة دائرية القمة، تعلوها حجيرة أخرى أصغر منها حجمًا تحوى نفس عدد البوابات دائرية القمة ثم حجيرة ثالثة فى القمة مسدسة الأضلاع كانت تحمل قبة يومًا ما قبل انهيارها وتصبح مكشوفة من أعلى.

أغلق عزت السيارة وترك كشافها يضئ لهم طريق نزول المنحفض الرملى، عاون شريف فاتن فى الهبوط يتبعهم عزت بعد أن أضاء مصباحًا صغيرًا فى يده يضئ به أرض غزيرة الرمال غارقة فى الظلام وقباب يلتصق بجدرانها الخارجى مادة سوداء تشبه الطين يتدلى منها خيوط قماشية معقودة وشموع ذائبة.. سحر وشعوذة تقام هنا من أشخاص يلطخوان جدار القباب بالحناء ويغمسوا داخلها القماش المعقود ويشعلو حولها الشموع تحمل بعدها العقيم وتتزوج بعدها العانس(*)

انقبض قلب شريف من رؤية تلك الخرافة المجسدة أمامه يدور بعينيه حوله يحصى أربعة قباب، ثم أبصر غير بعيد قاعدتين حجريتين كانتنا قبتين قبل أن تهدم جميع جدرانها مما جعله يغمغم فى حيرة:

- كده ست أضرحة إللى عملهم الحاكم بامر الله، فين السابع!!

جالا بأبصارهم يتلفتوا فى المكان المقفر يتجه ثلاثتهم فى ريبة تجاه منطقة مظلمة لم تنجح أضواء السيارة بالأعلى فى تمزيق حاجز الظلام الذى تغرق فيه قبتين متواليتين كئيبتين مما اضطرهم لاستعمال مصباح عزت الذى تقدمهم يدور بضوءه يمينًا ويسارًا، وشريف يردد الجملة الأولى من

---

* خرافة حقيقة مازالت إلى يومنا هذا

عبارة الجمالى مغمغمًا:
(بضمير مرتاح حرسنا قباب بناتنا السبع)

غاص ثلاثتهم أكثر فى ظلام تام إلا من بقعة ضوئية يخلفها مصباح عزت، قطعت فاتن نسيج الصمت بشفرة صوت خافت:

- لاحظوا العبارة.. حرسنا قباب بناتنا!! يعنى إللى يقصده الجمالى وبندور عليه مش من ضمن القباب.. ده حاجة تانية بتحرسهم، أو..... أو ضريح سابع مجهول.

دار عزت بالمصباح على نطاق واسع قائلًا:

- لو كلامك صح يبقى إللى بيحرس حاجة لازم يكون قريب منها.

أضاف شريف:

- مش لازم يكون قريب، المهم يكون شايفها كويس من بعيد أو على الأقل يـ......

ندت حركة خافته تسمر على إثرها ثلاثتهم تجوب أعينهم الأضرحة، همس عزت دون مبرر وكأنه يخشى إزعاج أصحاب الأضرحة:

- فيه حد جوه القبب دى

سرت لعبارته رجفة فى أوصالهم دعمتها قشعريرة سقيع فى الأجواء، مد شريف يده لعزت طالبًا للمصباح دون أن تفارق عينه الضريح الأول المظلم تمامًا من الداخل يقترب ببطء يسلط ضوء المصباح الشحيح حتى خلا على قيد خطوة واحدة من مدخله، اعتلى القاعدة الصخرية ودلف الضريح يدور بضوء المصباح فى الأركان الداخلية له، فى البداية لم تقع عينه على شيء إلى أن سقط ضوء مصباحه على نقش فى باطن أحد الأركان لخط رأسى بجواره دائرة دقيقة وفوقها ثلاثة نجوم طمست معظم ملامحها شرع يقترب من النقش لولا أن التقطت أذنه أنينًا فى أحد الأركان

فاستدار فى حده ليقع بصره على شخصٍ ما أو بعبارة أدق امرأة توليه ظهرها وتجلس على ركبتها ينسدل شعرها خلفها طويلًا فوق ثوبها الأبيض وتنحنى نحو أحد الأركان تحيط رأسها براحتيها وترتجف أجفل شريف وتسمر مكانه قائلًا بصوت متردد:

- مالك يا ست، إيه إللى مقعدك هنا.

مرت لحظات لم يتلق خلالها جوابًا سوى مزيدًا من ارتجاف هذه المرأة التى لاحظ قدميها الحافيتين، خطا للوراء فى محاولة منه للتراجع، لكنه تسمر من جديد عندما خفضت المرأة يديها ونهضت تستدير فى بطء حتى طالعه وجهها على ضوء المصباح، شهق فى ذهول جف له حلقه يتراجع بينما يرتجف المصباح فى يديه، شاركته شفتيه الارتجاف وهو يغمغم بصوت مبحوح غير متضح المعالم، فما كان أمامه حقًا مفاجأة.. مفاجأة لا تمت لمعايير المنطق بأى صلة.

***

شعر كلًا من فاتن وعزت بقلق ممتزج بالدهشة وهما يقفان على مسافة متوسطة من الضريح الذى ذهب شريف يتفقده تطالعهم أضواء المصباح من الداخل، دون أى ظهور للأخير مرت لحظات صمت وترقب لم يطيقاها فشرعا يلحقا به لولا أن توقفت فاتن بغتة تلتفت للضريح الثالث خلفها مباشرة فى تفحص، كان عزت قد سبقها بضعة خطوات فتوقف بدوره متسائلًا، فأجابته فاتن بإشارة من يدها للضريح القريب أقرنتها بخطى وئيدة تجاهه هامسة:

- فيه حد بيقول اسمى جوه
- فاتن استنى ما تروحيش

نطقها عزت فى قلق بالغ وقلبه يحدثه بوجود أمر يحاك من حولهم فى الظلام، شعر معه بخطر محدق على فاتن وشريف جعله يتلفت بين فاتن التى حثت الخطى للضريح تدلف أحد بواباته كالمأخوذة وبين الضريح الذى يضم شريف ولا يرى منه سوى ضوء المصباح فى الداخل يدور فى يد شريف الذى تسمر يتأمل وجه تلك الفتاة المتبسمة على نحو لانت ملامحه له وقد بدا الشوق يفيض من عينيه بعد أن ملأ فؤاده بالحنين يغمغم بشفتين ارتجفتا من وطأة المفاجأة:

- د..دينا!!.. وحشتينى أوى.

ازداد ابتسامة دينا زوجته حنوًا ودفئًا وهى تمد يدها تجاهه تهمس له:

- أنا هنا يا شريف.. معاك وإنت معايا.

كالمأخوذ خطا شريف تجاهها مسلوب الإرادة أمام اشتياقه وحنينه البالغ لزوجته ترقرقت دمعة ملتاعة فى عينيه.. كم يشتاق لها قلبه أيَمَا اشتياق أفقده منطقية ما يحدث ودفعه للخطو تجاهها مادًا يده إليها و..... لأ يا شريف

ظهر عزت بغتة داخل القبة يصدم شريف بقوة مفاجأة اندفعا معها عبر أحد بوابات الضريح ليتعثرا فى قاعدته الصخرية ويسقطا خارجه فوق الرمال، أجفل شريف وكأنه يفيق من حلم أو كابوس يشهق وقد ترددت أنفاسه يعاونه عزت على النهوض يتطلع بفضل ضوء المصباح الشحيح - بعد أن سقط بجوارهم - لبوابة الضريح الذى برزت منها بغتة الفتاة بوجه تحلل بعض أجزاءه وتحول للون أزرق داكن وعنق بدا أكثر طولاً من المعتاد تتألق عينيها ببريق قرمزى يتطاير شعرها مع ثوبها الأبيض ومن بين شفتيها يخرج صوت أنين غاضب متوعد، انتفض عزت يحوقل ويبسمل يتراجع زحفا فوق الرمال جوار شريف الذى ارتجف جسده يتخيل مصيره بين ذراعى هذه الشيطانة، ثم قفز فى ذهنه بغتة فاتن:

- فين فاتن يا عزت!

انخلع قلب عزت عندما أنساه هول ما أمامه أن فاتن ربما تواجه نفس المصير الآن فحانت منه التفاتة للضريح المجاور كانت إجابة كافية ليلتقط شريف المصباح وينهض راكضًا تجاه الضريح وفى أثره عزت تاركين أنين تلك الشيطانة الغاضب تقف فى حدود ضريحها كالمسجونة تصرخ وتئن.

اقتحم شريف الضريح لاهثًا يضيء جنباته المظلمه حيث تقف فاتن وأمامها رجل مسن ينظر إليها بحنان ويحيط كتفيها بذراعيه، ما أن سقط ضوء المصباح على وجهه حتى ارتد للوراء يتلون وجهه ويتشكل حتى أصبح شبيه بالشيطانة الأولى تطلق أنينًا غاضبًا تمسك بتلابيب فاتن التى أصابتها حالة هيستيريا بعد ذلك التحول الذى طرأ على الرجل، سحبها شريف للخارج بقوة انتزعتها من مخالب انغرست فى كم سترتها ثم تراجع فى حذر موليًا وجهه لتلك الشيطانة حتى ابتعدوا عن قاعدة الضريح بينما استمرت الشيطانة فى الزمجرة والعويل تقترب حتى حدود الضريح مصدره فحيح غاضب تتقد معه جمرتين فى عينيها ثم تعود للوراء مرة أخرى.

هبطا خارج قاعدة الضريح الصخرية للأرض الرميلة بأرجل متخاذلة تتسارع دقات قلوبهم انضم إليهم عزت بينما تستند فاتن على ذراع شريف يجوب بضوء المصباح يمينًا ويسارًا يتراجع ثلاثتهم عند حدود المرتفع الرملى، ازدردت فاتن لعابها تنتفض بين ذراع شريف تتكلم بصوت متهدج:

- بابا يا شريف، بابا كان واقف معايا، كان واحشنى أوى و...

لم تستطع متابعة الحديث وسط دموعها التى سالت على وجنتيها، شعر شريف بإشفاق بالغ وقبضة باردة تعتصر قلبه يدرك جيدًا شعورها ويتفهمه بعد أن مر بشعور مماثل له منذ لحظات مع تلك الشيطانة التى تشبهت بزوجته، ربت على كتفها تدور عينه بقلق بالغ مع عزت فى الأرجاء يحاول أن يلتقط مصدر ذلك الأنين المتزايد تدريجيًا.. الجنيات

بيقدروا يتشبهوا بأى شكل.. دارت تلك الفكرة فى عقل شريف قبل أن يصلا لحافة المرتفع الرملى بعد وبينما يتراجعون فى حذر وسط الضوء الشحيح إذا بالأضرحة الستة يخرج منها بغتة ست فتيات يحملن ذات الوصف المخيف لكن بملامح مختلفة يصدرن صوت عويل ونحيب يصم الآذان.. لكن الأكثر هولًا هو أنهم غادرن قواعد أضرحتهم

تعثر عزت وكاد يسقط من التراجع المباغت، ارتجفت فاتن فى ذعر تتشبث بذراع شريف الذى اتسعت عينه وجف حلقه تتنقل عينه فى ذهول بين الأضرحة التى يخرج منها ست فتيات لا يمتون لعالم البشر بصلة تتطاير أوشحتهم البيضاء مع شعورهن الثائرة على وجوههم الزرقاء يتلون كالأفاعى وسط عويل ونحيب ممتزج بضحكات ماجنة يقتربن فى بطء تجاه ثلاثتهم فى مشهد كالكابوس تسمر له ثلاثتهم تتواثب قلوبهم وتتقطع أنفاسهم، جذب شريف فاتن وعزت للخلف فى بطء حتى لا يثير حفيظة هؤلاء الشياطين و.....

بدون مقدمات ومضت السماء بضوء خاطف مبهر لثانية واحدة أو أقل توقفت على إثره الجنيات يتلفتون حولهم فى ذعر مباغت ثم سقطوا جميعًا فى آنٍ واحد على الأرض الرملية يسحلوا على وجوههم وكأن قوة خفية تجذبهم من أرجلهم لداخل أضرحتهم أطلقوا لها صراخًا مدويًا ينشبون مخالبهم فى الرمال بلا جدوى حتى توارت كل واحدة داخل ضريحها وسقطوا داخل فجوة لباطن الأرض حيث يرقد رفاتهم، رددت الأرجاء الخالية آخر صرخاتهم المعذبة من داخل الأضرحة ثم ساد السكون التام الذى لا تسمع معه من أحد رِكزًا فظل ثلاثتهم على حالهم ووقفتهم فى صمت لا يسمع معه سوى صوت صفير رياح منخفض وخفقات قلوب أوشكت على التوقف.

ازدرد عزت لعابه يرطب حلقه الذى جف يرفع بصره لأعلى بحثًا عن مصدر الضوء الذى ومض بغتة من المجهول وأنقذهم من مصير مظلم، التفت إلى شريف فوجده يشرع برأسه ينظر بتفحص لشيء ما تجاه الشمال يغمغم فى افتتان:

- الضريح السابع.. محراب الضياء الأخير!!

التفت عزت و فاتن ببصرهم فى تساؤل ليطالعهم أول ما طالعهم جبل المقطم الأشَمّ يغرق فى ليل القاهرة الدامس شرع عزت فى السؤال لولا أنه بعد مزيد من التدقيق وبتتبع زاوية تحديق شريف أبصروا فوق الجبل بناء غريب أبيض اللون يحيط به سور قصير يبرز من وسطه قبة مزيج من قبب الأضرحة ومآذن الجوامع لكن أنشئت على نحو مختلف وغريب لم يتبين أحد منهم كنهها فى الظلام مما دعا فاتن للسؤال دون أن تفارق عينيها البناء فى الأعلى:

- يعنى ده الضريح السابع ومحراب الضياء الأخير إللى يقصده الجمالى!

- ده التفسير المنطقى الوحيد، تعالوا الأول نطلع من هنا.

عاون شريف فاتن على صعود المرتفع الرملى القصير يتبعهم عزت حتى صاروا فوق الارض الصلبة بجوار السيارة يغلب فضول عزت على خوفه متسائلًا:

- أنا طول عمرى بشوف المبنى ده فوق المقطم وأنا معدى فى طريق الأوتوستراد لكن معرفش هو إيه والـ....

بتر عزت عبارته بينما تلفت ثلاثتهم لبعضهم البعض عندما تصاعد صوت رنين هاتف لدى أحدهم ليشير شريف لعزت متسائلًا:

- مش هترد على تليفونك
- لأ ده مش تليفونى تقريبًا الصوت جاى من ناحية فاتن
- لأ دى مش نغمة تليفونى

اقترب شريف من فاتن يشير لحقيبتها

- لأ من شنطتك

رفعت فاتن الحقيبة بجوار أذنها تستمع لصوت الرنين الصادر من داخلها بالفعل، فتحت حقيبتها فى دهشة تخرج هاتف مازال أحدهم يحاول الاتصال به قائلة:

- تليفون بابا الله يرحمه، كنت حطيته فى شنطتى ونسيته.

ضغطت فاتن زر الإجابة ليطالعها صوت رجل مسن يسألها فى وهن:

- ألوو، مش ده تليفون الدكتور نجيب الله يرحمه!
- أيوه، إنت مين!
- إنتى فاتن بنته أنا فاكر صوتك!!!
- ....

الحمد لله إنى وصلتلك يا بنتى، أنا الدكتور إبراهيم السنباطى.



الفصل (٢٤)

(مشهد الجيوشى)

هو بناء عجيب بناه الأمير بدر الدين الجمالى فى مايو سنة ١٠٨٥ ميلادية فوق هضبة جبل المقطم وكان أول شاهد فى مصر كلها يتبنى من الصخور، محدش عارف إيه سبب بناؤه أو حتى إيه فايدته، مؤرخين قالوا إنه مسجد لكن رجعوا فى كلامهم لأن الطريقة إللى اتبنى بيها مش على الطراز الفاطمى للمساجد بمئذنته الغريبة أوى ومحدش صلى فيه قبل كده، مؤرخين قالوا إنه ضريح للجمالى نفسه لكن ثبت إن الجمالى إتدفن فى قبة الشيخ بدر قدام بوابة النصر، مؤرخين قالوا إنه مركز مراقبة وإنذار مبكر وقت هجوم الأعداء لكن مفيش دليل على كده، و ناس ريحت دماغها و قالت إنه مبنى تذكارى يخلد ذكرى أمجاد وانتصارات الجمالى فى مصر، إنما فى أساطير وأقاويل بتقول إن وراه سر خفى، وبرضه مفيش اى دليل على كده . (حقيقة)

بدا صوت الدكتور سنباطى - أستاذ التاريخ - الصادر عبر السماعة الخارجية المكبرة لهاتف والد فاتن مجهدًا متقطع الأنفاس وهو يقول هذه المعلومة يستمع إليه ثلاثتهم أثناء جلوسهم داخل السيارة أمام القباب مما تكهن معه ثلاثتهم أنه يتحدث أثناء هرولته بعيدًا عن منطقة الهرم حتى لا يعاودوا الإمساك به كما روى لهم، لم يشأ أحد مقاطعته وظلوا ينصتوا إليه باهتمام بالغ يشرح لهم أصل البناء الذى وصفوه له فوق المقطم والمعروف بمشهد الجيوشى وظنوا أن ضوء خاطف سطع منه دحر شياطين يعلم الله ضررهم، صمت السنباطى لحظات يلتقط أنفاسه مكملًا:

- المؤرخين لاحظو إن المشهد مبنى بطريقة وزاوية دقيقة جدًا متوجه بيها لقبب السبع بنات وبيطل عليهم بالضبط وكأنه بيراقبهم. (حقيقة)

ابتسم شريف وتلاقت عينه مع عزت عند هذه العبارة فى نظرة توحى بصحة ما تصولوا إليه وما استنبطوه من عبارة الجمالى، دنا شريف من الهاتف الذى تمد فاتن يدها به من المقعد الخلفى يشرح السنباطى:

- دكتور سنباطى فعلًا المشهد بيطل على القبب وواضح إن هو الضريح السابع المفقود، بيحرسهم أو بمعنى أدق يمنع شرهم باعتباره محراب الضياء الأخير زى ما وصفه الجمالى.

تساءل السنباطى عبر الهاتف:

- إللى حصلكم ده أهل العزبة بيرددوه من زمان فى حكايات وأساطير لكن عمره ما حصل لحد.. إشمعنى النهاردة!!

لم يجد الإجابة لدى أحد فصمت لحظات يهضم تلك المعلومات الجديدة، رغم كونه أستاذ فى التاريخ إلا أن بعض الأسرار التى حيرت المؤرخون لقرون بدا أن لها تفسيرات تطفو الآن على السطح تتجلى معها حقائق كان يظنها من عالم الخيال، فعندما يصطدم التاريخ بالأسطورة فإن الأمور تحتاج لإعادة ترتيب.

تسميتهم سبع قباب رغم أنهم ستة أضرحة لأشخاص مجهولين يقال أنهم قتلوا ظلمًا.. الضريح السابع مفقود بالفعل وغير معلوم مكانه.. الجمالى يبنى بناء غريب فى منطقة مرتفعة بزاوية غاية فى الدقة ليطل على الستة أضرحة ولا يعلم أحدًا السبب، ثم يتضح الآن أن غرض البناء هو وقف شر أصحاب الأضرحة الستة ومنع انتقامهم.. هل الحاكم بأمر الله كان محقًا فى قتل هؤلا البنات لما علم لهم من شر، أم أنهم أبرياء عذبهم وقتلهم ظلمًا وعدوانًا فهامت أرواحهم عند الأضرحة غاضبة تبغى الانتقام فأقام الجمالى لهم مركز مراقبة وحجب لشرهم!!

- دكتور سنباطى، إحنا هنطلع المشهد .



قطعت العبارة تفكير السنباطى مما جعله يتنهد فى قلق قائلًا:

- توكلوا على الله يا ولاد، وخلوا بالكم فاضل أقل من تلت ساعات على نص الليل.. معاد مرور نيبرو وقتها يعلم ربنا إللى هيحصل، ثم استطرد وكأنه تذكر شيئًا هامًا، فاتن يا بنتى عايز أكلمك لوحدك عن حاجة خاصة بوالدك.

رفعت فاتن بصرها لشريف فأومأ لها برأسه مشجعًا فقامت بوقف سماعة الهاتف الخارجية وترجلت من السيارة بينما شريف وعزت يتطلعان عاليًا فى رهبة لمشهد الجيوشي الغارق فى الظلام، وداخل عقل كلًا منهم يحاول فى توجس تخيل ما ينتظرهم هناك.. فوق.. داخل المشهد، لم يكن يدرى تحديدًا موعد بدء تلك الكارثة إلا أن ارتباطها بمرور الكويكب ثبت لديهم يقينًا لا شك فيه بموعدها الذى لم يتبقى عليه سوى ثلاث ساعات من الآن.. السنباطى أيضًا يؤكد ذلك، السنباطى.. الذى ثبتت حتى الآن صحة ادعاءاته رغم أنه تفاجأ من بعض الأمور بدا واضحًا معها أنه لم يبلغ ذلك الحد من قبل، توقفت اكتشافاته مع نجيب عند حد الدراسات النظرية فى الكتب والمراجع، أما ما يمروا به الآن فهو تطبيق حى لاكتشفاتهم، شىء على الأرض، أرض الواقع.

لحظات وعادت فاتن للسيارة فى صمت وشرود لم يشأ معه شريف سؤالها عما دار بينهما مادامت أمور خاصة بوالدها لكنه طالع وجهها الممتقع فى مرآة السيارة الأمامية فسألها دون أن يلتفت إليها:

- إنتى كويسة يا فاتن، فيه أى مشكلة

غالبت شعورًا ما قد بدا فى ملامحها تتطلع لوجه شريف عبر نفس مرآة السيارة قائلة فى تهدج دون أن تفارق عينيها عينيه فى المرآة:

- أمور عائلية خاصة ببابا الله يرحمه

لم تتح أى فرصة لأحد فى التعقيب بل بادرت فى تغيير دفة الحديث قائلة:

- السنباطى قالى أكلمه أول ما ندخل المشهد وهو يحاول يلاقى مكان هادى وإنترنت يساعده فى بحث شوية حاجات.



لم يشأ عزت أو شريف إقحام أنفسهم فى أمور وصفتها فاتن بكونها عائلية لذا اكتفى شريف بإيماءة من رأسه يلتفت لعزت الذى انطلق بالسيارة على الفور متجهًا خارج عزبة خير الله إلى طريق هضبة المقطم حيث يقبع فوق حافة قمتها الغربية مشهد الجيوشى ساكنًا مهيبًا.. ومخيفًا.

***

وصلت درجات الصقيع فى هذه الليلة إلى حد قارس لا يحتمل خلت على إثرها الشوارع من المارة، عقارب الساعة نفسها تجمدت بردًا فوق التاسعة إلا قليل، فقط أشباح وأطياف من ليس لهم مأوى متدثرة بأغطية بالية أو تشعل نارًا على جنبات طرق موحشة أو سيارة تمرق مسرعة تسابق رياح عالق بها ندى تكاثف فوق زجاج سيارة عزت لا يتيح له الرؤية إلا عبر فرجة تصنعها مساحات الزجاج الأمامى، ليلة مظلمة ثقيلة وكئيبة توارى فيها حتى ضوء النجوم منذرة بهطول كاسح للأمطار فى أى لحظة بينما الرياح الباردة تداعب الوجوه تحدث صفيرًا حزينًا تقشعر له الأبدان حتى مع غلق جميع زجاج نوافذ سيارة عزت الذى زاد من سرعتها مستغلًا فراغ الشوارع المؤدية لطريق هضبة المقطم

كانت الأجواء داخل السيارة مماثلة لخارجها يغلفها صمت ثقيل وخوف من المجهول تختلف درجاته فيما بينهم لكنها وصلت لأقصاها فى قلب فاتن وهى تتطلع فى شرود عبر زجاج السيارة إلى المشاهد بالخارج وقد بدأ الطريق فى الانحناء يمينًا صاعدًا لأعلى على نحو تدريجى وسط مساكن قصيرة متناثرة تبينت معه أنهم بدأوا فى الصعود لهضبة المقطم عبر طريق كئيب شحيح الإضاءة تجتر عبارات السنباطى لراسها تعيدها على عقلها فيأبى أن يستوعبها وينفرها نفورًا، لم تشأ الإفصاح عن أىٍّ مما حدثها عنه لأحد حتى لا تثير القلق والريبة، ناهيك عن كونها مجرد تكهنات لا تدعمها أى دلائل.

اختلس شريف نظرة لمرآة السيارة التى تعكس وجه فاتن واجمًا ساهمًا، تساءل فى أعماقه عما حدثه بها السنباطى بخصوص والدها تسبب فى وجومها على هذا النحو، دار عقله يفتش عن سبب منطقى دون جدوى فعاد برأسه للخلف يريحها على مخدع مقعده يلتفت يمينًا يطالع من بعيد منطقة مبانى حديثة ثم صخور متراكمة حتى جانبى الطريق الممهد تغرق فى ظلام نسبى لا يهتك ستره سوى أضواء أعمدة إنارة انطفأ معظمها وتبقى القليل يبث ضوءًا شحيحًا يلقى بأشباح وظلاله خلف الصخور، شعر بالحرارة تنخفض من حوله كلما صعدوا لأعلى وأثر لفحات هواء المقطم العارى باديًا فى الحركة العنيفة للأكياس والأتربة بالخارج، انعطف عزت بالسيارة إلى الجانب الغربى للهضبة حيث المشهد يقع على حافتها يطل منه على طريق الأوتوستراد يطالعهم سور عالى بمساحة شاسعة امتدت فوقه أسلاك شائكة وأبراج مراقبة وإرسال خاصة بثكنة عسكرية تحتل جزءًا ضخمًا من الهضبة بناها الجيش هناك مستغلًا تميز تلك البقعة المرتفعة المطلة على معظم أنحاء القاهرة يقبع الشاهد بجوارها مباشرة، خفف من سرعة السيارة قائلًا فى ريبة:

- شريف فيه أمن قدام بوابة الجيوشى

خفف عزت من سرعة السيارة أكثر بينما شريف يدقق النظر يبصر على بعد حوالى مائتى متر أمام بوابة مشهد الجيوشى يجلس مجندين أشار لعزت قائلًا:

- كمل يا عزت، دول عساكر شرطة غلابة.

اقترب عزت بالسيارة لمسافة قريبة نهض على إثرها أحد العسكريين فى تكاسل وخمول مشيرًا لهم بالتوقف:

- ممنوع الوقوف هنا يا حضرات

اصطف عزت بالسيارة غير مبالى بإشارات العسكرى ثم ترجل ثلاثتهم متوجهين إليه بضع خطوات وكانوا أمامه مباشرة، أصاب العسكرى بعض القلق عندما مال عليه عزت قائلًا:



- انت اسمك إيه
- اسمى مرزوق يا بيه
- شوف يا مرزوق، دى حفيدة رئيس الوزراء البريطانى عايزة تتفرج على آثار مصر وجمالها يرضيك نمشيها زعلانة.

أرادت فاتن إتقان الكذبة فانطلق لسانها بعبارات انجليزية بلكنة أمريكية سليمة، اتسعت عينا المجند وفتح فمه فى بلاهة لا يشغله سوى مطالعة جمال هذه الفتاة وعينيها الساحرتين، ندت ابتسامة على وجه شريف أخفاها سريعًا ثم اختلس نظرة قلقة لساعة يده رفع وجهه يطالعه المجند الثانى مازال جالسا يضع على كتفيه ورأسه غطاء صوفى يغط فى نوم عميق سقط له رأسه جانبًا ثم عاد للمجند المتحدث فى تلعثم:

- حتى لو رئيس الوزراء البريطانى نفسه ما دام الظابط بتاعى ما قاليش عديهم يبقى ماليش دعوة.

نفد صبر شريف يميل على العسكرى قائلًا:

- وإنت الضابط بتاعك فين يا مرزوق
- مشى وقالى هجيلكم الصبح

هز شريف رأسه متفهمًا ثم أخرج حافظة نقوده وأخرج منها ورقة بمائتى جنيه وضعها فى يد العسكرى قائلًا:

- يبقى تاخد دول وتقعد تنام انت كمان جنب زميلك وإحنا ساعة زمن هنتفرج جوه وهنخرج ولا شوفتنا ولا شوفناك.

انفرجت أسارير المجند يتفحص الورقة المالية ينطلق بخياله الحائر بين ما ينشده من آمال يحققها له المبلغ وبين مغبة مخاطر قد تحيق به، وضعها فى جيبه ثم تلفت يتأكد من غفوة زميله، تقدمهم نحو البوابة المعدنية للسور الخارجى للشاهد.

خلع شريط قماشى متهالك من حول عنقه يتدلى منه مفتاحًا انحنى قليلًا يدسه فى رتاج يتدلى من حلقات معدنية تجمع دفتى بوابة معدنية ضخمة

خاصة بالسور الخارجى للمشهد دفعها فى تثاقل تصدر صوت صرير اصطكاك معدن تقلصت مفصلاتها بفعل البرودة الشديدة التفت على إثره بنظرة متوجسة لزميله ثم خطا داخل باحة المشهد الواسعة فوق أرضيه صنعت من البلاط الحجرى سداسى الأضلاع المتراص والمتباين بين اللونين الطوبى والرمادى ممتد لمساحة كبيرة لا يقطعه سوى حوض كبير من الأشجار والنباتات لاحت من فوقها قمم منارة وقبه المشهد قرب الحافة الغربية لجبل المقطم داروا حول الحوض يطالعهم المشهد بلونه الأبيض الناصع بتناسق رائع يشعرك وكأنه كائن ينبض بالحياة يضيق من عينيه فى ترقب ولسان حاله.. أرونى ماذا لديكم.

تقدمهم المجند عبر الباحة فى قلق لا يجليه سوى ملمس المائتى جنية داخل جيبه يؤنس وحشته حتى اقترب الجميع من حافة سور جيرى لا يتعدى ارتفاعه المتر يحيط بالمشهد من جميع الجهات باستثناء جانب حافة المقطم التى نظرت عبرها فاتن حيث أضواء القاهرة من أعلى وكأنها نجوم مكدسة ومحتشدة، كل شيء يمكن رؤيته من هنا، لا عجب فى أن نابليون بونابرت اختار تلك الحافة عام ١٧٨٩م و قام بتركيب مدافعه مصطفة بطولها يصب الحمم فوق رؤوس الثوار المتحصنين داخل حى الأزهر يقتل أربعة آلاف منهم ثم يدخل بعدها مسجد الأزهر بالخيول ويعسكر داخله بعد إعدام ثلاثة عشر من المشايخ .
عادت ببصرها للحاضر تتطلع لبوابة المشهد الداخليه وما تراص فوقها من نقوش خشبية لم تتبين كنهها لشح الإضاءة بينما تعلقت عينا شريف متفحصًا لوحة رخامية تقع أعلى تلك البوابة جهة اليمين كتب فوقها بالخط الكوفى نص طويل لم يلتقط منه شريف سوى العبارة الاستهلالية التى قرأها مغمغمًا

(مما أمر بعمارة هذا المشهد المبارك فتى مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله.....)



اقتضب شريف شاردًا يقلب العبارة فى رأسه يجتر رواية السنباطى حول أقوال وأساطير تدور حول البناء وكونه شاهد أو ضريح معد لدفن شخص ما أو.. أو دفن سر خطير.

صعد المجند ثلاث درجات رخامية أوصلته أمام البوابة الخشبية مباشرة يشير لهم بالدخول تطلع ثلاثتهم فى رهبة للمدخل الخشبى الذى يحتاج للانحناء قليلًا لتتمكن من عبوره حتى لا يصطدم رأسك بالنهاية الدائرية أعلاه - شأن جميع بوابات تلك الحقبة التاريخية – وخلف البوابة غرق المشهد فى ظلام دامس التفت عزت على أثره للمجند فى تساؤل:

- مفيش نور جوه!!
- طافيينه من العمومى وما أقدرش أولعه، هنتفضح.

مد شريف يده لعزت طالبًا للمصباح قائلًا:

- عنده حق.

وعلى هدى ضوء المصباح دخل شريف تتبعه فاتن بينما المجند يهمس لهم مؤكدًا:

- ما تتأخروش يا بيه.. لما تيجو خارجين إندهولى بالراحة

تخطى عزت عتبة المدخل ثم ترك المجند الباب الخشبى ينغلق خلفهم مخلفًا قشعريرة سرت فى أجساد ثلاثتهم وسط الظلام

تحسس المجند فى الخارج المائتى جنيه فى جيبه يتمنى فى قرارة نفسه أن تمر هذه اليلة الشؤم على خير ثم عاود الخروج من البوابة الرئيسية وبعد غلقه لها استدار يصطدم بالمجند زميله يقف خلفه مباشرة ينظر إليه بثبات وعلى وجهه ابتسامة ماكرة، فى دهشة من رأى شيطانًا أجفل العسكرى وتراجع خطوة للخلف التصق على إثرها بالبوابة يحدق فى خوف لزميله، لم يكن منبع خوفه فى وشاية زميله، أو كيف ولا متى أصبح خلفه مباشرة هكذا فاجأة دون أن يشعر به، بل ما أثارخيفته على هذا النحو هو عينى زميله التى تشعبت وبرزت داخلها شرايينها الحمراء توشك على الانفجار



يرتعش وسطها بؤبؤ عينه على نحو محموم على غير هدى بنظرة غائبة عن الوجود زادتها الإضاءة الخافتة قبحًا وبشاعة، بأقدام تراخت كقشتين ظل مرزوق ملتصق بظهره فى البوابة يتطلع لوجه زميله فى بلاهة ممتزجة بخوف يردد بشفتيى ارتجفتا بردًا وهلعًا:

- متولى مالك يا متولى.. ياض يا متولى رد عليا مالك!!

لم يتلق جوابًا من زميله الذى ظل على وقفته ثم التفت للبوابة المعدنية لحظات اتسعت بعدها ابتسامته أكثر.



الفصل (٢٥)

توقف ثلاثتهم فى الظلام والسكون التام إلا من صوت أنفاسهم تتابع أعينهم بقعة ضوء المصباح وما تجليه لهم من جدار وأرضيات صخرية مغطاة حديثًا بطبقة من الطلاء بعد قيام إحدى الجهات المسند إليها ترميم المبنى بتفويض من هيئة الآثار بالقيام بانتهاكات صارخة لأبسط قواعد ترميم الآثار القديمة والتعامل مع الامر على نحو يفتقر لأبسط قواعد الاحترافية تسبب فى ظهور البناء وكأنه حديث وعصرى أفقده الكثير من رونقه العتيق(*)

تفقد شريف غرفة المدخل التى لم تفقد هيبتها وغموضها بعد بالأخص السقف الدائرى فوق رؤوسهم يشبه نصف الاسطوانة، وعن يسارهم مدخل مقرنص القمة لغرفة صغيرة بدت على ضوء المصباح أنها خالية تمامًا إلا من سقف ذو تصميم هندسى مسمى بـ **(القبو المتقاطع)** نتاج تقاطع سقفين من نوعية الأسقف النصف اسطوانية وإفريز مزركش يدور فوق ثلاثة جدران، وعن يمينهم مدخل لغرفة أخرى بدا من تسلل خيوط ضوء قمر شحيح أنها غرفة غير مسقوفة تطالعهم عبرها سماء ملبدة بغيوم كثيفة يظهر طرف سلم داخلها استرعى انتباه شريف ودفعه للتقدم داخل الغرفة يبصر على اليسار السلم الرخامى المؤدى لمنارة المشهد التى تمتد بارتفاع قدره شريف بحوالى (٢٠ متر) تقريبًا، مأذنة أم منارة.. للمراقبة أم شيء آخر! بدا سؤال بدون إجابة، وقفت فاتن وعزت بجوار شريف يطالعون الغرفة المكشوفة والمنارة العالية للحظات بدا فيها مخايل تردد على وجوههم قطعه عزت:

- نفتش من جوه لبره!

وافقاه عائدين أدراجهم لغرفة المدخل يتقدموا نحو المستوى الثانى للمشهد

---

*وصف الشاهد حقيقى

عبر بوابة واسعة دائرية القمة تحرسها قاعدتان مستطيلتان من الصخر على جانبيها، دخلوا للمستوى الثانى يرافقهم التوجس والريبة يخيم عليهم صمت حذر تحول إلى ترقب عندما طالعتهم مساحة واسعة تمثل صحن المشهد لا يقل طولها عن ستة أمتار وعرضها تقريبًا خمسة أمتار يتفرع منها غرفتان عن اليمين و الشمال وبوابة أمامهم مباشرة يقبع خلفها المجهول.

لم يتطلب الأمر التدقيق والفحص عن كثب فقد كانت جدران الصحن صريحة ملساء تمامًا عارية من أى أسرار قد تثير الخيال فقط مدخلين لغرفتين خاويتين عن اليمين وعن الشمال صغيرتين للغاية فى الحجم تفحص شريف جدرانهما الملساء وأسقفها النصف اسطوانية فى عجالة، ثم نكص على عقبيه يهز رأسه نافيًا يغمغم:

- مفيش أى علامة أو إشارة ممكن تفيدنا هنا.
- هو إحنا بندور على إيه بالضبط

لم يصادف تساؤل فاتن سوى مزيدًا من الحيرة توقفوا معها وسط الصحن كطفل ضل الطريق، خطا عزت يتطلع لتجويف فى الجدار الأيمن للصحن يقابله تجويف مماثل على الجدار الأيسر يقعان قرب مدخل المستوى الثالث، تبعه شريف يسلط ضوء المصباح للتجويف وقد بدا وكأنه نافذة بيضاوية القمة منحوتة داخل الجدار تقابلها نظيرتها على الجدار المقابل، تخطى شريف التجويف الجدارى حيث يليه مباشرة ارتفعت فوق الأرض قاعدة مستطيلة من الرخام بحوالى عشرون سنتيمتر ينبت من فوقها عمود من الرخام الأبيض يمتد حتى السقف ثم يليه مباشرة عمود آخر تميز عنه بوجود بروز مستدير من الرخام صغير الحجم متلاحم مع نهايته من الأسفل، ثم يليهم مباشرة نفس الشكل الدائرى لكن وضع منفردًا، وعلى الجانب الآخر انتصبت نفس الأعمدة والقواعد بنفس الترتيب يمثلوا معًا بوابة المستوى الثالث التى ولجو جميعًا عبرها تتسع حدقات أعينهم لا إراديًا لاستيعاب أكبر قدر من خيوط ضوء المصباح المنعكسة عن أجزاء

البناء الحجرى تدور أعينهم مع دوران بقعة ضوء المصباح تهتك ستر جزء ضئيل من الظلام بالكاد تبين معها أنهم داخل رواق عرضى يمتد عن أيمانهم وعن شمائلهم بحوالى ١٣ متر يسمى **(رواق القبلة)** مقسم لثلاثة أجزاء متساوية بفواصل قصيرة نبتت من أعلى تفصل ثلاثة أسقف من نوعية الأقبية المتقاطعة من صخور (الآجر) العتيقة

تفقد الرواق بقطاعاته الثلاثة المطلة على بعضها دون ساتر لا يطالعه سوى أسقف اسطوانية متقاطعة تفصل كل حجيرة عن مجاورتها لا تحمل سوى مزيدًا من الحيرة

ما الذى قد يجده فى ضريح منذ الخلافة الفاطمية!

شرع يغادر الرواق لولا نظرة عابرة حانت منه لسقف القطاع الأوسط تراصت فى باطن تقاطعه الاسطوانى العديد من النقوش العشوائية البارزة غير المنتظمة بينما بدا أكثرها وضوحًا وبروزًا نقش بعينه يشبه التاج ذو الثلاث رؤوس المثلثية، أمعن النظر قليلًا فوقع بصره على نقش تالى مشابة للأول ثم أبصر ثالث جميعهم متتاليين، مما دعا شريف إلى فض صفحة سولومون غليظة الملمس فى محاولة واهية يطالع جدولها بنقوشه المريبة التى لها وقع طلاسم السحر، مر ببصره فوقها داخل دائرة اللغات الأربعة واحدة تلو الأخرى، يبحث عن رموز لتيجان ذات ثلاث رؤوس مثلثية

كتابة الخط الروحى.. كتابة الخط العلوى.. كتابة الملائكة.. كتابة عبور النهر

تسرب إليه شيئًا من خيبة الأمل بعد أن تأكد له عدم وجود دلالة لنقوش سقف رواق القبلة شعر معها أن دور مفتاح سليمان اقتصر على ترجمة عبارة بوابة النصر.. العبارة التى نسيها للحظة



قالها هامسًا ثم أقرن قوله بالنظر لأعلى حيث السقف المنقوش ثم أسفله يطالعه سجاد أحمر مصنوع من القطيفة الفاخرة فرشت على أرضية المشهد، أعطى المصباح لعزت ثم انحنى يمسك بطرف السجاد السميك يزيله بصعوبة لكن آماله تحطمت فوق أرضية ملساء من الرخام لا تحمل أية دلالات، ترك السجاد يغطى الأرضية و بقايا آمال مبعثرة:

- إيه رأيكم !!

مطت فاتن شفتيها قائلة فى حيرة:

- الأرضية مترممة من وقت قريب، تفتكر كان عليها نقوش!

هز عزت رأسه مشككًا يغمغم:

- فكرة مش منطقية أبدًا إن حد يعمل نقوش مهمة زى دى على أرضية ومستنى حد يلاقيها بعد سنين طويلة أوى، مع احتمال إنها تتمحى لو إتمشى عليها.

أضاف عزت فكرة بدت أكثر منطقية عندما وَجَّه المصباح لنهاية المستوى الرابع للمشهد قائلًا:

- جملة **(محراب الضياء الأخير)** إللى سابها الجمالى، هناك فى آخر المشهد فى المستوى الرابع هو محراب الصلاة.

بدا كلام عزت منطقيًا دعمه مشهد المحراب العتيق فى نهاية المستوى الرابع ونهاية الشاهد بالكامل حيث مكان وقوف إمَام الصلاة إمعانًا فى التمويه وإلصاق وصف مسجد بالمكان، تقدم ثلاثتهم يطالعهم المستوى الرابع والأخير من الشاهد والمسمى **(برواق حنية القبلة)** يمتد عرضيًا عن أيمانهم وشمائلهم بطول قدره شريف ب ١٣ متر وعرض أربعة أمتار تقريبًا ينقسم لثلاثة أقسام تطل على بعضها بدون فاصل سوى حواجز علوية بين أسقف من نوعية (الأقبية الاسطوانية المتقاطعة)



الغرفة الوسطى كانت أكبرهم يتصدرها المحراب العتيق والمصنوع من الجص الجاف بنقوش غاية فى الدقة والإبداع لا تضاهيها أية نقوش فاطمية أخرى بلا أدنى مبالغة مازال معها حتى يومنا هذا فخر المعمار الفاطمى، أغشى ضوء مصباح عزت المحراب الجصى وأقلق سكونه الأبدى فبدا متململاً ناعسًا بينما عزت يضاهى نقوشه برموز صفحة سولومون فى صمت وسط متابعة شريف وفاتن الذى همس لها فى قلق بالغ :

- تسعة ونص، الوقت بيعدى و ما وصلناش لأى حاجة

حجب الظلام وجه فاتن عن شريف ولو كان رآه لما قال هذه العبارة التى تسببت فى تسرب الحزن واليأس لها ليصنعا معًا مزيجًا من مرارة وقهر وخوف دفعها دون وعى للإمساك بانامل شريف، لا تدرى هل كانت تستجدى منه شعورًا بالاطمئنان يعينها على تجاوز لحظة ضعف أصابت معنوياتها أم أنها كانت تعزيه على زوجته التى لاحت مرارة فقدها فى صوته، التقط شريف أناملها يضغط عليها برفق يبث إليها اطمئنانًا يفتقده، وعلى الضوء الخافت ترقرقت دمعة على صفحة عينها جاهدت هى بضراوة لكبحها، ابتسم لها ابتسامة مطمئنة كلفته الكثير من الجهد وضبط النفس وهَمَّ بقول شىءٍ ما لولا أن شق سكونهم صوت عزت ناكصًا على عقبيه يظفر فى مزيد من اليأس:

- نقوش المحراب عادية مش موجودة فى ترجمة سولومون.

وكأن كلمته كانت إيذانًا ببدء وهج البرق الخاطف يتبعه هزيم رعد مباغت فى سماء مظلمة يُسمع له صوتًا مخيفًا هبط معه وجوم وصمت ثقيل خيم على ثلاثتهم يقفون أسفل حنية القبلة أمام المحراب لا يملكون سوى الدعاء والتضرع إلى الله، و عقل كلًا منهم يرفض مجرد تخيل ما ستؤول إليه الأمور لو تم تنفيذ مخطط المنظمة.. مخطط تكرار الشدة المستنصرية



الفصل (٢٦)

ظل النقيب عمرو شاردًا واجمًا تتلاعب برأسه الظنون والأطياف تصنع أخيلة وأوهامًا يراقب في ريبة وقلق ضباط البحث الجنائى والطب الشرعى داخل شقة السنباطى بعد معاينتهم لمجزرة فشلت كل خبراتهم فى تحديد أى أثر للجانى أو حتى الأداة المستعملة فى الجريمة مما انعكس على وجوههم الحائرة يطل من أعينهم ارتباك لم تنجح عويناتهم فى إخفائه تبدلت نظرة الترقب فى عينى عمرو إلى نظرة خاوية مشتتة بين شكوك دنت من الحقائق وخرافة هبطت مجسمة على أرض الواقع تأكدت لديه بعد أن مط أول الأطباء شفتيه قائلًا:

- أداة الجريمة مش معروفة، والأوضة السرية كانت فاضية باستثناء رسومات نجوم سداسية وشموع مطفية مع الكتاب إللى بره واضح إنها أدوات سحر.

مع كلمة (سحر) توقفت العقول المنطقية للحاضرين فلم يعلق أحد، فقط أرادوا الانتهاء من ذلك الكابوس فى أسرع وقت حتى أن أحدهم لم يلتفت لخروج محفات نقل الجثث المغطاة بملاءات كانت بيضاء قبل اصطباغها بالأحمر القانى.

تقصلت أحشاء عمرو من جديد وشرع يتحدث لأحد الأطباء لولا أن قاطعه رنين مشوش لهاتفه اللاسلكى، توجه لمكان قصى يستقبل صوت العميد (سعيد الدسوقى) قائلًا بصوت ازداد حشرجة:

- عمرو، السنباطى هرب من البوكس وهم جايين بيه على القسم، عايزه يا عمرو، حى أو ميت.
- أوامرك يا باشا لكن فيه مشكلة كبيرة هنا و.......

قاطعه الدسوقى بلهجة جافة وبصوت كالفحيح أثار ريبة ودهشة عمرو:



- سيب كل إللى فى إيدك وخد قوة معاك وروحوا على العنوان إللى هديهولك يا عمرو، هاتلى السنباطى ولو قاومك.. إضربه بالنار، إرجعلى بيه حى أو ميت.

لم يترك العقيد فرصة أخرى للنقيب عمرو فى التحدث فقد أغلق اللاسلكى وتركه جواره داخل حجرته بقسم الهرم تسبح قرنية عينيه فى بحيرة دامية داخل عينيه، تهاوى فوق المقعد وكأنه انتهى من تلقى الأوامر من مجهول يعرف خطورة السنباطى تاركًا النقيب عمرو يقف مع حيرته أمام عقار السنباطى يعيد ترتيب الوقائع.. السنباطى حُبس بدون سبب وجيه لمجرد أنه حذر من كارثة ويقول أن بعض الفاسدين فى الحكومة متورطين فيها.. تصدر أوامر باعتباره مجنونًا ويمنع على أى شخص مقابلته حتى أنه يطارد رجلًا وامرأة لمجرد أنهما تحدثا إليه.. وصلا لشقته واكتشفا غرفة سرية ثم حدثت مجزرة احتار الأطباء فى تحديد كيفيتها، مع أدوات أصبغ عليها وصف أدوات سحر، ثم يطلب منه الآن الدسوقى إحضار السنباطى أو إطلاق النار عليه، والأدهى أنه يعلم أين ذهب السنباطى، كيف يعلم بتلك الأمور، هل حقًا تم شراء بعض النافذين من الحكومات أم أن الأمر له جانب آخر خفى!، تنهد فى حيرة ثم تحسس بسبابته ثلاث نجوم تسطع فى سماء كتفه وكأنه يودعهم ثم تقدم بخطى وئيدة مترددًا يفتح باب سيارة شرطة صغيرة هرول تجاهه أحد المجندين القائدين لها، فأشار له عمرو بالانصراف قائلًا:

- روح إنت أنا هطلع بالعربية لوحدى

ودون تردد انطلق بالسيارة وداخله عقيدة مازجها شك، ومن رأسه يطل ألف سؤال.

***



بقدر ما تسمح حالة السنباطى الصحية مضى يحث الخطا عبر دروب منطقة الهرم يعرج لأحد الطرقات الجانبية تتردد أنفاسه اللاهثة ينفث عبر فمه أبخرة دافئة للهواء المثلج يعود لرئتيه المتهالكتين فيشجها من فرط برودته شجًا، فرك كفيه المرتجفتين يستجدى دفئًا يأبى أن يزوره، تحسس هاتفه الصغير فى جيبه يطمئن على وسيلة اتصاله الوحيدة بآخرمن يثق بها فى هذا العالم، ابنة الدكتور نجيب عبد الحافظ يدعو الله أن يحالفها التوفيق فى وجود ضالتها.

نفث بخار دافئ داخل قبضتيه المضمومتين وتركهما أمام فمه عندما توقف لحظات يطالعه موقف كبير لسيارات الأجرة وحافلات النقل العام يغزوه سكون نسبى غارق فى إضاءة صفراء كئيبة عدوٍ لدود للمصابين بالعشا الليلى، كان يعرف أنه يسمى موقف (الأسكندرية) عند محطة (مَشعَل) لذا فقد عبر ساحته فى خطى سريعة قدر الإمكان وسط متابعة نظرات بعض سائقى سيارات الأجرة ينادى بعضهم فى تكاسل عن وجهته مشيرًا لسيارته نصف الفارغة، تمنى السنباطى لو أنه سائق سيارة أجرة لا يفقه شيئًا سوى السجائر المحشوة وتجميع الأجرة وترتيب السيارة فى تحميل الركاب لم يكن وقتها سيتكبد كل هذا العناء.. حقًا إن المعرفة لها ثمن باهظ.

على الجانب الآخر من الموقف عرج كمن يعرف وجهته جيدًا إلى شارع جانبى يتخطى البنايات داخله حتى توقف عند لافتة ضخمة لبناء ذو ذوقٍ راق كتب عليها بخط كوفى جميل **(مكتبة المركز الإسلامى العامة)** دلف لمدخلها الأنيق يتحدث لنفسه همسًا:

- يارب ما يكون عم جابر مات.

صعد عدة درجات حتى طالعته أضواء خافتة نابعة من الطابق الأول زادت من حماسته فى الصعود حتى وصل لبوابة المكتبه التى أغلقت قضبان بوابتها الحديدية تطالعه عبرها أرفف المكتبة الداخلية الغارقة فى

إضاءة باهتة، أمسك بقضبان البوابة المعدنية وقرب وجهه ينادى بصوت مسموع:

- جابر.. يا جاابر

صمت لحظات عندما التقطت أذنه وسط السكون حفيف أغطية ومداس يُنتعل ثم خطوات ونيدة سرعان ما بدا صاحبها مترنحًا بجلبابه الواسع ووجهه الذى زاده أثر النعاس تغضنًا:

- مين.. مين بره.
- أنا دكتور سنباطى يا عم جابر

اقترب حارس المكتبة بوجهه يدقق نظرًا شارف على الغروب، وما إن طالعه زائر منتصف الليل حتى اعتلت الدهشة ملامحه يفتح الأنوار ويخرج من جيبه مفتاح البوابة الحديدية

- دكتور سنباطى!! خير إن شاالله.

دخل السنباطى بمجرد فتح البوابة ثم أغلقها خلفه يبحث ببصره على ضالته قائلًا:

- محتاج كمبيوتر المكتبة وشوية كتب يا جابر
- السعادى يا دكتور، موظفين المكتبة كلهم مشيوا من بدرى!!
- معلش يا جابر حاجة ضرورى أوى، ادخل نام إنت وما تقلقش
- خلاص هقعد معاك يا دكتور.

لم يعقب السنباطى وتوجه لأحد الأرفف الضخمة التى تعج بكتب ومجلدات وأبحاث ضخمة يفتش فيها ينتقل من كتاب لكتاب ومن رف لآخر فى سرعة وتركيز توقف لحظات يدور حول نفسه يحك منابت لحيته يتطلع للأرفف، كم يفتقر بشدة لمكتبته الخاصة، لكن ذهابه لبيته لا يعنى بلا شك سوى الإمساك به من جديد

توقف عند أحد الكتب العلمية الفيزيائية سحبه على مضض، هو يعلم أن ما يحويه من معلومات لن يرقى للحد الذى يوصله لمكان فتح بوابة نجمية



وشيك الحدوث لكنه يأمل أن يستدر منه معلومات عامة يسقطها على ما يدور من حوله فى محاولة لمعرفة المزيد حول تأثير مرور نيبرو، وصوله لتلك النقطة من تفكيره جعل قلبه يخفق ويهرول مسرعًا يحمل الكتاب ويضعه فوق طاولة تراصت عليها أجهزة حاسوب عتيقة لكن اتصالها بالإنترنت كان كافيًا ليتسعين بأحدهم ويتركه يفتح نوافذه فى الوقت الذى فتح فيه فهرس الكتاب الفيزيائى يتقافز سريعًا على عناوين الفصول حتى توقف عند ما استرعى انتباهه:

(خطوط الرعى والبايوجيومترى)(*)

عاد لتفاصيل ذلك العنوان يمر فوق أسطره مقتضبًا يتقافز بعينه وعقله بين الفقرات والأفكار برشاقة يفتقدها جسده المتيبس بردًا وإرهاقًا لم يكن على دراية بتلك المعلومات العلمية الغزيرة التى تختلف مع تخصصه لكن عقليته التحليلية ابتلعتها وهضمتها وطالبت بالمزيد، يقرأ بصوت خافت جزء استرعى انتباهه بشدة:

- (للكرة الأرضية مجال جاذبية حولها يتمثل فى خطوط طولية وعرضية أطلق عليها الباحثون **(خطوط الرعى)** ونقاط تقاطع هذه الخطوط تم حصرها فى خرائط مجازية ليصطدم الباحثون بأن تلك النقاط عرفتها الحضارات السابقة وبنت فوقها دور عبادة بزاوية هندسية دقيقة إلى حد مذهل تعمل على تجميع فيض ضخم من الطاقة الأثيرية.

(*) وهو علم قديم وأزلى تم استياقه من أبنية ومنشآت عتيقة خاصة الفرعونية منها حيث اكتشفوا أن الأماكن التى بنيت فوقها بأشكال وزايا هندسية معينة لها قدرة على استقطاب الطاقة الحيوية من الفراغ وتركيزها داخلها، تم إعادة إحياء ذلك العلم حديثًا بفكرة بناء الفلل والمساكن بنفس معايير وزوايا تلك الأبنية العتيقة فوجدوا أن الطاقة الحيوية التى تضخ داخل تلك المنشآت تجدد الطاقة الإيجابية لقاطنيها وتساعد فى الاستشفاء.

وأهم الأبنية التى تم اكتشاف بناؤها منذ قديم الأذل فوق أحد أقوى نقاط تقاطع خطوط الرعى هى الكعبة المشرفة، ثم العديد من المعابد الفرعونية والأثرية والأديرة المقدسة فى أنحاء العالم، وقد لاحظ العلم الحديث أن بعض الأشكال الهندسية لهذه الأبنية لها القدرة على تجميع وتكثيف طاقة هائلة حولها إذا بنيت فوق نقاط هذا التقاطع) **(حقيقة)**

رفع السنباطى عينين زجاجيتين عن صفحات الكتاب وفى عقله ترتع أفكار ونتائج يعيدها على عقله فيضىء جنباته بمعلومة إضافية تفتق لها ذهنه رفعت من معدل تنفسه وزادته وجومًا يتطلع للفراغ تتوالى النتائج على عقله.. يستلزم لفتح بوابات نجمية طاقة عالية.. لا يوجد طاقة أعلى من نقطة تقاطع خطوط الرعى تزامنًا مع مرور كويكب ضخم يضاعف من قوتها.. ثم تجميعها وتكثيفها فى نقطة واحدة عن طريق بناء ضخم له شكل هندسى مميز.... فغر فاه وجف حلقه.. هل البوابة عبارة عن بناء!!

عادت عينيه الساهمتين إلى الحياة ترى ما تنظر إليه عندما تسرب لعقله صوت هتاف حاد صادر من مكان ليس ببعيد خارج نوافذ المكتبة توقع مصدره فتوجه للنافذة فى بطء تحاصره فكرة مجنونة تتضح ملامحها رويدًا رويدًا حتى أصبحت شمس مشرقة لا ريب فيها.

فتح النوافذ يتطلع على مرمى بصره من زاوية ضيقة من بين البنايات يطالعه مرور العشرات من الأشخاص تكملة للمسيرة التى كانت السبب فى تحريره يهتفون بأصوات مرتفعة ضد المؤامرات والفساد المستشرى، متجهون لآخر شارع الهرم.. حيث أهرامات الجيزة.

امتقع وجه السنباطى يتدلى فكه السفلى المتغضن يغمغم كالمفتون:

- التاريخ و العلم والألغاز.. الأهرامات!! أقدم شكل هندسى مستقطب لطاقة الرعى.

أفاق من ذهوله يتساءل أى لعنة حطت عليه جعلت حقيقة بازغة كتلك تغيب عن عقله، بأصابع مرتجفة أخرج من جيبه هاتفه الصغير يطلب



رقمًا وحيدًا يحفظة عن ظهر قلب، رقم نجيب عبد الحافظ صديقه الراحل والذى صدقت ظنونه حتى الآن فى كل شىء فضاعت حياته غدرًا.. فمن سوى ابنته يثق بها.



الفصل (٢٧)

بدا فندق فورسيزونز القاهرة فى هذه الليلة كقصر أسطورى هائل يبزغ من وسط مياه النيل يضيف رقم جديد لسلسلة فنادق كندية الأصل انشئت عام ١٩٦٠ بلغت حتى هذه اللحظة ٧٨ فندقًا منتشرة فى ٣٢ دولة حول العالم اشتهرت برقيها وعراقة أبنيتها التى بدت واضحة على قبته الذهبية والزجاج المزركش الذى يكسو أجزاء من واجهته تسلط عليه أضواء منمقة على نحو يوحى بذوق راقى تسطع فوق زجاج واجهته الملون فتنعكس على صفحة مياة النيل الهادئة تثير الخيال ويطير لها العقل تطل عليه نوافذ الغرف الفارهة التى لا يقل أثاثها وفراشها الوثير عراقة عن أبنيته.

وداخل أحد أفخم هذه الغرف خرج فرانكلين مغطى ببشكير أبيض كبير بعدما أخذ حمامًا دافئًا ينافس دفء الغرفة التى قام نظام التدفئة المركزى داخلها بعمله على أكمل وجه، بدا فرنكلين اليوم هادئًا متيقظًا ترتسم على وجهه مخايل الثقة والسكون النفسى وكأن الكون يدور فى فلكه، تناول حلة سوداء أنيقة أحضرها له خادم الغرف يضعها على الفراش الوثير ثم التفت للتلفاز يرفع من درجة الصوت يتابع شبكة (CNN) الإخبارية الأمريكة التى تبث فاعليات انتظار مرور كويكب نيبرو بعد أقل من ساعتين ببث مباشر عبر محطات الرصد الخاصة بوكالة ناسا لعلوم الفضاء، ارتسمت على وجهه ابتسامة حالمة ممتزجة بتهكم بينما الشاشة تعرض تجمعات فى عدة دول للعديد ممن ينتظروا رؤية ورصد تبعات الظاهرة من مرور للشهب التى أعلنت عنها ناسا، غمغم فرانكلين وهو يقوم بتبديل القناة:

- اليوم فعلًا يستحق الاحتفال .

طالعه على إحدى القنوات الإخبارية المصرية المتنوعة رصد لعدة جرائم لم يعهدها المجتمع من قبل تشى بتحول فطرة وطبيعة المجتمع إلى دموية وعنف على نحو غير معهود وبالغ الخطورة، ثم مسيرة حاشدة اتسعت لها



ابتسامة ارتجفت لها أوصاله نشوة وظفر يعلم جيدًا محركها الرئيسى وهدفها الوحيد.
جال بخاطره خطة شبيهة تم تنفيذها قبل بضع سنوات عندما تم اتهام رجلهم ذو النفوذ داخل الحكومة بتسهيل دفن نفايات مشعة فى الصحراء، وقتها أشاعوا للتمويه بأنه متربح كان ينقب عن بترول للمكسب الشخصى، هاج الشعب وماج والجميع يتحدث عن الموارد المسروقة والمهدرة والشعب الممصوص دمه وتنافست الجرائد ووسائل الاعلام فى إبراز الأمر باعتباره فضيحة كبرى للحكومة.
أيام على نفس المنوال حتى اكتمل توجيه طاقة الغضب الشعبى بالكامل تجاه سرقة البترول وإهدار المال العام.
ثم كانت الخطوة التالية عندما لم يجدوا النشطاء والمحللون أى أثر لأى معدات تنقيب بترولية وتنافس خبراء البترول فى الظهور على الشاشة يتحدثون بمنتهى العنجهية بأن هذا الشعب يفتى بما لا يعلم وأن الرجل نزيه تمامًا لأنه من المستحيل أن ينقب عن البترول إلا بآلات معينة.. ثم ظهر معارضون وقالوا بأنها آلات متخفية حتى لا تلفت الانتباه، معارضون آخرون قالوا بأنه تم تهريب آلات الحفر ليلًا، ثم فى النهاية أثبتت بعض المؤسسات المتخصصة بأن تلك المنطقة لا تحوى بترولًا من الأساس فهدأ الجميع واستكانوا مطمئنين على بترولهم وأموالهم ونزاهة رجل حكومتهم.. بعد أن تم دفن النفايات المشعة دون وعى من أحد عن طريق بروتوكول (تفريغ الغضب)

ابتسم فرانكلين ابتسامة هازئة كشفت عن أسنان بيضاء مستوية يتطلع لحلته الأنيقة فى المرآة يحكم ربطة عنقه تشع عينيه الزرقاء بريقًا، حمل حقيبته المعدنية فى حرص ثم خطوات خارج الغرفة وكان يطرق باب جناح (الماستر) يطالعه بالداخل الخادم يتنحى جانبًا، ومن خلفه وقف الماستر يغلق معطف أسود طويل فوق ثوب يحمل ذات اللون مطرز



بحزام قماشى ذهبى و صدر مطرز بنفس الخيوط الذهبية، التفت لفرانكلين مبتسمًا فى هدوء قائلًا:

- حان الوقت فرانكلين

بادله فرانكلين الابتسامة مشيرًا بيده للماستر بالعبور قائلًا:

- الجميع فى انتظارك، ماستر

تبعهم الخادم يجرى اتصالًا بسائق السيارة تحرك على أثرها الأخير أمام بوابة الفندق، هبط ثلاثتهم بالمصعد للبهو الأرضى يعبراه تجاه البوابة الخارجية، حانت من فرانكلين نظرة لقاعة داخل ممر تحمل رقم (٩) ندت لها ابتسامة على وجهه سرعان ما ذابت وتلاشت.

***

وسط ظلام دامس وصمت ثقيل إلا من هدير الرعد منذرًا بدنو سيول جارفة وسط أجواء باردة لن يندهش لها أحد لو تراكمت الثلوج على الطرقات وخرجت الدببة البيضاء من مخابئها خاصة فوق هضبة المقطم حيث يقف ثلاثتهم داخل مشهد الجيوشى يغلفهم ظلام ويأس أخرج له عزت بطاريات المصباح الصغير التى نفدت تقريبًا وراح يلوكها بأسنانه فى محاولة شعبية دارجة لإعادة إنعاشها من جديد والتى غالبًا ما تمد البطاريات بدقائق إضافية من حياة مؤقتة بدت نتائجها عندما وضعها داخل المصباح فأضاء بشعاع شحيح ينذرهم بقرب ظلام تام وشيك ونهاية لجولة غالبًا ما ستبوء بالفشل الذى بدأ بالفعل يتسرب إليهم يتملكهم ويخدر أوصالهم على نحو زفر معه شريف يدور بنظرة متفحصة مع فاتن فيما حوله يضغط على عقله وتفكيره فى محاولة لالتقاط خيط جديد أى خيط، يغمغم بصوت لم ينجح فى إخفاء المرارة واليأس الباديان فى نبراته:

- تقصد إيه بـ (أرنيني) ده يا جمالى.. وفيييين!!

نبتت غصة مريرة فى حلق فاتن وهى تتابع شريف الذى يتطلع للجدران يحاول التقاط أى دلالة تركها الجمالى، أى خيط يقودهم لمكان إقامة الطقوس ووسيلة دحرها، من غير المعقول أن يقودهم الجمالى بإشارات بقيت على مر كل تلك العصور إلى مسجد الجيوشى ثم يتوقف هنا بلا أى إرشاد، يجب أن يوجد أى أ.......

انتفض شريف بغتة أثناء تطلعه لأحد الجدران الملساء عندما ومضت بغتة أمامه فوق الجدار صورة ضوئية لنقوش بدت له مألوفة للغاية التفت على إثرها فى حدة لعزت هاتفًا يناديه:

- عزت.. إنت عملت إيه دلوقتى

وقف عزت مجفلًا حائرًا يمط شفتيه لا يدرى عن الأمر شيئًا، يرفع كتفيه قائلًا فى تردد:

- ما عملتش حاجة، كنت بشوف الرموز فى صفحة سليمان على ضوء الكشاف

عاد إليه شريف بينما فاتن ترنو ببصرها فى تساؤل عن حماسه المفاجئ وهو يطلب من عزت تكرار ما فعله من جديد، مترددًا رفع عزت الصفحة أمام وجهه يسلط عليها ضوء المصباح حتى يتمكن من قراءتها لتومض الرسمة الضوئية من جديد فوق الجدار يلمحها الجميع جلية التقطت فاتن على إثرها صفحة الكتاب من يد عزت تتطلع إليها عبر المصباح تشهق فى ذهول عندما طالعها على أطراف الصفحة السميكة نقوش دقيقة مصنوعة بسماكة أقل بكثير من خامة الورقة الأصلية وشفافية تسمح بنفاذ خيوط الضوء خلالها فقط لتسقط على أى حائل خلف الورقة متخذة شكل ثلاثة نقوش يمثل كل شكل نقش ذو ثلاث رؤوس مثلثية يشبه التاج شاهد مثله شريف منذ دقائق محفورًا فى سقف المشهد

أخذ الصفحة والمصباح وضع الأولى فى المقدمة وخلفها المصباح عند تلك النقوش الدقيقة ووجهها لأعلى لترتسم على سقف حنية القبلة ثلاث تيجان متتالية ذات ثلاثة رؤوس معكوسة مع تيجان نقوش السقف



الحجرية، بقلب خافق ومتابعة الجميع تحرك شريف بالمصباح والصفحة معا مقتربًا من نقوش السقف لتتلاقى النقوش الضونية مع نقوش السقف مكملة إياها تتجلى معها الحقيقة كاملة اتسعت لها أعينهم وخفقت قلوبهم عندما أصبحت اللوحة كاملة عبارة عن ثلاث نجوم سداسية متتالية باستثناء الاخيرة منحرفة قليلًا جهة الغرب، تفتق عقل شريف لحقيقة أنعشت تلافيفه وأشرق لها وجهه مرددًا عبارة الجمالى:

ليرشدك المفتاح النافذ....

ثم أكمل: صفحة كتاب مفتاح سليمان هى المفتاح النافذ، واللى يقصده الجمالى إن أجزاء من الصفحة شفافة ونافذة للضوء.

قطب عزت جبينه مدققًا فى الصفحة التى بدا له على جانبيها الأيمن والأيسر دائرتين دقيقتين للغاية لا يتعدى قطر كلا منها الإثنين ملليمتر ثم أشار إليهما

- فيه دايرتين شفافتين على الجنبين برضه يا شريف

مرر شريف الكشاف فوق النقطتين ثم امتدت أبصارهم لعلهم يروا الجدار الذى يسقط فوقه شعاع الضوء النافذ عبر الدائرتين، لكن لم يطالعهم سوى الظلام ليعود عزت مشيرًا لأعلى من جديد حيث نقوش السقف قائلًا:

- وكمان النقوش الضونية أصغر من نقوش السقف أوى، مش راكبين مع بعض ليه.

فطن شريف لما يرمى إليه عزت فتراجع للخلف دون أن يغير من وضعية يده الممتدة لأعلى بالصفحة والمصباح وأمام أعينهم نتيجة لتراجعه مبتعدًا عن سقف النقوش زاد حجم النقش الضونى فيما يتناسب مع حجم نقوش السقف وقد تلاقت أطراف جميع النقوش تمامًا، وأمام أعينهم بعد الوضع الجديد سقط شعاعين من ضوء المصباح النافذ عبر الدائرتين الجانبيتين للصفحة على أعمدة مدخل صحن المشهد الأيمن والأيسر .

ابتسمت فاتن وهى تشاهد تلك اللوحة الفنية المبهرة التى تطابقت جميعها فى دقة تجاوزت بكثير حد المصادفة، أشارت للمسافة الحالية بين شريف وسقف النقش قائلة

- الضوء بيخرج بشكل مخروطى فكل لما تبعد عن حائل مُستقبل الضوء كل ما زاد اتساع مساحة الشكل إللى بيصنعه الضوء، وبكده من الموقع ده تبقى أبعاد الرسمتين متساويين بالظبط.

قالتها فاتن وهى تقف جوار شريف الذى ظل يتطلع للصفحة الضخمة مدققًا النظر لأحد أطرافها مغمغمًا:

أنا شفت نقش رابع، وأهو موجود على طرف الصفحة لكن بالأبعاد دى السقف صغير مش هيستقبله!

دققت فاتن النظر للنقش الشفاف على طرف الصفحة ثم نقلت بصرها للسقف الذى انتهت مساحته قبل أن يستقبل باقى اللوحة، ثم ومضت فى رأسها فكرة جعلتها تتراجع رافعة رأسها لأعلى إلى حيث يقف شريف تمامًا ثم ندت ابتسامتها مشيرة لأعلى قائلة:

- علشان مكانها على السقف إللى بعده..سقف القبلة.

تطلع الجميع لأعلى فوق رأس شريف تمامًا حيث القبة العالية الخاصة بغرفة المحراب وفى منتصفها تمامًا بدا شبح شحيح الإضاءة لنجمة سداسية رابعة، إلا أن ذلك لم يكن مصدر ذهول ثلاثتهم بل كان وجود نجمة سداسية ضخمة بالفعل محفورة من الجَصّ الجاف فى باطن القبة تحيط بها دائرتين مزدوجتين تراصت بين حدودهما نقوش غريبة بدقة كبيرة فوق موضع شريف مباشرة.

انسابت حقيقة اللوحة داخل عقل فاتن ناعمة دافئة أنعشت تلافيفه انعكست على عينيها التى استعادت شيئًا من بريقها تقول فى افتتان:

- النجمتين إللى ورا بعض والتالتة إللى متحركة شمال شوية عنهم بيمثلوا ثلاثية مجموعة نجوم أريون أو حزام الجبار ضمن مجموعة نجوم برج الجوزاء.

ثم أشارت للنجمة الرابعة الضخمة مضيفة: بيستدل بيهم الفلكيون للوصول لموقع النجمة السداسية سايروس أو نجمة (الشعرى اليمانى) لأنها على نفس خط امتدادهم بالضبط. **(حقيقة)**

ضمت شفتيها فى أسف، طالما كانت الحقائق أمامنا لكننا لا ندرك أنها الحقائق إلا بعد دلالات خاصة:

- النموذج ده كان والدى الله يرحمه حاطه على مكتبه وكان قدامي طول الوقت.. ما كنتش أعرف.

ربت شريف على كتفها فى رفق ثم تفحص ورقة كتاب مفتاح سليمان ونفسه تحدثه بأن الجمالى عبث بذلك الكتاب يومًا ما ووضع فى طياته ما يتناسب ويشير لألغازه الخاصة داخل الجيوشى، نفض عن ذهنه ذلك الخاطر بينما دفع فضول عزت للتساؤل:

- نجمة الشعرى اليمانى دى مش إللى موجودة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى {وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى}

أومأت فاتن برأسها إيجابًا قائلًا:

- فعلًا فى سورة النجم الآية(٤٩) وكان له قدسية كبيرة عند الشعوب والبعض منهم سجدوا له، علشان كده نزلت الآية توضح إن الخالق عز وجل هو إللى خلق النجمة الضعيفة دى ولا سجود إلا للخالق، لكن بعض الجماعات الخبيثة أخدتها شعار لأنشطتها الفاسدة وطقوسها السحرية افتراء وعناد مع الخالق وإرضاء للشيطان. **(حقيقة)**

مط شريف شفتيه فى اشمئزاز، تتردد فى عقله عبارة إرضاء للشيطان، هل حقًا يمكن أن يحدث أول تعاون بين البشر والشيطان أكبر عدوين على وجه البسيطة!!



عاد بعقله يتساءل مفكرًا:

- كده خرجنا بالتفكير خارج حدود مشهد الجيوشى لأن القاعدة الأبدية إللى الجمالى ذكر جزء منها بتقول إن **(كما فوق تحت وكما تحت فوق)**، معنى كده إن زى ما فيه تلت نجوم بيشاوروا للنجمة الأساسية فى السما، يبقى فيه تلت أجسام على الأرض بيشيروا للمكان إللى إحنا عاوزينه.. **أرنينى**.. على حد وصف الجمالى!!

شرعت فاتن فى الحديث إلا أنها بترت عبارتها عندما دوى رنين هاتف والدها الذى تحتفظ به، أخرجته من حقيبتها فى عجالة تطالع على شاشته رقم نجيب الذى اتصل عبره عند القباب، لم تكد تضغط زر الإجابة ثم زر (السماعة الخارجية) حتى أتاها صوت السنباطى هاتفًا بأنفاس مبهورة:

- فاتن يا بنتى مكان طقوس منظمة الهييرو عند الأهرامات التلاتة كمان شوية.. وفيه مظاهرة كبيرة أوى واقفة هناك علشان تمنعهم.

امتقع وجه عزت يضرب جبينه براحة يده قائلًا بصوت منخفض:

- هيثم.. جارى قاللى على المظاهرة دى.

تلاقت أعين فاتن وشريف فى توجس، يقطب شريف جبينه تنفرج شفتيه يغمغم فى تردد:

- الأهرامات!!، الأهرامات هى التلت أشكال هندسية المتتالية لكن....

انفرجت شفتاه مرة أخرى فى تردد يهم بقول شىء أثناء تطلعه للمجسم الرابع، تتابعه فاتن بعينها وقد فطنت لما يدور بخلده، رفعت على إثره الهاتف أمام فمها قائلة فى تردد:

- لأ يا دكتور، الطقوس مش هتتم عند الأهرامات.. الطقوس هتتم فى مكان موجود على امتداد الخط الواصل بين الأهرامات التلاتة سماه الجمالى (أرنينى).



ثم وفى عجالة شرحت فاتن للسنباطى ما توصلوا إليه من ألغاز صمت لها السنباطى لحظات يغمغم بكلمات غير مفهومة يقدح فكره يستحضر لها معلومات تاريخية طالما قام بتدريسها على مر السنوات بدأت تطفو فوق صفحة عقله تدريجيًا حول مصطلح **(أرنينى)** أو التنصيب كما يسميه البعض، حيث ذلك المعبد الذى نشأ فى ظل الحضارة الأرمنية المندثرة منذ ما يقرب من مائتى عام قبل التاريخ، والذى وصلتنا معلومات عنه عن طريق ملحمة (الملك جلجامش) فى لوحها السادس **(حقيقة تاريخية)**

يسرد ذلك الملك العظيم الذى جاب ربوع الأرض من مشارقها لمغاربها أن لدى وصوله لأرمينيا وجد يهودها يعبدون ثورًا مقدسًا ويسجدوا له، كاد يفتك به لولا أن أوصاه أحد مساعدوه بحل وسط يقيه موجة غضب شعبى، فأبقى جلجامش على الثور ولكن قام ببناء تيه متشابك الدروب بلا مخرج على غرار تيه (اللابرنث) ووضع الثور داخله وظل هكذا حتى مات الثور داخله وتحلل.

ثم تاتى الأسطورة اليهودية وتقول أن الشيطان عشتاروت تجسد فى شكل بومة من فيصلة بوم (منيرفا) التى حزنت على الثور المقدس كثيرًا وظلت تنوح وتستنجد بمعبودهم فى السماء الشيطان (بامفويت) المتمثل فى (نجمة سايروس) ١٣ مرة حتى استجاب لها يهبط درجة مع كل نداء حتى هبط فى النداء الثالث عشر لمعبد أرنينى ليتم تنصيبه إلهًا لهم على الأرض .

لم تكد تلك المعلومات التاريخية تختمر فى عقل السنباطى حتى انتبه لمناداة فاتن له عبر الهاتف توقظه من بحر أفكاره المتلاطم مما حثه على سرد ما دار بخلده لهم حول الأسطورة، مرت ثوان من الصمت لم يشأ أحدهم قطعها ثم عاد السنباطى يقول بشىء من الشرود:

فاتن يا بنتى المكان إللى هتتم فيه الطقوس هيكون رمز لبوابة.. وسطها عين بشرية ونجمة سداسية.. ورمز لبومة منيرفا.



الفصل (٢٨)

بدت تلك الليلة مظلمة كئيبة أكثر مما ينبغى توارت فيها النجوم خلف سحاب ثقيل خضب السماء بكحل أسود احتقن معه قرص القمر بلون أصفر قاتم يطل فى ريبة من خلف السحب المتكاثفة ثم يعود للاختباء بينما تشق السماء بين الفينة والأخرى أذرع برقية متكسرة بضوء يخطف الأبصار ينعكس سنا برقة على قمم الأبنية يتبعه هزيم الرعد المهيب فوق منطقة كانت تعد من المناطق النشطة تعج بالمحال التجارية والسيارات وصخب المارة لولا دنو درجات الحراراة من الصفر وانتشار السقيع على نحو غير مسبوق فى البلاد تحولت على أثره لمنطقة أشباح خلت معها تمامًا من المارة وأغلقت المحال أبوابها هربًا من غبار ناعم عجيب علق فى أجواء تلك المنطقة تحديدًا دون غيرها سكنت معها أغصان الأشجار المتناثرة وكأنها تجمدت من شدة البرودة وظلت ذرات الغبار فى الهواء عالقة بالكاد نجحت معها إضاءة مصابيح أعمدة احترق نصفها فى اختراقها لتسقط شحيحة على الأرصفة الخالية إلا من بعض الكلاب الضالة تركض بلا مأوى ولا هدف تنبح بلا توقف إيذانًا بدنو خطبٍ خطير لم تلق له بالًا سيارة سوداء فارهة تغلق جميع نوافذها المعتمة أبت أن تخضع لتحولات الطقس المريب وسارت فى هذه الأجواء تجاه أحد الأبنية الضخمة التى تتوسط تلك المنطقة ثم توقفت أمام بوابة المرقاب لحظات أجرى خلالها أحد الجالسين داخلها مكالمة تليفونية ارتفعت على إثرها بوابة الجراج ليطالعهم خلفها رجل يرتدى سترة سوداء أشار إليهم بالدخول ثم أغلق البوابة خلفهم يلمس بأنامله سماعة لاسلكية داخل أذنه اليمنى يؤكد وصول السيارة التى تقدمت بضع أمتار حتى توقفت أمام المصعد السفلى، ثم انفتح بابها الأمامى يخرج منه أحد مساعدى الماستر متعجلًا يفتح الباب الخلفى نزل منه فرانكلين بسترته السوداء الأنيقة يحمل حقيبته المعدنية التى لا تفارقه ثم الماستر يخلع معطفة الأسود الطويل

ويعطيه لمساعده يعدل فى فخر من ملابسه السوداء المطرزة بخيوط ذهبية تقع أغلبها على الصدر وعند حزام الوسط، تقدم نحوهم صاحب سماعة الأذن ينحنى بجزءه فى احترام أمام الماستر ثم اعتدل سريعًا يقول:

- الجميع بانتظارك ماستر

ثم أشار بيده تجاه غرفة صغيرة فى أحد أركان المرقاب يشكل غرفة كتب فوقها (خطر كهرباء ضغط عالى) أسفلها علامة الصاعقة الكهربية تشى بخطورة الغرفة وتنذر بالويل لمن يقترب، تطلع إليها الماستر لحظات ندت على شفتيه خلالها ابتسامة ممتنة لفرانكلين يشير إليه بالدخول للمكان الذى يعرفه جيدًا بعد أن سبق له دخوله عدة مرات قبل بضعة أيام خلت اطمأن خلالها على تمام التجهيزات اللازمة

تقدم الحارس يفتح له بوابة المحول الكهربائى متوسط الحجم الذى لم يكن سوى غرفة خالية تتوسطها فجوة أرضية انزاح جوارها جسم معدنى لمحول كهربائى مموه غير متصل بأية أسلاك كهربية يمثل غطاء مخادع لتلك الفجوة المظلمة، اقترب الحارس يشعل مصباحًا صغيرًا يكشف به داخل الفجوة عن سلم حجرى غير مستوى الدرجات يمتد إلى أسفل فجوه سبقهم داخلها الحارس يتبعه ثلاثتهم إلى حجيرة ترابية ضيقة بلا مخارج تفوح منها رائحة الرطوبة، لكن المخرج كان مخفى فى هيئة جدار صخرى انزاح بسلاسة كاشفًا عن سلم دائرى أخرمن الرخام الأبيض الفاخر، عميق للغاية يهبط نحو قبو سرى يقع أسفل ذلك المبنى الراقى، بعد دقائق من الهبوط لمسافة طويلة أسفل مستوى سطح الأرض بدأ معه شعور بثقل فى الهواء لكن شعورهم بأنها رحلة مقدسة بدد ذلك الضيق وانشرحت صدورهم عندما بلغوا نهاية السلم الحلزونى حيث ذلك النفق الطولى الضيق يمتد أمامهم لحوالى مائة متر مضاء بأسرجة تومض بإضاءة زرقاء خافتة تثير الخيال تنعكس فوق جدران رخامية ملساء تنبعث منها برودة تثير قشعريرة لم يشعر بها الماستر فى ذروة حماسة



وانفعاله مما هو مقبل عليه يحث الخطا عبر الممر تموج في عقله التوقعات والتصورات فتنبت في قلبه الأطياف والأحلام تزدهر بالآمال والأخيلة، قطع فرانكلين الصمت الظاهري للمسيرة بعبارات هادئة شارحًا:

- الممر سري جدًا ماستر اتعمل في أوائل القرن السادس عشر، علشان يوصلنا لتحت أقوى نقطة رعي اكتشفناها على وجه الأرض، محدش يعرف حاجة عن الممر حتى أصحاب البناية نفسهم.

ثم أشار بيديه لامتداد الممر أمامهم مضيفًا.

- في نهاية الممر قاعة التنصيب تحت الشكل الهندسي المستقطب للطاقة وهو ما تم توجيه بعض الأشخاص دون وعي لبناءه

أومأ الماستر برأسه في رضا حتى دنا أربعتهم من نهاية الممر حيث بوابة خشبية مقرنصة القبة يتوسطها عين بشرية دفعها فرانكلين في هدوء على نحو مسرحي قائلًا:

- أرنيني.. حيث يجدك المجد، ماستر.

ابتسم الماستر للمدح يخطو داخل عدة ممرات ترابية صخرية الجدار وكأنهم سقطوا بغتة داخل كهوف في باطن جبل مهمل يتقدمهم الدليل يسيروا على دربه حتى بلغوا مبتغاهم.

***

على الرغم من الفضول الشديد الذي يتمتع به المصريون إلا أنه وعلى غير العادة كمن الجميع في منازلهم غير عابئين بظاهرة الشهب التي سوف تزين السماء تزامنًا مع لحظة مرور الكويكب، شيئًا ما كئيبًا بدا مقبضًا جعل الجميع يلزمون مساكنهم ويغلقوا أبوابهم مع خوف غرقت له

العاصمة فى ظلام دامس ووجوم غريب على نحو لم تعهده من قبل ساهم فى تعزيز تلك الأجواء زحف موجات السقيع القارص تقضم الأطراف وتنهش العظام وسط أنباء عن هبوب رياح باردة ثلجية لم تشهدها البلاد منذ ما يقرب من مائة عام، يخط البرق أذرعه الساطعة فى السماء الغائمة صامتًا مهيبًا يتبعه هزيم رعد يلقى الرعب فى القلوب، تركض على إثره الكلاب الضالة عشوائيًا فى الشوارع على نحو محموم تهرب من عدو خفى يلاحقها،

ورغم أن فكرة النزول فى ذلك الطقس وفى تلك الساعة المتأخرة من الليل هى الجحيم ذاته إلا أنها بدت منطقية لذوى الأنشطة المريبة حيث غزت الشوارع أنشطة إجرامية لم تعهدها من قبل دوت على إثره صافرات عربات الشرطة فى أماكن متفرقة تلاحق جرائم عديدة متنوعة بين سطو مسلح وتحطيم واجهات المحلات وسرقتها وبين نشوب شجارات عديدة فى مختلف الأماكن بلغت حد القتل لأسباب غير منطقية بالمرة، وحالات اغتصاب بالعشرات، حتى العائلات المسالمة طالتها حمى الجرائم حول أرباب عائلات تقتل ذويها وأطفالها، وزوجات تصعق أطفالها وهم نيام وآخر يلقى بجاره من النافذة، ويتم كشف النقاب عن رذائل وخبائث وتحطيم لأبسط قواعد الفطرة حول معاشرة الآباء لبناتهم.

أصاب هواتف الطوارئ جنون مباغت ومتصاعد حول جرائم عديدة امتدت كالنار فى الهشيم على نحو غريب فى جميع أرجاء المعمورة وكأن عطب ما أصاب عقول الجميع مع ميول دموية غير معهودة

ثم بلغ الهول لأعلى معدلاته بعد الإبلاغ عن حرائق غريبة متفرقة فى عدة أماكن ومحافظات خاصة الصعيد، منازل بالعشرات نشبت داخلها حرائق من العدم وفى أماكن محددة داخل المنزل الواحد على نحو غير منطقى بالمرة كلما هرع رجال الإطفاء لإخماد أحدها أضرمت فى منزل آخر وسط صراخ وعويل السكان والبعض يتحدث حول سحر قام به أحدهم، عجزت معه القوة الكاملة لرجال الإطفاء فى السيطرة عليها على مستوى



الجمهورية مما دعاها للاستعانة بطوافات إطفاء حلقت فى أسوء طقس يمكن لها أن تحلق فيه.

ووسط تلك الأجواء المحمومة جلس حامد حارس العقار الذى يقطن فيه شريف فوق أريكته الخشبية لكن داخل مدخل العقار وقد أغلق بابه الحديدى بالأقفال يتربص بخطر يشعر أنه قريب للغاية فى يوم بدا غير تقليدى بالمرة، كان متحفزًا للغاية حتى أن خطوات أحد السكان الهادئة يهبط الدرج جعلته يقفز من مجلسه يلتفت مستعلمًا عن ذلك الهابط ليلًا يطالعه الدكتور عبد القادر طبيب المخ والأعصاب وجار شريف، يهبط ملقيًا التحية على حامد ثم شرع يفتح البوابة المعدنية لكن استوقفه القفل الضخم على رتاجها التفت ليجد حامد يهرع تجاهه بجلبابه الضخم ومعه مفتاح صغير قائلًا:

- لا مؤاخذة يا دكتور.. فيه لبش بره لو تقدر ما تخرجش السعادى والصباح رباح

- لبش إيه يا حامد!!

تردد قليلا ثم أشار للخارج مضيفًا

- خناقات وضرب وبوليس والإسعاف عماله تشيل فى الناس، ومحدش عارف إيه إللى بيحصل

ثم أشار لأعلى حيث البرق المهيب تتشقق له سماء قاتمة وقمر مقفهر:

- الجو ده جو بسم الله الرحمن الرحيم يا دكتور اللهم احفظنا، كانوا بيقولولنا عليه زمان ليلة الشيطان.

تسربت لقلب عبد القادر شحنة كآبة ضاق لها صدره واشمأزت لها نفسه فقد كانت الأجواء عجيبة حقًا والهواء ثقيل للغاية، سهم عبد القادر لحظات يوازن ما سمعه للتو من حامد.. بالفعل، يوجد شيءٌ ما يحدث، شئ غريب، مترابط على نحوٍ ما رغم كون الأمور تبدو فى ظاهرها متفرقة ومشتتة فوضوية لا تنسجم فى شيء إلا أن باطنها يحمل بين طياته شيئًا من الترابط.



- مصمم تخرج يا دكتور

عاد عبد القادر للوجود:

- فيه تقرير طبى مهم من إنجلترا هيوصلنى على فاكس المستشفى ولازم أستقبله.

خرج عبد القادر للشارع تتلقفه صفعات الهواء المثلج ندت لها فى قلبه شهقة معذب يغلق ياقة معطفه حول عنقه يحث الخطا للسيارة يلقى بجسده داخلها ويغلق أبوابها يتعجب لتلك الأجواء، بعد عناء استجاب محرك السيارة لينطلق بها للشارع الرئيسى و ما أن بلغه حتى اتسعت عينه فى ذهول من مشهد لعدة سيارت إسعاف تنقل مصابين من عدة أماكن متفرقة مر خلالها فى وجوم وما أن قطع بضع أشواط حتى اصطدم بجموع من البشر الغاضبة تتناحر فيما بينها بالأسلحة البيضاء غير عابئين بسيارة الشرطة التى فشل ضباطها فى السيطرة على الموقف، لم يكن المشهد قد استقر فى ذهنه بعد عندما عرج على أحد الشوارع الكبرى فى منطقة مجاورة حتى وجد سيارة إطفاء فشل رجالها فى إخماد عدة حرائق نشبت فى عدد من الأبنية المتفرقة.

تجمدت قطرات العرق على جبين عبد القادر فازدرد لعابه يرطب حلقه اليابس تتصاعد وتملأ عقله تأكيد لفكرة أن اليوم غير تقليدى على الإطلاق جميع المعطيات تشير لذلك، عانى كثيرًا حتى بلغ موقع عيادته ثم توقف أمامها بسيارته يغادرها مسرعًا يستقل المصعد للطابق الرابع ثم دلف عيادته يضىء الأنوار تتركز عينه على ضوء مصباح أحمر صغير فى جانب جهاز الفاكس توجه إليه يرفع سماعته لحظات بدا على وجهه خلالها الارتياح بينما وريقة بدأت تبرز من الفراغ المخصص لها، خرجت تدريجيًا فى بطء ممل خلال ثوانٍ بدت كالدهر، التقطها عبد القادر وطالعها بأعين متلهفة يلتهم أسطرها المكتوبة بإنجليزية أنيقة، تراخت يده ولامس فكه السفلى أرض المستشفى غير مصدق لما يقرأه، تنحنح يزيل



غصة علقت فى حلقه ثم ازدرد لعابه يجلس فوق مقعد قريب يعيد قراءة نص التقرير بتمعن أكثر يتأكد من نتائج أبى عقله أن يستوعبها، فقد كانت عجيبة حقًا.



الفصل (٢٩)

(Wikimapia) أو موسوعة الخرائط، تعد من أقوى مواقع الخرائط الإلكترونية وأكثرها دقة على الإطلاق، بمعاونتها يمكنك الوصول لأى مكان ومعرفة تفاصيله الدقيقة بسهولة وحساب المسافات والأبعاد بدقة كبيرة بين الأماكن وبعضها بمساحتها الطبيعية ودراسة تخطيطها وطوبوغرافيتها كما لو كنت متواجد فى المكان.

لم يصدق شريف كم المزايا الذى يتمتع به هذا الموقع الذى تصَدَّر شاشة الهاتف اللوحى الخاص بفاتن، بعد أن اقترحت الاستعانة به لمعرفة إلام يوصل الخط المستقيم الواصل بين الأهرامات الثلاثة كما فى ثلاثية حزام أريون على أمل أن يوصلهم لموقع محاكاة نجمة الشعرى اليمانى على الأرض وسط رموز معبد أرنينى التى أخبرهم بها السنباطى، كانوا فى حالة ذهول عن كيفية وضع كل تلك الرموز فى مكان واحد دون أن يلحظها أحد.

عاد الثلاثة ورابعهم التوجس إلى وسط صحن المشهد إلى حيث تشير النقطتين المضيئتين لجانبى الجدار الأيمن والأيسر حيث الشكل البيضاوى المنحوت فى الجدار الشبيه بالنافذة المغلقة والأعمدة المصطفة ليس بصدفة يتشابهوا مع مثيلاتها على الجانب الأيسر من الجدار لتتحقق عبارة الجمالى

(كما فى اليمين فى اليسار)

ومضت علامة بطارية الهاتف أعلى شاشته معلنة قرب انتهاء جولتهم فوق موسوعة الخرائط التى دنا منها كلًا من شريف وعزت بوجوههم يتابعا فاتن وهى تدقق على منطقة هضبة الأهرام تطالعهم الأهرامات الثلاثة متراصة بالفعل على نفس نمط تراص ثلاثية حزام الجبار أو حزام أوريون تقع غرب نهر النيل كما تقع نجوم الحزام غرب نهر المجرة. **(حقيقة)**

أمسكت فاتن بأداة داخل موقع الخرائط عن طريق شاشة اللمس تصنع خطًا مستقيمًا أحمر اللون يبدأ من الحافة الأمامية للهرم الأكبر يقع على نفس خط امتداد الأهرامات الثلاثة ثم سحبت إصبعها الممسك بطرف أداة الخط فوق شاشة اللمس على نفس امتداده حتى مسافة عشوائية ثم تركته يثبت عندها ترفع سبابتها تتطلع للخط قائلة:

- المفروض أن البوابة وكل الرموز دى فى مكان واحد عند نقطة مجهولة على الخط ده أو على امتداده.

تناول شريف الهاتف من يدها يدقق النظر على الأماكن التى يمر فوقها ذلك الخط المستقيم للحظات بدت فيها الحيرة على وجهه يهز رأسه فى أسف قائلًا:

- مفيش أى أشكال هندسية مميزة بيمر فوقها ممكن تجذب طاقة الرعى إللى قال عليها السنباطى، أو أى ملامح لأسطورة أرنينى، الخط ممكن يمتد إلى مالا نهاية

أضاف عزت:

- لازم نعرف الخط ده بيمتد مسافة قد إيه بالضبط علشان نقدر نعرف المكان.

مرت لحظات صمت تموج فى عقولهم عشرات الاحتمالات، أحاط شريف جبينه بأنامله يقول فى تردد وكأنه يتذكر أمرًا غاب عن عقله:

- هو إيه فايدة توجيهنا من البداية خالص لحى الجمالية.. ليه محدش أشار للجيوشى مباشرة!!
- يمكن علشان والد فاتن ما كانش وصل للمرحله دى
- أو يمكن لأن والدى كان عايزنا نشوف حاجة من بداية الرحلة

دارت أعين شريف على وجه فاتن وعزت ثم أضاف مبتسمًا.. أو يمكن الإتنين مع بعض.. إحنا مش لقينا رمز فى ضريح الجمالى عبارة عن شكل بيضاوى فوقه (نجمة)، وفى نقوش بوابة النصر نقش مالوش ترجمة

لخط مستقيم فوقه (نجمتين)، وفى قبب السبع بنات نقش لخط مستقيم قدامه دايرة وفوقه (تلت نجوم).
فطنت فاتن لما يدور بخلد شريف مكملة فكرته:
- وهنا لقينا أربع نجوم.
التفت عزت يتطلع لسقف رواق القبلة المنقوش مضيفًا:
- إنتوا بتتكلموا كده عن (متوالية رمزية) بتعرفك إزاى توصل للرمز التالى، أربع نجوم يبقى تحتهم رمز رابع
تلفت شريف حوله يتفحص جدران الصحن تدور معه فكرة مجنونة تحاصره وتسلبه جميع حواسه جعلته يغمغم كالمأخوذ:
- الرموز التلاتة هنا ومعاهم الرابع والأخير، الجمالى عاملهم فى حيطان صحن المشهد إللى بتشاور عليهم النقطتين الشفافتين فى صفحة الكتاب.. (كما فى اليمين فى اليسار حيث الطريق إلى أرنينى)
ثم أشار لجدران صحن المشهد شارحًا:
عواميد صحن المشهد هى نفس الأشكال إللى شوفناها، الشكل البيضاوى المنحوت فى الحيطة هو الشكل إللى كان فى ضريح الجمالى، العمود الأول هو الخط المستقيم إللى كان على بوابة النصر، الخط والنقطة إللى قدامه كان محفور جوه قباب السبع بنات.. هو العمود التانى للمشهد والقاعدة المدورة إللى قدامه، يبقى الرمز الرابع هو الدايرة المنفردة إللى لوحدها.. وبكده المجموعة اكتملت والرمز هيكون..

أقرن قوله بطلب قلم من عزت ثم بدأ يرسم الرمز فوق طرف صفحة مفتاح سليمان العظيم ثم نظر إليها يطالعها لحظات تطل من عينيه نظرة متسائلة.. يكمل عبارته فى تردد:
هيكون كده!!

التفت يرنو ببصره لنظرة فاتن التى ضاقت أهداب عينها تحدق فى الرمز وكأنها التحمت معه بكيانها ثم بدا فى عينيها بريق ظفر مقترن بتردد اقتربت فى افتتان ينافس اسمها زهوًا تتفحص تلك الحقيقة والسر الجديد داخل مشهد الجيوشى

- فاتن إنتى عارفة معنى الرموز دى إيه!!

لم تجب فاتن حتى اختمرت فى عقلها الفكرة وقتها قالت دون أن تطرف عينها عن الرموز:

- ده رقم يا شريف، رقم مكتوب بطريقة قديمة أوى كانت بتكتب بيها حضارة المايا من أكترمن ألفين سنة قبل الميلاد ونقلته عنها الحضارة الأرمنية واستعملته. **(حقيقة)**

ازدرد شريف لعابة قائلًا:

- الحضارة الأرمنية!!، الجمالى المغرور بيستعمل لغة جدوده.

اكتفت فاتن بهز رأسها موافقًا تعد وتحصى فى عقلها وعلى أصابعها وكأنها غارقة فى بحر متلاطم من الأرقام والعمليات الحسابية المعقدة للغاية تغمغم بصوت بالكاد يسمع:

- حضارة المايا اتبعت نظام عد عشرينى من مضاعفات ضرب رقم عشرين مع كل خانة من الخانات فى عدد النقط والخطوط وعبرت عن الصفر بالشكل البيضاوى



لم تلق العبارة صدى فى نفوس عزت وشريف تشير لفهم الأمر فلاذا بالصمت تتلاقى أعينهم فى تساؤل، صمتت فاتن لحظات ثم مدت يدها تلتقط القلم من يد شريف ثم أخرجت مفكرتها الخاصة من حقيبتها الويست باج تخط فوقها الرمز فى لهفة، وضعت **(الصفر)** الذى يمثل الشكل البيضاوى فى الخانة الأولى ثم الخانة التالية التى تحوى خط رأسى يمثل الرقم ٥ ضرب ٢٠ كمستوى ثان فكانت النتيجة **(مائة)** كتبتها فى الخانة التالية بعد الصفر

ثم الخانة الثالثة حيث الخط والنقطة يمثلان الرقم ٦، ضرب تربيع العشرين كمستوى ثالث للعد كتبت على إثرها الرقم **(ألفان وأربعمائة)**

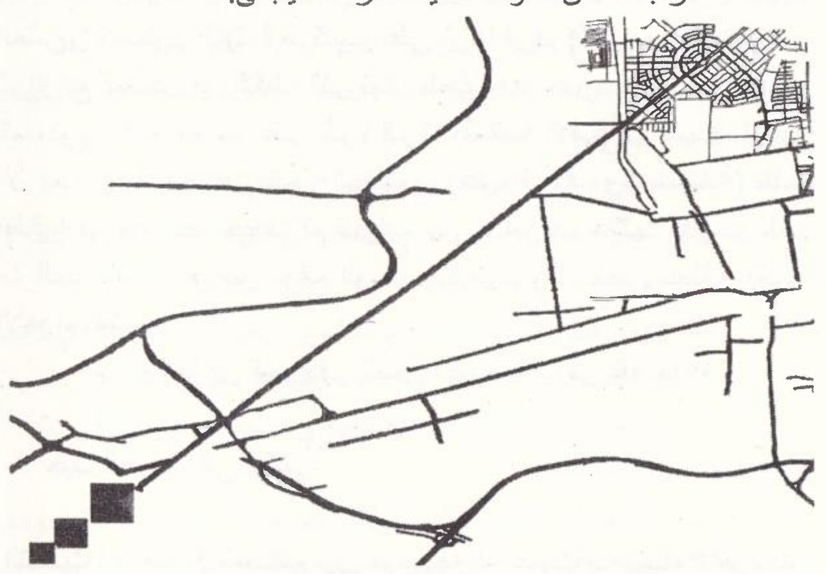
ثم الرابع المتمثل فى النقطة التى تمثل العدد واحد ضرب تكعيب العشرين كمستوى رابع خطت على إثره الرقم **(ثمانية آلاف)** ثم قامت بتجميع الأربعة أرقام فجاءت نتيجة تجميعهم **(عشرة آلاف وخمسمائة)** ظلت تطالعه فى مفكرتها لحظات ثم تناولت من يد شريف هاتفها اللوحى الذى مازالت شاشته تعرض موقع الويب ويكيميبيا وبالأخص منطقة هضبة الأهرام تغمغم:

- وكما فى اليمين فى اليسار، ثم أضافت فى ثقة حذرة

حيث الطريق إلى أرنينى

التقطت أداة الخط المستقيم من موضعه ثم عادت به تجاه الأهرامات تقصر من المسافة تدريجيًا وعينيها متعلقة بعداد المسافات الذى أخذ فى التناقص إلى أن وصل العداد لرقم ١٠٥٠٠ متر هى المسافة بين الحافة الأمامية للهرم الأكبر وبين تلك النقطة التى تقع على امتدادهم، ما أن تركت فاتن الأداة فوق تلك النقطة حتى ارتجفت أناملها حتى كاد الهاتف يسقط من يدها وفغر عزت فاه غير مصدق ما يراه.

أما شريف فبدون وعى مبهوتًا التقط الهاتف من بين أيدى فاتن يغالب ذهول جارف اعتراه امتقع له وجهه وتراخت له أوصاله غير مصدق ما يراه أمام عينه فوق شاشة الهاتف حيث تلك المنطقة المألوفة للغاية، يعرفها جيدًا لكن ليس بالقدر الذى يكفل له معرفة أن الشوارع المحيطة بها متراصة ومنحنية حولها بكيفية غريبة بدت معها وكأنها ترسم بوابة ضخمة واضحة المعالم تشبة أبواب الفاطميين بقمتها الدائرية وبدقة مخيفة، وفى منتصف تلك البوابة تمامًا حيث انتهى خط الامتداد بطول ١٠٥٠٠ متر بدا مكان مألوف للغاية أكثر مما ينبغى.



بأصابع مرتجفة يقضمها السقيع قام شريف بوضع إبهامه وسبابته متقاربين فوق تلك النقطة ثم قام بالمباعدة فيما بينهم ليحدث تشوه فى المجال الكهروستاتيكى لشاشة لمس الهاتف عند هاتين النقطتين انتقل منها إلى مستحث الهاتف الذى استجاب للأمر وقام بتقريب تلك النقطة أكثر

وأكثر فكانت الصاعقة التالية التى هوت معها قلوب الجميع وأسقطوا فى يدهم عندما طالعهم وسط تلك المنطقة الحيوية الشهيرة شارعين كبيرين يلتحمان معًا ثم يتفرقا حول دائرة ثم يعودا للالتحام تدريجيًا على نطاق متباعد على نحو غريب بدا معهما وكأنهما يمثلان ما يشبه العين البشرية التى تتوسط البوابة



ندت رجفة فى أنامل شريف وسط صمت مطبق أصاب الجميع عندما اقترب أكثر من تلك النقطة لتكون الصاعقة الثالثة بمثابة المسمار الأخير فى نعش الصمت القاتل الذى غلف المكان وكانت المفاجآت أكثر مما ينبغى، فقد بدت نجمة سداسية تتوسط تلك البقعة، ازدردت فاتن لعابها قائلة فى ذهول:

- الشعرى اليمانى على الارض !! **كما فوق.. تحت.**

ثم أضافت فى شرود:

أفضل شكل هندسى مستقطب لخطوط الرعى.

بأعين لم تفارق شاشة الهاتف وبلسان ثقلت كلماته من هول المفاجأة غمغم شريف مبهوتًا:

أسطورة معبد أرنينى متجسدة فى ميدان مصطفى محمود!



الفصل (٣٠)

الساعة ١٠:٠٠ قبل منتصف الليل
١٢٠ دقيقة على موعد اكتمال مرور نيبرو
درجة الحرارة فوق المقطم ١°c تحت الصفر

بقدر ما تمنحهم إضاءة المصباح الشاحبة من رؤية ركض ثلاثتهم عبر مستويات مشهد الجيوشى تجاه بوابته الداخلية مبهوتين مذهولين تتواثب فى صدورهم قلوب لم ترسخ داخلها بعد حقيقة تنفيذ رموز دينية لمنظمة سرية وسط أحد أهم وأشهر الميادين المصرية بهذه الدقة المخيفة، دفعت عزت للسؤال للمرة العاشرة:

- طب إزاى!!

لم يجد أحدهم ردًا مناسبًا فعقولهم كانت حلبة تتصارع داخلها الأفكار تتساقط بالضربة القاضية فكرة تلو الأخرى وسط بحر لجى عاصف من التساؤلات، عبر ثلاثتهم غرفة المدخل يومض عن شمالهم البرق يفترش سناه الأرضية عبر غرفة المئذنة المكشوفة ببريق خاطف، دفع شريف بوابة المشهد الخشبية مجيبًا عزت بأنفاس متقطعة أثناء هبوطهم درجات السلم الرخامية إلى باحة المشهد فى عجالة:

- الميدان له قيمة فلكية كبيرة.. أعتقد إن الدكتور مصطفى محمود كان شايف فيه شيء غامض.. لكن ما توقعش إنه للدرجة دى !!

انطلق ثلاثتهم عبر باحة المشهد نحو البوابة الحديدية، بينما فاتن تقوم باتصال بدا من شحوب شاشة هاتفها أنه الأخير انتظرت لحظات وما أن جاءها صوت السنباطى حتى هتفت فى عجالة وكأنها تسارع الزمن:



- دكتور سنباطى الطقوس هتتم فى مصطفى محمود، عند نجمة سايروس فى الـ.........

رفعت الهاتف عن أذنها تتطلع فى أسف إلى شاشته التى فقدت بريق الحياة، وضعته فى حقيبتها وهى تغمغم:

- مش عارفه لحق يسمعنى ولا لأ، وتليفون بابا هو كمان فصل!!

أخرج عزت هاتفه مردفًا: حافظة رقمه.. لكنه اصطدم بإيماءة نافية جعلته يعيده فى جيبه من جديد.

أشار إليهم شريف بعدم الأهمية وهو يلقى نظرة عبر فتحات البوابة المعدنية:

- دور السنباطى انتهى.

بحث ببصره عن المجند بالخارج لكن مكانهم كان خاليًا، ووقع بصره على السلسلة المعندية المنتهية برتاج مفتوح مد يده وألقاه أرضًا ثم سحب البوابة المعدنية للداخل وانطلق عبرها ثلاثتهم للخارج، كان المكان خاويًا ساكنًا مريبًا وكان من المفترض أن المجند قد أغلق البوابة خلفهم وبقى مع زميله بالخارج لكن ضيق الوقت جعل شريف يلقى بملاحظته جانبًا، فقط ركض مع فاتن وعزت نحو سيارة الأخير وقبل أن يبلغها توقف شريف بغتة يتطلع لجانب سور معسكر تابع للجيش يجاور سور الجيوشى، كان ثمة أشياء تتحرك أسفل السور فى الظلام تصدر أصواتًا متحشرجة.

انتبهت فاتن لتوقف شريف فعادت أدراجها فى تساؤل تدقق النظر حيث ينظر بينما سبقهم عزت للسيارة يدير محركها يطل التساؤل من عينه، شرع يغادر السيارة عائدًا إليهم لولا ظهور عدة مجندين تحت أضواء أعمدة الإنارة الباهتة، دقق شريف وفاتن النظر للمجندين لحظات، كانوا يسيروا تجاههم وتوقع شريف أن يتم سؤالهم عن كيفية دخولهم المشهد بدون تصريح، لكن أمرًا ما بدا غريبًا ومريبًا فى مشيتهم ونظرات أعينهم.



رويدًا رويدًا بدت ملابسهم العسكرية تحت الضوء الشاحب ملوثة بالدماء، لم يكد يدق ناقوس الخطر بعقل شريف حتى وقع بصره على أعينهم الشاخصة الدامية فى أيديهم وأفواههم أجزاء بشرية يلوكونها دون وعى، تفجرت على إثرها داخل عقولهم حقيقة مروعة دفعت فاتن وشريف للتراجع فى محاولة للوصول لسيارة عزت لولا ظهور عدد ضخم أخر من المجندين من الجانب الآخر وقطع آخر طريق لديهم.

فقدت فاتن النطق تلتصق بشريف تتابع ببصرها الأعداد المنقضة عليهم من كل حدب وصوب فقدت معها أعصابها تتلفت فى هيستريا، قبض شريف على ذراعها يحثها على الهدوء وعدم إتيان أى رد فعل مباغت يثيرهم تدور عينه بحثًا عن مخرج دون جدوى يغمغم فى رهبة وذهول:

- أحداث الشدة المستنصرية بدأت!

تلاقت عينه مع عينى عزت على بعد عدة أمتار يقف مبهوتًا يمسك بباب سيارته عاجزًا عن التصرف بينما فوج آخر من المجندين بدأ يتوجه نحوه، تطلع إليهم فى ارتباك وهلع إلى أن أتاه صوت شريف هاتفًا بصوت متهدج يائس وهو يتراجع مع فاتن من جديد إلى داخل المشهد أمام تقدم الجنود نحوهم:

- كمل ياعزت .. روح الميدان واوقف الطقوس.. هنعتمد عليك.

دمعت عينى عزت دون أن يشعر وهو يستقر داخل السيارة ويغلق النوافذ والأبواب جيدًا ثم يدير محركها فى اللحظة التى وصل إليه بعض المجندين الممسوسين يدقون نوافذ السيارة فى إصرار وتتابع، ضغط عزت دواسة الوقود يفرغ فيها حزن اعتصر قلبه فقفزت على إثرها السيارة تطيح بالمجندين على جانبيها ثم يدور بها دورة كاملة عائدًا للطريق الهابط من هضبة المقطم يلقى نظرة دامعة وأخيرة لشريف وفاتن



وهما يركضان عبر البوابة المعدنية لباحة المشهد ومن خلفهم تتوافد وتتوالى حشود المجندين بالعشرات، وفى الداخل اصطدم شريف بحقيقة كونهم أصبحوا داخل سجن الجيوشى على حافة جبل المقطم، جذب شريف ذراع فاتن وركضا حيث الملجأ الأخير ليقفزا فوق الدرجات الأربع الرخامية لداخل المشهد يدفع بوابته الخشبية وقبل إغلاقها وقعت عينه على العشرات تجتاح الساحة تجاههم، بأعصاب تالفة أغلق مزلاج البوابة الخشبى وتراجعا وسط الظلام والترقب والسكون الذى هتك ستره دفعة قوية للبوابة انتفضت على إثرها فاتن تتشبث بذراع شريف المتصلب، ثم ضربة ثانية وثالثة ورابعة وتوالت الضربات من المجندين بالخارج ترتجف معها البوابة الخشبية فى ضعف وتهالك يشى باقتراب لحظة تداعيها.

***

فى محاولات يائسة كرر السنباطى الاتصال بهاتف فاتن المغلق عدة مرات دون جدوى، وفى عقله تموج كلماتها القليلة عبر الهاتف عن قيام الطقوس داخل ميدان مصطفى محمود قبل أن ينقطع الاتصال.

تابع بعينيه فى ترقب شاشة الحاسوب الخاص بمكتبة المركز الإسلامى بالقرب من شارع الهرم الرئيسى تصطدم بوجهه لفحات الهواء المثلج القادم من النافذة المفتوحة ممتزجًا بهتاف المئات من النشطاء الذين خرجوا فى مسيرة حاشدة متجهين لهضبة الأهرام مما حاول معها السنباطى تجاهلها قدر الإمكان والتركيز على شاشة الحاسوب حتى اختلج قلبه عندما ظهرت أمامه كلمة **(downloaded)**

بقلب خافق فتح محتوى التحميل الذى لم يكن سوى صورة قديمة للغاية جاهد كثيرًا بين المواقع المحمية على شبكة الإنترنت حتى استطاع الوصول إليها

ما إن تم عرضها تملأ شاشة الحاسوب حتى امتقع وجهه وتراجع يلتقط أنفاسًا مثلجة، تحاصره فكرة واحدة غمغم بها مبهوتًا:

- نجيب كان عايز يفهمنا الحقيقة.. لازم أوصل لفاتن.

أفاق من ذهوله إثر حركة خافتة ندت من خلفه التفت لها يجوب ببصره بين أرفف المكتبة الساكنة دون وجود ما يريب:

- عم جابر.. إنت هنا!!

جاوبة صمت مطبق ضاعف من توتره وقلقه دفعه للمسارعة فى تفقد الطابعة بجوار الحاسوب والتأكد من تشغيلها ثم قام بطبع الصورة التى بدأت تخرج فى بطء شديد من فراغ الطابعة يمد إحدى يديه لالتقاطها ويخرج بالأخرى هاتفه النقال من جيبه يشرع فى محاولة طلب رقم فاتن من جديد، لكن حركة خافتة أكثر قربًا جعلته ينتفض ملتفتًا خلفه ليجد جابر خلفه مباشرة على وجهه ابتسامة واسعة ثابتة يتطلع إليه بأعين احتقنت أغشيتها وأوردتها حتى أدمتها يتحرك بؤبؤها فى هستيريا على نحو محموم، تراجع السنباطى بحركة غريزية تعثر على إثرها بمقعد خلفه كاد يسقط معه أرضًا لولا تداركه وتحامله على خافه طاولة الحاسوب مما كلفه فقد هاتفه لملم أشلاء أعصابه المنهكة وتراجع فى حذر أمام خطى جابر الوئيدة تجاهه بنظرة غائبة عن الوجود محتفظًا باتساع ابتسامة تثير الاستفزاز والوجل تصدر عنه حشرجة مكتومة بدت فى عينيه نظرة معذب ينشد الخلاص، دس السنباطى الصورة المطبوعة فى جيب سترته بإهمال يتراجع بقلب عليل يوشك على التوقف يدنو من نهاية أحد أرفف الكتب وما إن بلغه حتى دار حوله راكضًا بقدر ما تسمح به حالته الصحية ومن فوق كتفه لمح جابر يهرول خلفه تسبقه حشرجة صوته.

دفع السنباطى نفسه دفعًا خارج بوابة المكتبة المعدنية ثم التفت بقلب متواثب ليغلقه قبل أن تصل إليه يد جابر، تراجع السنباطى بأعين اتسعت هولًا يشرع فى نزول السلم سريعًا لاعتقاده فى قدرة جابر على فتح البوابة من الداخل ومواصلة مطاردته إلا أنه توقف لحظة يزدرد لعابه يرطب



حلقه اليابس يحدق فى وجه جابر وهو يمسك بالأعمدة الحديدية لباب المكتبة الداخلى يهزها بعنف وقد تحولت ابتسامته لنظرة حقد وغضب جحظت لها عينه الدامية ونفرت لها شرايين وجهه

نما وقتها يقين لدى السنباطى أنه لم يعد له عقل يفكر وإلا لكان فتح البوابة، إنها حالة مس واستحواذ لا شك فيها.

اعتمد براحته على إفريز السلم لا يدرى هل يرتجف من الخوف أم من البرد أم لما اكتشفه فى الصورة التى ضمها جيبه، استند على بوابة العقار لحظات ثم خطا خارجها تتلقفه صفعات الهواء المثلج حيث ظلام وسكون يخيم على الشارع يتلفت مترنحًا يمينًا ويسارًا يغمغم لاهثًا وكأنه يهذى من أثر حمى:

- حالات المس بتكتر، أحداث الشدة بتتكرر، تـ.....

بتر جملته بغتة وانتفض كمن تلقى وخزة عندما قبض شخصٌ ما على معصمه فى قوة حاول التراجع أو التملص منها بلا جدوى، لم يتبين فى الظلام سوى أعين غاضبة وذراع ملوثة بدماء طازجة هوى معها قلبه تمر أمام عينيه سريعًا ما حفظه عن ظهر قلب عن أحداث الشدة المستنصرية عندما كان سكان مصر يقتنصون كل من يمر فى الشارع ويقوموا بذبحه وأكله

***

مادت الأرض بالسنباطى لحظات ينتظر أن يخرج ذلك الشخص سكينًا ويقوم بذبحه ثم يقيموا عليه وليمة عشاء شهية.

- إيه إللى بيحصل بالظبط يا سنباطى!!

رغم كون الجملة خرجت من ذلك الشخص جافة غاضبة إلا أنها أعادت للسنباطى شيئاً من اتزانه يدقق النظر فى وجه ذلك الشخص ليجده ضابط



الشرطة الذى سبق وكُلف بحراسته داخل مستشفى الأمراض العقلية، النقيب عمرو.

تطلع السنباطى لحظات للملابس الملوثة بالدماء المتناقضة مع مظهر عينيه واتزانه الطبيعى، مما حثه على الحديث يزدرد لعابه قائلًا:

- إنت وصلتلى إزاى وإيه الدم ده!

جتلى معلومات إنك هنا، ثم خفض وجهه يتطلع بأعين مترددة إلى ملابسه الملوثة بالدماء مكملًا:

- طول الطريق بقابل ناس إتجننت بتتهجم على بعضها وعليا.. اضطريت أصيب أشخاص منهم علشان أقدر أعدى.

امتقع وجه السنباطى وفغر فاه مرددًا فى ذهول.. الحالات انتشرت فى الشوارع !!

ضاقت حدقتا النقيب ينظر للسنباطى فى تفحص وشك:

- سنباطى، كل التقارير إللى فى ملفك بتقول إنك مجنون رسمى، لكن التقارير ممكن تتزور، أنا شايفك عاقل، وقولت كلام عن حالات مس وجنون جماعى وده إللى شوفته فى الشوارع طول الطريق.. إيه إللى بيحصل حوالينا يا سنباطى.

لانت ملامح السنباطى وهدأت جوارحه قليلًا عندما بدأ النقيب يصدق شيئًا من حديثه مما دفعه للحديث فى حماس:

- الشدة المستنصرية إللى حصلت أثناء الخلافة الفاطمية نتيجة لطقوس خبيثة، بتتكرر تانى النهاردة وطقوس تكرارها هتتم خلال ساعتين فى ميدان مصطفى محمود.

تطلع إليه عمرو بشك مغمغمًا فى ريبة:

- كل إللى بيحصل فى الشوارع ده والطقوس لسه هتتم كمان ساعتين!!

- ولو تمت أبواب الجحيم الحقيقية هتتفتح علينا

تردد السنباطى قليلًا وتلعثم فى كلماته فقد كان حقًا لا يدرى كل شىء عن الأمر

- أرجوك صدقنى لازم نلحقها دلوقتى وهحكيلك بالتفصيل فى الطريق.

طال تطلع النقيب عمرو للسنباطى وبدا فى عينيه تردد وصراع ثائر داخله بين أوامر رؤساءه فى القبض على السنباطى وبين ميل شخصى يدعمه حقائق وشواهد رآها بعينيه مرورًا بما حدث فى شقة السنباطى وصولًا لانتشار حالات خلل بالعقول رجحت معها كفة السنباطى فضرب عرض الحائط بكل الرسميات والأوامر مدفوعًا بما استقر فى عقله وضميره جاذبًا السنباطى من ذراعه فى عجالة حيث تقبع سيارته التابعة للشرطة قائلًا:

- عايزك تحكيلى فى الطريق على كل التفاصيل.. لو السبب إللى عمل فى الناس كده موجود فى ميدان مصطفى محمود، يبقى لازم نوقفه.. أيًا كان.



الفصل (٣١)

أشارت عقارب الساعة في يد عزت للعاشرة وعشر دقائق مما أضرم المزيد من نيران الخوف في قلبه وحثه على تبديل موضع مغير سرعات سيارته الجيب لمستوى أعلى اندفعت السيارة على إثره في تسارع متزايد عبر شقوق القاهرة ودروبها نحو ميدان مصطفى محمود، الطريق كان عجيبا قاتمًا، الأجواء مسممة تخترق ملابسك وجلدك بل وروحك نفسها توصلك لحالة مزيج هي من الخوف والانقباض والاشمئزاز تهتك ومضات البرق ستر ظلام جنبات الطريق تكشف النقاب عن نشاطات مريبة على جوانب الطرق لأشخاص غير واضحي الملامح يعكف كل تجمع منهم على شيءٍ ما أرضًا وكأنهم ذئاب احتشدت حول فريسة.

كان التوقع سهلًا لكن كإجراء دفاعي تجنب عقل عزت حتى التفكير في كنهها، فقط أفرغ شحنته العصبية بفرم دواسة الوقود تحت قدمه بقلب دامي يقطر ندمًا وحسرة تمزقه وتعتصر روحه.. لقد ترك فاتن وشريف صديقه العزيز يحاصرهما الموت.

آخر طلب منه هو وقف الطقوس في ميدان مصطفى محمود، مهمة ناءَ كاهله بثقلها وشعر لوطأتها بضيق في صدره، زفر في حيرة مفكرًا في الكيفية التي سيتبعها لمواجة طقوس منظمة سرية تشن حرب ميتافيزيقية (meta phizex) فكر قليلًا في المصطلح المتكون من مقطعين phizex يعني العلوم الفيزيائية الطبيعية والمعروفة للجميع ثم يأتي المقطع meta ليعكس ما بعده فيكون المقصود بالمصطلح هو ما يتخطى حدود الطبيعي والمألوف، حالات مس يقوم فيها الشيطان بخلل في عقل الضحية ويدفعه للعنف.

أي حرب جديدة هذه التي وسوس بها الشيطان لبني البشر، والأهم كيف يمكنه مجابهتها بعدما أصبح وحيدًا!!



امتقع وجهه عندما دنا بتفكيره لحقيقة كونه أصبح وحيدًا، شعر لها برجفة فى أوصاله، فتش عقله تلقائيًا عن ملاذ يأوى إليه يعينه ويسانده، يجب أن يطلب المساعدة!!

فكرة بدأت تسطع فى عقله دفعت إليه ببعض الأمل،

لن يطلب المساعدة من شخص، ولا شخصان، ولا عشرة أشخاص.. بل المئات.. وربما الآلاف.

***

انعطف عزت لأحد الشوارع تطالعه سيارة شرطة رابضة فى سكون على قارعة الطريق، هل أوصاف سيارته أصبحت مع الشرطة بعد الهروب بفاتن وعزت!! أخذ نفسًا عميقًا يحافظ على سرعته حتى دنا من سيارة الشرطة يختلس نظرة سريعة بدا له أمر مريب حثه على الالتفات بنظرة مدققة اصطدمت عينه فيها بأعين شرطيين تلطخت وجوههم بالدماء يعكفون على أكل شيءٍ ما داخل السيارة، تراخت ذراعيه على المقود و ندت منه صرخة ذعر لا إراديه أغمض لها عينيه لحظة يسيطر على بقايا أعصاب هتكت عرضها خوفًا وذعرًا مازجهما اشمئزاز، من جديد اعتصر دواسة الوقود وهو يلتقط هاتفه يتنقل ببصره بين شاشته وبين مراقبة الطريق، يبحث بين الأرقام عن اسم (هيثم) جاره الذى يعتقد الآن أنه وسط مسيرة تقف فى المكان الخاطئ.

وضع الهاتف على أذنه يستمع لرنين الاتصال طويلًا حتى انقطع مما دفعه لمعاودة الاتصال مرة ثانية، ثم ثالثة إلى أن انفجرت سماعة الهاتف بضوضاء مباغتة تنقل له هتافات بلغت معها القلوب الحناجر ومن بينها مَيَّزَ صوت هيثم يصيح بصوت مرتفع عبر الهاتف:

- أستاذ عزت إنت جيت المسيرة!

تجاهل عزت السؤال يجيبه بصوت مرتفع بدوره:



- هيثم إنتوا واقفين فى المكان الغلط.. الطقوس إللى كلمتنى عنها هتتم فى ميدان مصطفى محمود بعد دقايق، بلغ إللى عندك وروحوا على هناك.

- لأ يا أستاذ عزت إحنا متأكدين الطقوس هنا عند الأهرامات

أجابه عزت بلهجة آمرة جافة لا تحتمل التعقيب:

- إنت شايف عندك أى بوادر لطقوس.. شايف أى استعدادات، هيثم.. الشوارع مقلوبة ودقايق والطقوس هتبدأ فى (مصطفى محمود) قول لكل إللى تقدر عليه وروحوا.. وأنا هكون هناك.

دار هيثم بعينيه عند سفح الأهرامات تجمهر حولها مئات الشباب لمنع المؤامرة، يقلب كلمات عزت فى رأسه، أين المؤامرة!!، بالفعل لا يوجد أى استعدادات..ولا أى شخص يحاول إقامة أى طقوس أو حتى احتفالات، لا أفواج ولا أمن!

- هيثم إنت معايا!

أعادت عبارة عزت عبر الهاتف عقل هيثم للوجود قائلًا:

- إنت متأكد يا أستاذ عزت !!

- متأكد يا هيثم أرجوك إتحركوا دلوقتى

بخطى متعجلة اخترق هيثم حشود المتجمهرين حيث صديقه (عماد) محمول على الأعناق يهتف ضد المؤامرات فى حماس شديد يتبعه هتاف الحشود، وقف هيثم بجواره يناديه بصوت مرتفع عدة مرات:

- عماد الطقوس مش هنا الطقوس فى ميدان مصطفى محمود.

ظل يردد العبارة عدة مرات إلى أن انتبه عماد إليه ينظر له فى تساؤل ليكرر هيثم العبارة بصوت مرتفع، أجفل عماد وأشار لحامليه فأنزلوه، يستمع لهيثم:



- عماد.. ناس أكدتلى إننا إتعرضنا لخدعه والطقوس دلوقتى بتتم فى ميـ........

قاطعه عماد متلفتًا حوله فى قلق وارتباك يجذبه خلفه بطريقة غير لافتة للانتباه حتى عبرا نهر الحشود سائرًا معه لمسافة خلت منها التجمهرات ثم توقف عماد قائلًا فى لهجة هادئة بشوشة كلفته الكثير من ضبط النفس:

إيه إللى بتقوله ده يا هيثم.. الطقوس كانت هنا وإحنا خلاص منعناها

هز هيثم رأسه نافيًا فى تردد:

- ما كانش فيه أى تجهيزات هنا يا عماد وما شوفناش أى محاولة لمنعنا حتى.. عادى ممكن نكون غلطنا يا عماد فى تحديد مكان الطقوس أو إتعرضنا لخدعة

جفت لهجة عماد قائلًا:

- إنت تعبت النهاردة معانا يا هيثم وده أثر على أعصابك.. روح بيتك ارتاح إحنا خلاص شوية وهنمشى

شيئًا ما فى نظرة عماد كان يشى بعدم صدقه شيئًا زاد من يقين هيثم فى صدق معلومات عزت جاره شيئًا دفعه لاختبار عماد، فقال له ضاغطًا على كلماته وبنظرة متحدية:

- مش جايز يكون فيه خاين وسطنا ياعماد اتبع سياسة (تفريغ الغضب المضلل) إللى بتتعمل فى المؤامرات

جاءت عبارة هيثم بأكثر مما يتوقع بكثير عندما شحب وجه عماد وارتجفت شفتاه متلعثمًا فى حديثه بينما أعين هيثم تزداد بريقًا ظافرًا ممتزج بذهول:

- طب تعالى معايا يا هيثم وأنا هثبتلك إن الطقوس كانت هنا.

سار معه هيثم مرتابًا تلوح فى قسماته نظرات الشك الحارقة تلفح وجه عماد حتى وصلا لجدار أثرى ضخم ألقى عماد نظرة متفحصة خلفة ثم ابتسم مفسحًا الطريق لهيثم يشير له خلف الجدار.. إتأكد بنفسك يا هيثم

تطلع هيثم لعينيى عماد فى شك حذر وحيرة ممتزجة بغضب يتخللها شىء من الاستحقار ثم خطا يلقى نظرة خلف الجدار فلم يطالعه سوى بعض الحجارة الملقاة فى إهمال ضاقت لها عينيه ثم برقت فى عقله فكرة تعرضه لحيلةٍ ما بادر معها بالنكوص على عقبيه لكن لسان من النار اخترق عموده الفقرى بغتة إثر طعنة نافذة من سكين عماد باحترافية شديدة قطع معها الحبل الشوكى لهيثم فيما يضمن له موت سريع وهادئ دون حراك.

شهق ألمًا وتحجرت عيناه، لم يستطع حتى إكمال التفاته فتداعى أرضًا كملابس فقدت مرتديها بغتة، تطلع عماد إليه لحظة فى أسف ثم دنا منه يمسح السكين فى ملابسه وشرع يعيده لغمده ترتجف أنامله بعد أن استوعب عقله أنه قتل صديقه، وجم لحظات ثم التفت عائدًا للمسيرة لكنه تسمر فى مكانه عندما اصطدمت أعينه بأعين بضع شباب من المسيرة على بعد أقل من عشرة أمتار يتقدمون نحوه تتطاير من أعينهم شرارات غضب تنصب حممًا فوق رأسه، تراجع يستل سكينه يلوح به لهم فى توعد ثم التفت بغتة وشرع يركض إلى الهضبة الخالية لكنهم انقضوا عليه يكبلونه، لوح بالسكين فى هيستيريا يصيب ذراع أحدهم وكتف آخر إلى أن تمكنوا منه وانتزعوا منه السكين ثم انهالوا عليه بالركلات.

توجه أحدهم لهيثم الذى كان فى النزع الأخير وقد أصيبت جميع أطرافه بالشلل بعد قطع حبله الشوكى بالكاد يحرك أعين دامعة تود لو تنطق بشىءٍ ما جثا أحدهم على ركبته بجواره يحاول أن يستنبط ما يرنو إليه بأعينه دون جدوى..

- ميدان مصطفى محمود.. الطقوس هناك مش هنا.

التفت الجميع خلفهم لقائل العبارة من أحد الشباب يقولها فى تردد ووجل يشير لهيثم الممدد أرضًا وسط بركة من الدماء يضيف:

- أنا سمعته فى المسيرة بيقوله إننا إتخدعنا والطقوس فى ميدان مصطفى محمود دلوقتى.



عاد الشاب يتطلع لعينى هيثم الدامعتين وقد لاحت فيهما طلائع الرضا والامتنان ولانت قسمات وجهه ثم تراخت جميعها وشخصت نظرته للسماء وتجمدت بعد أن فاضت روحه لبارئها، أغمض الشاب عين هيثم فى احترام وألم يعتصر قلبه ثم نهض فى تماسك ينظر شذرًا لعماد الملقى أرضًا التصقت الرمال بدماء جروحه دامى الوجه محطم العظام من أثر اللكمات والركلات:

- خدوا الكلب ده من هنا.. وحد يطلب الإسعاف تاخد الشاب.

ثم أشار لبعض الشباب مضيفًا:

بلغوا رؤوس المسيرة إننا إتعرضنا لخدعة، خليهم يحركوا المسيرة بأقصى سرعة.. لميدان مصطفى محمود.



الفصل (٣٢)

دَفعة جديدة من الجنود المحتشدين خارج بوابة مشهد الجيوشى الخشبية انفرجت يتسلل عبر شق طولى بين دفتيها وميض البرق الخاطف تواثبت معها قلوب فاتن وشريف يتراجعا على غير هدى يسابقا الزمن بتفكير محموم عن مخرج يسترجع أرجاء المشهد وغرفه التى لا تحوى أية مخارج على الإطلاق.. بالداخل حصار وسجن مغلق لا فكاك منه، دفعة أكثر قوة على البوابة اتسعت لها الفرجة انحشرت عبرها عدة أذرع تفتش عن أى شيء تمسك بتلابيبه، فى اللحظة التى ومض البرق فيها من جديد أو هكذا تصور شريف، لكن الوميض كان عبر الغرفة المكشوفة وعلى نحو غريب وأكثر قوة.

توقف شريف يرنو ببصره للحجرة يعيد عقله مشهد ليس ببعيد

جنيات قباب السبع بنات على وشك الفتك بهم ثم وميض من مشهد الجيوشى يقصيهم ليمروا بسلام!!

- المنارة!!.. أنا لازم أطلعها، فيه حاجة هناك ممكن تنقذنا

لم ينتظر رد فاتن بل اندفع بغير وعى للغرفة المكشوفة وما أن بلغ أعتابها حتى ومض الضوء من جديد وسرعان ما خبا مما حثه على دخول الغرفة التى تنشق عن منارته بديعة الطراز، قلبه يحدثه أنه فى الطريق الصحيح.. الضوء يناديه.. يرشده.. يحثه على الاستمرار.

توقف لحظات أمام قاعدتها المستطيلة يعلوها برج مستطيل أقل عرضًا يحوى كل ضلع من أضلاعه على نوافذ معقودة بنقوش وزخارف مفرغة يعلوه رقبة مثمنة الأضلاع يحتوى كل ضلع منها على نافذة صغيرة معقودة، تحمل فوقها فى قمة المنارة خوذة بديعة الشكل بلغ معها ارتفاع المنارة بالكامل حوالى ٢٠ متر، لكن موقف شريف لم يكن يسمح بتأملها

ولا الافتتان بتصميمها الساحر فقط هرول يدخل عبر أحد بوابات قاعدتها يقفز فوق درجات سلمها الضيق يصعد عبر مستوياتها الداخلية تحين منه نظرة خاطفة عبر النوافذ من فوق حافة المقطم حيث القاهرة من أعلى، شعر معها أنه مُخلص يصعد إلى السماء فى رحلة مقدسة.

ومضة جديدة من أعلى المنارة دفعت إليه مزيدًا من الحماسة والثقة كلما تقدم كلما تسارعت الومضات.. المصدر يعرفه، يناديه، يدعوه، يتحدث إليه عبر ومضات متكررة.. ذلك يفسر كل شىء، وصل للمستوى الثانى من المنارة حيث غرفة مربعة أقل من متر بقليل، وعلى مستوى ناظريه نوافذ الرقبة المثمنة وفوق رأسه مباشرة خوذة مذهبة تمثل قمة المنارة شعر وكأنه يرتديها فوق رأسه استعدادًا لخوض حرب ضروس.

أين مصدر الضياء!! الحجرة صماء تمامًا.. وقع بصره عبر النوافذ المعقودة على مشهد القاهرة من أعلى العلى.. إحدى النوافذ تطل على قباب السبع بنات وكأن المشهد بالفعل يراقبهم، سرى فى أوصاله شعور مبهم ودخيل جعله يلتفت يمينًا عبر نافذة أخرى ثم ثانية ثم ثالثة ثم رابعة أصبح بعدها متسع الأعين تتلاحق أنفاسه تحاصره فكرة عجيبة لم تختمر بعد فى عقله عندما سطعت ومضة جديدة فوق رأسه صبت حممًا وأحرقت روحه انتفض وكاد يسقط عن سلم المنارة لولا ضيق مساحتها وتمكنه من التحامل على الجدران، أغمض عينيه فى قوه ثم فتحها بألم يتطلع لباطن قمة المنارة حيث نقوش مفرغة خرج من بين ثناياها ذلك الضوء المبهر مما دفعه لطرقها بقبضته عدة مرات مؤلمة تشققت معها النقوش الطينية وتداعت مخلفة فجوه خلفها، بأصابع حريصة وأعين ضاقت أهدابهما استعدادًا لومضة مباغتة جذب شريف قطع الجص المحطم وقد استقر فوقها حجر متوهج صغير فى حجم قبضة اليد مخروطى الشكل له جانب مدبب كخنجر غير منتظم الحواف، التقطه فى حذر، لم يكن يدرى هل الحجر بارد أم ساخن حتى يؤلم يده على هذا النحو، لكن صراخ فاتن فى الأسفل لم يتح له رفاهية التفكير.. هبط السلم مهرولًا.. ومضة أخرى من



الحجر اللعين تجاوزت أهداب وجفون عينيه إلى القاع فأحرقت شبكيتها، تخبط يمينًا ويسارًا يتعثر ويسقط ثم ينهض فيتعثر، وصل لأرض الجيوشى برؤية تتموج بوجوه الجنود الممسوسين على وشك النيل من فاتن التى أوت لركن غير بعيد بجوار قاعدة المنارة على حافة صدمة عصبية أفقدتها النطق.

ومضة جديدة سقط معها الحجر من يد شريف وتجمد المشهد وكأنه فيلم سينيمائى تم إيقاف عرضه ثم تم إرجاع المشهد عكسيًا عاد معه الجنود أدراجهم فى خوف مفاجئ وأعينهم الدامية مركزة على التوهج المتزايد للحجر الملقى أرضًا يزداد ضياءً أغشت أبصار الجميع تراجع شريف يحتمى أيضًا من سطوع الضياء بالكاد يرى الجنود يغادرون المشهد فى ذعر وكأنهم يفرون من الموت شخصيًا ثم خفت الضياء تدريجيًا، تقدمت فاتن من مكمنها فى حذر وتوجس تلتقط الحجر ثم تقلبه فى يدها فى رهبة قائلة:

- هو ده مصدر الضياء إللى الجمالى داخل بيه مصر.

تبعها شريف فى ترنح يومئ برأسه، يدفع نفسه دفعًا خارج غرفة المنارة قائلًا:

- الحجر بيتوهج لما قوى شيطانية بتقرب منه، ثم أضاف أثناء خروجه من غرفة المنارة بإرهاق شديد:

الحجر هو وسيلة الجمالى فى إزاحة الظلام وسر أمجاده فى مصر وقت الشدة المستنصرية.

(هكذا بالضياء تكتسب المجد فى الكون.. والظلام يبتعد عنك)

***

حملت فاتن الحجر عن شريف المرهق يتجاوزا باحة المشهد وفى يدها يتوهج الحجر بضوء نابض بالحياة وكأنه قلب كائن حى أثار قلقها حيال ذلك الذى لا يعنى سوى وجود أرواح سوداء تملأ المكان، تقدما أكثر حتى بلغا البوابة المعدنية الضخمة التى نقلتهم خارج أسوار الشاهد ليصطدم بصرهم بالحشود فى الخارج يقف بعضهم فى غير هدى ويعكف البعض الآخر على أكل البعض فى مشهد دارت له رأس فاتن وتقلصت له أحشاؤها فى اشمئزاز تنشد القيء، تقدم شريف ومن خلفه فاتن تضيق من عينين أغشاهما وهج متزايد للحجر الذى رفعته عن يمينها وأشاحت بوجهها يسارًا استشاطوا له غضبًا وصدرت عنهم حشرجة مكتومة يفسحون لهما قهرًا طريقًا فيما بينهم، عبرا حشد الجنود بعد أن جف حلقهم وهربت الدماء من وجوههم لم تأمن فاتن أن توليهم ظهرها فالتفتت لهم تسير بالعكس حتى ابتعدا ومن خلفهم الجنود يقدموا قدمًا ويؤخروا الأخرى يزمجرون فى غيظ.

ركضا بغتة لسيارة شرطة خالية تقبع غير بعيد، قفزا داخلها وقادها على الفور يعتصر دواسة الوقود يفرغ انفعال عصف بأعصابه يخرج هاتفه المحمول من جيبه يطلب رقم عزت

وضعت فاتن الحجر فى حقيبتها الـ (waist bag)، أغمضت عينيها تسيطر على ارتجاف أطرافها تستجمع شتات أفكار تنافس الصخور المبعثرة على جانبى طريق المقطم.. ماذا بعد! شياطين وأرواح وممسوسين وآكلى لحوم بشر وحجر يضيء كإنذار لأرواح سوداء.. أى لعنة حطت فوق رؤوس الجميع!!

فتحت عينيها على إثر انحناءات السيارة على الطريق أطلقت معه الإطارات صريرًا مزعجًا معترضًا لم يلقى له شريف بالًا قاصر الانتباه على التحدث لعزت الذى أجابه فى لهفة وفرح كبير لنجاتهم، لم يخض شريف فى غمار تفاصيل الأحداث لكنه اختصر الأمر:

- إحنا بخير يا عزت، إنت وصلت ولا لسه



- دقيقة واحدة وأوصل يا شريف، كل ما أقرب من الميدان أحس بغبار كتير أوى فى الجو الرؤية بقت صعبة.
- خليك معايا على التليفون إحنا وراك بدقايق.

وضع عزت الهاتف على المقعد المجاور له وأدار مقود السيارة يعبر المنعطف الأخير بسيارته الجيب وصل بعده لشارع جامعة الدول العربية الخاوى على نحو غريب وكأنه الطاعون، كل كائن حى فر بروحه من تلك البقعة المسمومة مما شجعه للانطلاق بسرعة على نحو بالغ الخطورة تستهله سحابة غبار كثيفة خانقة تغلف منطقة الميدان دون غيرها على نحو بدا غير منطقى بالمرة اضطر معها عزت لغلق نوافذ السيارة والتخفيف من سرعتها تدريجيًا بالكاد ينفذ ضوء مصابيح سيارته عبرها حتى بدأت معالم الميدان تتضح أمامه، دار حول النافورة السداسية التى تتوسطه يجول برأسه هاجس كونه الآن داخل شكل هندسى يمثل أعين الشيطان بامفويت تتوسطها نجمة سداسية تمثل الشعرى اليمانى اقشعر له بدنه وشعر بخوف لم يتركه يتغلغل فى قلبه كثيرًا فاعتصر مكابح السيارة بقوة توقفت لها السيارة بجوار النافورة بصرير مرتفع ثم أخذ نفسًا عميقًا وتناول هاتفه ثم ترجل منه يدور ببصره وجسده فى المكان بأكمله والحيرة تتملكه والغبار يحول دون تنفسه طبيعيًا، رفع الهاتف على أذنه قائلًا بأنفاس قطعها السعال:

- شريف الميدان فاضى خالص ما فيهوش أى كائن حى، والغبار مالى الميدان، وفوق النافورة بالضبط فى شذوذ غريب ذرات الرمل والصخور الصغيرة واقفه فى الجو بطريقة غريبة كأن الجاذبية مالهاش أى تأثير عليها.

سعل عزت مرتين ثم أكمل بأنفاس متقطعة:

- شريف، فين المنظمة إللى هتعمل الطقوس، وهيعملوها فين.

مرت لحظة صمت على شريف على الجانب الآخر ثم أجابه:



- دور علـى أى حاجـة بتمثل بومـة مينيرفـا يـا عـزت، رسـمه، تمثال، اسم، شعار أى رمز.. أنا دقايق وهكون عندك.

دار عزت ببصره فى المكان يغمغم فى حيرة واستنكار شديد:

- بومة!!، هنا!!!

تلفت لحظات ثم قفز فوق مقدمة سيارته ومنها للسطح يتخذه مكانًا مرتفعًا يتيح لـه رؤية أكثر شمولًا، يـدور ببصره فـى الأرجـاء المغبرة، الميدان تحيط بـه الأبنيـة مـن كل الجوانب لا تماثيل تذكاريـة ولا نقوش أو رسوم غريبة فقط مبان حكومية وأبراج خاصـة هـو يعلمهـا جيدًا بحكم عمله فـى أحدها، بحث كثيرا إلى أن أضناه اليأس وملأت الأتربة رئتيه، تعلقت عينـه بالرخام المكون منه النافورة السداسية تدور بعقله فكرة أخيرة باقية لـه قفز على إثرها من فوق سطح السيارة يفتح حقيبتها الخلفية يحضر مطرقة من حقيبة المعدات ويعود للنافورة محدثًا نفسه:

- بمـا إنــى مـش عـارف مكـان الطقـوس يبقـى نبـوظ الشـكل الهندسى إللى بيساعد فى إتمامها وبيجمع طاقة الرعى.

ثم أقرن عبارته بالعديد من الضربات من المطرقة على حواف النجمة الرخامية كلفته الكثير من الهواء النقى المحتفظ بـه فـى رئتيه سعل على إثرها كثيرًا بينمـا لم يستجب لـه سوى فتات رخـامى انفصل عنها كاشفًا أسفلها عن ضحكة ساخرة.



الفصل (٣٣)

وكأنه يخترق فقاعة ضخمة من الغبار بسرعة هائلة غاص شريف بسيارته وسط ميدان مصطفى محمود يستهله هسيس تصادم ذرات الرمال بالزجاج الأمامى وهيكل السيارة، بالكاد أبصر سيارة عزت والأخير يجثو على ركبتيه قرب رخام النافورة يلهث فى تراخى، توقف شريف بسيارة الشرطة بجواره ثم قفز منها راكضا تتبعه فاتن ساعد عزت فى النهوض، كان فى حالة دوار غريبة أغمض عينيه يهز رأسه فى محاولة لإنعاش وعى يحتضر يتحدث فى إعياء:

- المنطقة فوق النجمة غريبة يا شريف، وكأن الروح بتتسحب من الجسد.

جذبه شريف بعيدًا عن النجمة الرخامية حتى اطمأن على تماسكه، بينما فاتن تضع أناملها على فمها وأنفها فى محاولة يائسة لمنع تسرب الأتربة لرئتيها، دار شريف ببصره على الأبنية والملصقات يبحث عن إشارة لبومة وفقًا لأسطورة معبد أرنينى يعتصر جبينه براحته يشعر بالأتربة تحرق رئتيه وعينيه، الميدان بالكامل يمثل أسطورة قديمة لم يبق فيها سوى شعار لبومة مينيرفا، من وسط الأبنيه طالعه المبنى الذى يعمل به وقد بدا فى هذه اللحظة غريبًا عنه كئيبًا خلف سحابة صفراء من الأتربة، شيئًا ما مريب حيال ذلك المبنى.. يتوسط الميدان ليطل على أعين يتوسطها نجمة الشعرى السداسية.. هل المبنى يحدق إليهم بعينين دائريتين فى طابقه الأخير أم أن الهلاوس عادت تراوده، ظل شريف شاردًا تحاصره فكرة تتراص أحجارها واحد تلو الآخر حتى صارت صرحًا من حقيقة اختلج لها قلبه.

مأخوذًا متسع الأعين دون أن يلتفت إليهم أشار شريف للمبنى الضخم الذى يتصدر الميدان والذى يحوى مقر شركتهم قائلًا:

- بومة مينيرفا

صُعق كلًا من فاتن وعزت وهما يحدقان مبهوتين إلى ما يشير إليه شريف حيث الطابق الثانى عشر والأخير من المبنى الذى تميز عن باقى الطوابق بوجود تجويفين مستديرين وكأنهما أعين لطائر يتوسطهما لوح زجاجى براق طولى ينتهى بقمة مدببة يتخطى قمة المبنى يشبه تاج الطائر، وأخيرًا لوحين بطول البناء من الزجاج أسفل التجويفين يمثلان ما يشبه أهداب نفس الطائر، فقط نظرة شاملة من بعيد تتضح لك الصورة كاملة، أسطورة معبد أرنينى الأرمنية، منفذه بمنتهى الدقة هنا على أرض الواقع، بعلم.. أو بجهل.

راكضًا حائرًا كمخمور أسكرته أفكاره عبر شريف الطريق الخاوى يتبعه عزت وفاتن نحو العقار الذى طالما صعد درجات السلم المؤدى لبوابته، يعتريه شعور مغاير لما قد ألفه وسط ساحة الاستقبال ومكتب الأمن الخاوى حيث دقت ساعة الحائط المعلقة فوقه، تعلقت أعين ثلاثتهم بعقاربها يشيران بِذَنَبَيهِمَا الساميَّين تجاه العاشرة والنصف، تسممت لها أفكارهم وتشتتت فداروا بأعينهم بحثًا عن المجهول، شردت فاتن بنظره غائبة تسترجع فكرة هائمة وسط بحر أفكارها المتلاطم تغمغم:

- حسب الأسطورة، الشيطان بامفويت نزل لبومة مينيرفا أو عشتاروت بعد النداء ال١٣ منها

تابع عزت مشدوهًا:

مبنى الشركة ١٢ دور إحنا حافظينه كويس كله مكاتب، ممكن يبقى فوق السطح لو اعتبرناه الدور الـ١٣

اعترضت فاتن:

- أو الجراج لو اعتبرناه دور، وبكده دور راس البومة هو المقصود

استطرد شريف عائدًا إليهم بعد جولة داخل ساحة استقبال المبنى قائلًا فى شرود:



- بومة عشتاروت فى الأسطورة ندهت على بامفويت ١٣ مرة ومع كل نداء كان بامفويت بينزل درجة لحد ما وصلها فى النداء ال ١٣ وساعتها عملوا طقوس التنصيب، عاد إليهم بعقله من عالم الأطياف والأخيلة تتلاقى أعينهم قائلًا

- الطقوس فى الدور الـ ١٣ بس من تحت

تطلع إليه عزت متشككًا.. كده عندنا إحتمالين.. الدور ١٣ من فوق.. ولا تحت!!

تطلعت فاتن إليهم:

- لازم نتفرق

وافق شريف فاتن بإيماءة من رأسه مضيفًا:

- إللى يوصل لحاجة يكلم التانى، أنا هنزل تحت
- هاجى معاك

قالتها فاتن تلحق بشريف وهو يهرول تجاه سلم مرآب السيارات بينما مضى عزت يستقل المصعد لطابق رأس البومة.

هبط شريف وفاتن درجات الجراج مسرعين قدر الإمكان حتى هبطا وسط المرآب الخاوى إلا من ثلاث سيارات سوداء فارهة معتمة الزجاج تثير الريبة والشك اقترب منها شريف فى حذر يدقق النظر عبر الزجاج الأمامى فوجدها خالية يتدلى مفتاحها بجوار المقود وكأن أصحابها قد اطمأنت قلوبهم غير عابئين بعبث عابث.

جميع الدلالات تشير لهنا، فى مكانٍ ما هنا يتم الأمر قريب للغاية لكن أين، هرول شريف لغرفة كتب عليها (خطر كهرباء ضغط عالى) دفع بابها بحرص ليطالعه داخلها محول كهربائى يحتل منتصفها يتطلع إليه فى براءة انطلت على شريف فنكص على عقبيه عائدًا مع حيرة مضاعفة



دفعته للتساؤل.. هل كان استنتاجه خاطئ والأمر يتم فى الأعلى!، أخرج هاتفه يطلب عزت الذى أتاه صوته:

- الدور الأخير والسطح ما فيهمش أى حاجة كلها مكاتب فاضية!، إنت لقيت حاجة!
- فى الجراج تلت عربيات مريبة يا عزت أكيد أصحابها هم إللى بندور عليهم لكن مش معروف هم فين بالظبط!!
- أنا نازلك ياشريف

أغلق شريف الهاتف يبحث ببصره عن فاتن حتى وقع بصره عليها فى مكان قصى بأحد أركان الجراج تتفحص مكعب من الأسمنت يبلغ ارتفاعه متر تقريبًا تغطيه شبكة معدنية مغلقة برتاج معدنى يقبع أسفلها الظلام والمجهول أعادت إليه ذكرى أيام قليلة خلت عندما وجد عامل النظافة يتفقدها فى حزن بحثًا عن هاتفه الذى سقط منه داخلها ولم يعد له أى أثر، ومضة ذهنية أخرى فى ثنايا عقل شريف الذى بدا فى تلك اللحظة يعمل بأقصى طاقته يتذكر استنكار عزت وقتها:

(فتحات تكييف إيه إللى فى الجراج يا شريف.. الفتحات كلها فى الأرضى!!)

اقترب أكثر من الشبكة المعدنية يلقى ببصره داخلها بنظرة متفحصة اصطدمت بظلام دامس يغمغم محدثًا نفسه:

- صحيح، فتحات التهوية كلها فى الدور الأرضى!! أمال ده إيه!

التفت لفاتن التى وقفت جواره ترنو ببصرها للداخل قائلة:

- فيه تيار هوا خفيف طالع من هنا يا شريف.. إنت تعرف المبنى كويس، الفتحة دى بتودى على فين.

هز رأسه نافيًا فى ريبة تخط الحيرة خطوطها بين ثنايا ملامحه قائلًا:



- معرفش.. لكن إللى أعرفه إن فيه تليفون وقع تحت ما لقيناش له أى أثر.

ثم أقرن قوله بمحاولات مستميته لنزع الشبكة المعدنية من فوق فوهة التهوية عاونته فاتن بالجذب من الطرف الآخر لكن بلا جدوى.

توقف لحظات يعيد ترتيب فكرة لم تكد تختمر فى ذهنه حتى ركض يسابق الزمن تجاه أحد السيارات يجول ببصره داخل حقيبتها وما أن وجد ضالته حتى عاد يقودها إلى فتحة التهوية يثبت بها طرف خطاف متصل بحبل معدنى من داخل حقيبة السيارة فى أحد أقطاب الشبكة المعدنية، عاد سريعًا يقود السيارة وهو يشير لفاتن بالابتعاد، ثم اندفع بالسيارة بضعة أمتار طارت معها الشبكة المعدنية من موضعها إذعانا وطاعة وسط ذرات الحصى المتفتت عن القالب الإسمنتى، ثوانٍ وكان يتطلع عبر الفجوة حيث الأرض تبعد حوالى متران يتفرع من نهايتها فجوة أفقية مازال ينبع منها تيار هواء خفيف يداعب قسمات وجهه المتجهم.

العقارب تلتهم الدقائق فى نهم، لا يمكن أن يتوقف بعد أن بلغ هذا الحد، لم يعد الأمر متعلق بزوجته الراحلة، بل أصبح مصير أبرياء يتناحرون الآن بلا عقل ولا وعى .

- خليكى إنتى يا فاتن، مش عارفين إيه إللى مستنينا تحت

رغم دقة الموقف إلا أنها تبسمت فى إرهاق وفتور تهز رأسها نافية فى إصرار:

- أنا والدى أغتيل على إيدهم.. إحنا بدأنا مع بعض يا شريف وهنكمل مع بعض.

لم يشأ مجادلة من تبسمت فى موقف حالك كهذا، بل لم يملك الوقت لذلك وهم على شفا طقوس ستدفع برحى حرب ميتافيزيقية يعلم الله وحده كم من البشر ستفنى معها.

تبسم بدوره يتأمل عينيها لحظات ثم اعتلى الفوهة وقفز داخلها ثم انحنى يدنو من الفجوة الأفقية يطالعه داخلها الظلام يمنعه من تحديد مدى طولها،

كم تمنى لو كان عزت بجواره الآن يحمل مصباحه الذى طالما أضاء لهم أحلك الأماكن ظلمة ووحشة، شرع فى التقدم يومض عقله بمشاهد البداية يقشعر لها بدنه لكونه يعلم أن العقل دائمًا يتذكر البداية عندما يدنو من النهاية، تقدم زاحفًا على كفيه وركبتيه يستهله الظلام والهواء الرطب ومفاجأة جديدة شعر بها تحت كفيه وركبتيه.. الطريق ليس أفقيا، بل ينحدر تدريجيًا لأسفل على نحو اضطر معه لتثبيت يديه جيدًا على الأرضية أثناء الزحف والرجوع بجسده قليلا للخلف فى وضعية تقيه الانزلاق المباغت، شعر بفاتن تقفز خلفه وتتبعه للداخل زاحفة بدورها تناديه هامسة فقام بطمأنتها وتنبيهها لحقيقة انحدار الطريق.

قطعا مسافة قصيرة فى صمت وسكون لم يجرؤ أحد على انتهاكه سوى حفيف ملابسهم أثناء عملية الزحف المرهقة فوق أرضية صلبة منحدرة تكسوها أتربة ناعمة بدا أنها ضمن نظام تهوية لمكان ما فى الأسفل، كان التنفس جيد على نحو غريب مما قلل من الضغط النفسى ووطأة الظلام، اصطدمت يد شريف بجسم صغير صلب تحسسه فى قلق ثم طرحه جانبًا، هاتف عم منصور، هذا الرجل ماله حلال

- شريف إحنا كده رايحين على فين

نبتت قطرة عرق على جبين شريف تنافس تلك الفكرة التى نبتت داخل عقله:

- كده تقريبًا عدينا حدود المبنى.. واضح إن ده طريق تحت الميدان، والإحتمال الأكبر إننا رايحين وسط الميدان تحت النافورة.

ارتفعت دقات قلب فاتن أكثر وأكثر خوفًا وإعياءًا يقشعر جسدها لفكرة كونها الآن تحت الأرض أسفل نافورة ميدان مصطفى محمود السداسية أكثر الأشكال الهندسية استقطابًا لطاقة الرعى، توقفت لحظة وقد تفاقم ألم ذراعيها مع تلك الوضعية الهابطة التى ازدادت انحدارًا بشكل مقلق لم يعبأ له شريف ولم يلق له اهتمامًا فقط ظل يزحف كما لو كان خلق

خصيصًا للزحف، يموج فى عينيه غضب تصاعد لصدره وروحه وامتلك كيانه، لم يكن يدرى أن الظلام والأماكن الضيقة لها ذلك التأثير الشاحن بالغضب، وجه زوجته يبرز من الظلام.. ما تسيبنيش يا شريف.
عين حسين القانية تتوعده.. علم أنه دنا من حالة هستيريا الأماكن الضيقة المظلمة فقد معها انتباهه وتخلى عنه حرصه، ضربت يديه الفراغ أسفله فاختل معه اتزان جسده بالكامل ندت منه تأوهات مكتومة يحاول التشبث بشيء أى شيء، لكن الأوان كان قد فات.
سقط جسده عبر فراغ رأسى بضعة أمتار للحظات مضت وكأنها الدهر، ثم اصطدم بشبكة معدنية أَنَّت روابطها تحت ثقله لكنها أبت أن تنهار إلا بعد أن استقبلت جسد فاتن التى لم تجد بدورها الوقت الكافى للانتباه للفجوة العمودية فلحقت بشريف يستقر جسدها بجواره لحظة واحدة ثم تداعت الشبكة هابطة بحملها فيما لا يتجاوز الأربعة أمتار إلا أنها كانت كافية ليصطدم كلاهما بأرض رملية صرخت لها كل خلية من خلايا جسدهما.
نهض شريف يحرك كتفه فى ألم ثم مد يده يعاون فاتن على النهوض فى ترنح، انتبه شريف للمكان يتفحص ممر رملى لا يتجاوز عرضه أربعة أمتار امتدت على جانبيه أسرجة مضاءة بنيران تراقص وهجها فوق جدران حجرية غير منتظمة بدا من مظهرها المغبر أنها عتيقة للغاية، خطا شريف فى رهبة وتوجس فوق أرضية الممر الرملية يتفحص الجدران التى وجد سبب عدم انتظامها هو احتشاد العديد من النقوش والرسوم العجيبة فوقها تبين من وسطها نجوم السداسية تتوسط أعين بشرية والعديد من الأشخاص قصار القامة يقدمون شيئًا ما فيما يبدو قرابين لما يشبه التيس تحلق فوقهم بومة، التفت لفاتن التى وقفت بجواره مباشرة هامسة وكأنه يخشى أن تسمعهما النقوش:

- مش ناقص غير إن يكون ده معبد أرنينى ذات نفسه!!

ابتسمت فاتن ابتسامة مريرة تتفقد نقوش الجدار على ضوء اللهب المتراقص تمرر يدها فوق نقوش بارزة أورثتها قشعريرة



- الغريب إن التهوية هنا كويسة جدًا
- الأغرب إن بيتفرع من الممر ممرات تانية كتير

ثم أقرن شريف عبارته بالإشارة لامتداد الممر المضيء نسبيًا حيث ممرات جانبية خطا في حذر تجاه أحدهم تتبعه فاتن وما أن وصلا لبدايته حتى توقف شريف حائرًا مبهوتًا يحك رأسه في حيرة يتطلع لممر آخر نسخة طبق الأصل من الممر الذي يقف بداخله، بقلب متواثب حَثَّ الخُطَا تجاه ممر متفرع تالي فإذا به لا يختلف عن سابقه، والغريب أنه أيضًا يتفرع عنه عدة ممرات أخرى متشابهة.

وقف شريف وفاتن واليأس عاجزين عن النطق وعبر أوصالهم سرت قشعريرة الخوف بعد أن تفتقت عقولهم عن حقيقة أبى أيًا منهما أن يصارح بها الآخر، لقد سقطا في تيه لا بداية له ولا نهاية.. تيه معبد أرنيني.

الفصل (٣٤)

جلس الدكتور عبد القادر يمسك برأسه فى ضياع وحيدًا داخل عيادته يقرأ للمرة العاشرة الفاكس الذى وصل إليه من طبيب صديق له من إنجلترا ردًا على استفساره حول بعض الفحوصات الطبية التى أرسلها له، وها قد جاءه رد عجيب حقًا يفيد أن صاحب تلك التقارير قد تعرض لعملية طبية تدعى (*البزل القَطَنى*-*Lumbar puncture*)(*)

ثم الأكثر عجبًا تأكيده بأن السائل الشوكى لا يحوى أية فيروسات بل إن الأمر أعقد من ذلك بكثير.. شفرات جينية غريبة تتعايش مع الشفرات الجينية التقليدية، لها خواص لم ير مثيلًا لها من قبل، وهى ما أكسبت السائل اللون الأزرق الفاتح.

نبتت فى عقل عبد القادرر فكرة بدت منطقية للغاية مع ما رواه لهم شريف من رؤيته لصديق له فى غرفة المشفى بل وقام بتهديده من دون أن يلحظ أحد دخوله أو خروجه، غمغم فى خفوت:

- تهيؤات كأثر جانبى لعملية بذل قطنى!!، لكن ليه ما قالش إنه عمل العملية دى!!

وإيه حكاية الشفرات الجينية الغريبة دى!!

مط شفتيه فى حيرة ثم استدرك يتمتم بصوت هامس مشدوهًا..

- هل ممكن يكون اتــ ....

بتر عبد القادر أفكاره عند ذلك الحد عندما شعر بحركة خافتة فى مكتبه

(*) عملية طبية يتم فيها غرس محقن دقيق للغاية يخترق الأنسجة بين فقرات أسفل الظهر ثم يغوص داخل سائل (النخاع الشوكى) و يتم سحب مليمترات منه للفحص وإجراء التحاليل الطبية المتعلقة بالمخ والشفرات الجينية والوراثية الخاصة بالمريض

لها آثار جانبية وأخطار متفاوتة نتيجة لنقص سائل النخاع حول الحبل الشوكى تختلف من شخص لآخر وأهمها.. شرود ونقص فى القدرات العقلية لفترة وجيزة مع دوار عنيف وقىء وقد يصل الأمر فى بعض الحالات لتهيؤات وهذيان.

تذكر معها أنه ترك باب العيادة الخارجى مفتوحًا، خفض ورقة التقرير من أمام عينيه لتصطدم نظرته بأعين قانية على بعد مليمترات من وجهه وفم فاغر بابتسامة شيطانية تلوثه الدماء، انتفض عبد القادر يتراجع بالكرسى بغتة مما تسبب فى انقلابه للخلف قبل أن تصطدم رأسه بالأرض فى عنفٍ مادت معها به الأرض واهتزت الرؤيا لحظات كانت كافية ليرى بأعين نصف مغلقة عدة أشخاص يحتشدون فوقه يقربوا منه سكينًا ضخمًا احتشدت فوق نصله دماء قديمة متحجرة مازجتها دماء طازجة كانت آخر ما رأته أعينه قبل أن يغلف رأسه ظلام تام.. وأبدى.

***

محاكاة كاملة لمعبد أرنينى لدرجة إنهم ما نسيوش المتاهة إللى الملك جلجامش بناها تحت المعبد وحبس فيها الثور المقدس من آلاف السنين.

همس شريف بهذه العبارة داخل أحد أنفاق تيه مبعد أرنينى التى تطبق جدرانه الصخرية على أنفاسهم وسط السكون التام وضوء النيران يتراقص لهيبها فوق صفحة وجوههم المرهقة تتلاعب بملامحهم فتثير الخيال والوجل، تلفتت فاتن ترنو ببصرها عبر الأنفاق المتاشبهة والمتشابكة تغمغم:

- عبارة الجمالى تكملتها إيه!!
- عبارة الجمالى خلصت، وأسطورة معبد أرنينى بتقول إن الثور ما قدرش يخرج ومات فى المتاهة.

امتقع وجهها للحقيقة التى تعلمها جيدًا لكن سماعها فى تلك الأجواء له وقع مقبض، وقع مدمر للأعصاب والآمال، حاولت التركيز من جديد لكن أبى عقلها أن يطاوعها فبات ثقيلًا مخدرًا.

رغم أن التهوية جيدة إلا أن شريف شعر بأنفاسه تضيق وجدران النفق تطبق على صدره تعتصر آماله وقدرته على التفكير كلما شرع يتقدم خطوة نحو أحد الأنفاق وجدها محاولة ليست ذات جدوى فيتوقف من جديد مفكرًا.. أبسط الحلول دائمًا هى ما تجدى نفعًا.. بعض ألعاب المتاهة فوق الورق كانت تستلزم استعمال بعض الحبل لحلها

تذكر قاعدة شهيرة كان يتحايل بها على لغز المتاهة.. كانت تفلح على الورق.

قاعدة رياضية فيزيائية شهيرة يتم التمثيل فيها بأصابع اليد اليمنى (الإبهام يتجه لأعلى والسبابة يتجه للأمام والوسطى يتجه جهة اليسار) حيث كل إصبع يوضح اتجاه كل عنصر من العناصر الفيزيائية القوة والمجال الكهربى والمجال المغناطيسى.

- هنطبق قاعدة (فيليمنج لليد اليمنى)*

تطلعت إليه فاتن فى دهشة وحيرة وكأنها تشاهد مخبولًا:

- قاعدة فيلمنج إزاى هنا يا شريف!!
- طريقة للتحايل على لغز لعبة المتاهات وحلها بسهولة وتعتبر من تطبيقات قاعدة فيلمنج، استخدمتها كتيرعلى الورق زمان لما كنت بحل اللغز لكن أول مرة هستخدمها وأنا داخل المتاهة بنفسى.

أردف مكملًا وهو يشير لليمين، هتكون البداية من جدار اليمين آخر جدار فى المتاهة ومن هناك هنمشى جنب السور واحنا باصين فى اتجاه واحد بس هو الشمال.. بكده مش هنلف حوالين نفسنا جوه المتاهة و غالبًا بوابة الخروج بتكون فى الجدار ده، نفس حالة لاعب كرة القدم فى مركز

(*) قاعدة فيزيائية يتم الاسترشاد بها لمعرفة اتجاه الفيض المغناطيسى أو اتجاه التيار، فعندما تكون الحركة لأعلى ويمثلها إصبع الإبهام ويكون اتجاه التيار الكهربائى للأمام ويمثله أصبع السبابة فإننا نستنتج أن اتجاه الفيض المغناطيسى هو اتجاه الإصبع الوسطى أى جهة اليسار والعكس صحيح.

الظهير الأيمن لو فرضنا إن مستطيل الملعب هو حدود المتاهة اللاعب بيجرى جنب الخط ولو حب يخرج بيكون عن طريق عبور الخط ده، وفى نفس الوقت ما بيشتتش انتباهه وسط الملعب أو وسط المتاهة فى حالتنا، يعنى باختصار الخروج يمين والهدف شمال.

أومأت فاتن برأسها فى اقتناع يشوبه توجس حاولت طرحه والمضى قدمًا خلف شريف الذى أقرن عبارته بالتنفيذ المباشر شرعا معًا يسيران فى خطوات وئيدة تجاه جدار أقصى اليمين سارا فى محاذاته قليلًا ثم توقفت فاتن بغتة تعود أدراجها خطوة للوراء هاتفة:

- شريف بص!.. الهدف!

توقف شريف يتطلع ببصره يسارًا من بين ثنايا و دروب المتاهة حيث تشير فاتن، مقطبًا يدقق النظر لتشكيل صخرى يشبه الكرسى الضخم أو عرش بلا أرجل قُدَّ من صخر ممتد مخدعه لسقف المتاهة وكأنه معلق فى الهواء يترقرق أسفله مغطس من الماء الشفاف للغاية، شحذت لرؤيته حواسهم، اقتربوا منه فى حذر يدوروا حوله حتى بلغا واجهة العرش الخاوى إلا من أنبوب زجاجى فى حجم كف اليد ينغرس داخل تجويف مسند العرش عند موضع عنق من يجلس فوقه يبرز منها إبرة حادة فيما يبدو أنها وسيلة ضخ ذلك السائل الكامن داخلها، لم يتبينا كنهه تحديدًا لكن المشهد أثار فى نفسه فكرة مقبضة انفرجت لها شفتيه هامسًا:

- عرش فوق المية!! عرش الخالق كان فوق الميه قبل خلق البشرية وبعدها بقى فى السما.
- لكن غرور الشيطان خلاه يعمل لنفسه عرش فوق الميه باعتباره إله مماثل. *حقيقة

أومأ شريف برأسه فى إيجاب تصديقًا على تكملة فاتن لمعلومة اشمأز لها قلبه، خطا فى حذر يدنو بجسده من بركة المياه المحيطة بالعرش يبصر قاعها الذى لا يتعدى عمقه النصف متر مما حثه على مد إحدى قدميه فى تردد يغوص بها داخل مياه باردة تخللت حذاؤه وساقيه فاقشعر لها بدنه

حتى بلغ القاع ثم غمر الثانية وسار فى بطء يدقق النظر لموضع قدميه حيث الصخور الزلقة تحت حذاءه ثم يرنو ببصره لأعلى يبصر مخدع العرش وقد امتد لأعلى يخترق سقف التيه عبر فجوة أنبوبية ضيقة مظلمة أثارت فى عقله الهواجس والخيال والتساؤل إلام تؤدى يا ترى!!، عاد ببصره للأنبوب وبأصابع مترددة انتزعها من مكمنها وبساقين مبللين عاد أدراجه مع ما يجهل كنهه، التقطتها فاتن من يده تتفحصها فى توجس لم يضف سوى مزيد من التساؤلات التى احتشدت بلا إجابة:

- إيه السائل الغريب ده، ولو هو مهم فى الطقوس إزاى يسيبوه من غير حراسة.

قلق مفاجئ انتاب شريف جعله يقول.. محتاجين نعرّف حد إننا هنا.. ثم أقرن عبارته بنظرة سريعة لشاشة هاتفه المحمول الخاوية من أى إشارة إرسال يزم شفتيه ويهز رأسه فى أسف:

- مفيش شبكة، التليفون هنا مالوش أى لازمة.

انفجر الهاتف بغتة فى يد شريف وكأنه يعترض على إهانة بالغة تعرضت لها كرامة دوائره اللاسلكية فقرر الانتحار منفجرًا، تطلع شريف لأشلاء الهاتف المتناثرة بدهشة لم تكتمل عندما مر بينه وبين فاتن أزيز مكتوم ارتطم بالجدار اليمين خلفهم، فى الوقت الذى هتفت فاتن مذعورة تشير لأحد الممرات هاتفة: الحراس

التفت لأحد الممرات حيث تشير فاتن فإذا بأحد الحراس يتقدم إليهم راكضًا على بعد خمسين متر تقريبًا يرتدى سترة سوداء ويضع سماعة أذن يتلقى عبرها التعليمات، لكن الأهم هو ذلك السلاح النارى الموجة صوبهم يتميز بفوهة ضخمة تشى بإضافة كاتم للصوت يشرع فى إطلاق رصاصة ثالثة عبره لكن هذه المرة عن قرب بدقة تصويب أعلى .

أفاق شريف من المفاجأة فقبض على ذراع فاتن يجذبها بقوة انتزعتها من ذهولها كادت معها أن تسقط الأنبوب الزجاجى تلحق به خلف أحد جدران أنفاق التيه تغوص فى موضعهم داخل الجدار رصاصة رغم كونها



صادرة عن سلاح مزود بكاتم للصوت إلا أنها وسط السكون كان لها أزيز مدوى ركض له شريف وفاتن فى تخبط عبر الأنفاق كادا معها أن يفقدا جدار اليمين لولا أن هتف شريف يجذبها للعودة للمسار لاهثًا:

- لو دخلنا جوه المتاهه مش هنطلع منها.

لم يكن لدى فاتن أى نية فى النقاش فقط عادت تركض جواره تجاه جدار اليمين متبعين قاعدة فيلمنج قدر المستطاع ومن خلفهم ذلك الحارس يتحدث على الجانب الآخر عبر سماعة الأذن بكلمات أجنبية لم يحتاجا معامل أنيس عبيد ليعرفا أنها تأكيد العميل على تنفيذ أوامر بتصفية كل ذبابة تجوب الممرات، دارا حول الحواجز التى تحجب عنهم جدار اليمين عبر الممرات المتشابكة يصل لأسماعهم صوت عميل آخر انضم للأول يتفقا فيما يبدو على تطويقهم، بصوت متقطع لاهث قال شريف وهو يتناول الأنبوب من يدها:

- واضح إنهم اتفاجأو بينا.. أولويتهم القصوى يرجع الأنبوب حتى لو قتلنا.. علشان كده.. ثم أقرن قوله بإلقاءها بقوه تجاه الجدار الصخرى لأحد الممرات تحطم على إثرها زجاج الأنبوب وتناثرت قطرات السائل اللزج على الجدار ينساب أرضا مختلطًا بالرمال.

تطلعا إليه لحظات وقلبهما يتواثب متمنيًا أن يكون ذلك هو نهاية المطاف، لكن وقع أقدام الحارسين أيقظهما من الأمنيات والأحلام، شبحان متشحان بالسواد انقضا راكضين مع اختلاف طفيف هو أنهما.. أغمدا سلاحيهما، تفسير ذلك التطور كان آخر اهتمامات شريف.. فقط جذب فاتن وركضا بمحاذاة جدار اليمين باعتبارة يضم بوابة الهروب خارج المتاهة، بوابة الهروب!! علقت العبارة فى عقل شريف فى اللحظة التى تعلقت فيها عينيه على نقش فوق جدار اليمين، نقش مألوف لم يمر إلا القليل على رؤيته فوق شاشة هاتف فاتن، نفس الخطوط التى كانت تمثل الشوارع حول ميدان مصطفى محمود وهى ترتسم لتصنع بوابة دائرية القمة.

جذب شريف فاتن من ذراعها بغتة مشيرًا للنقوش داخل ممر مغلق هرعا إليه مراهنين بكل ما يملكوا على كون النحت هو بوابة هروب، قاعدة فيلمنج والظهير الأيمن للاعب كرة القدم، تؤكد ذلك..الهدف إلى يسارك والهروب عن يمينك.
آخر أمل
أقرن عبارته بدفعة من راحتيه لتلك البوابة المحفورة بعمق فوق جدار اليمين أملًا فى أن تستجيب له إلا أن الإجابة جاءت على هيئة ردة فعل عنيفة من جدار مصمت أوقف جسده المندفع تعلن خطأ تقديرهم للأمر وعلى بعد خطوة واحدة منه انهارت معنويات فاتن تدور بعينيها فى نقوش البوابة بعقل مشتعل تمسح بيدها فوقها تلهب عقلها بحثًا عن طريقة لفتحها تتابع شريف يحاول عبثًا أن يضغط العين فى منتصف البوابة دون جدوى، كانت محاولتين أو ثلاثة أهدرا خلالهم وقتًا ثمينًا عندما مر أزيز رصاصة مكتومة عن يمينه شاهد أثره فى رمال متساقطة من الجدار،التفتا معًا لتصطدم أعينهم بالحارسين مصوبين أسلحتهم لصدورهم.

***

التصقت فاتن بالجدار الصخرى تنشد احتواءه تقبض على ذراع شريف الذى سرى خدر فى جسده وانقبضت عضلات صدره تأهبًا لتلقى رصاصة صامتة تنهى عذابه، ملكى الموت يواصلان التقدم بخطوات حذرة محافظين على فوهات أسلحتهم متأهبة، أحد الحراس يمس سماعة أذن بسبابته يؤكد تمام السيطرة على الدخلاء، ثم طلب ممن على الجانب الآخر أن يسمح لهم بالعبور، مرت لحظة صمت كأنها الدهر والحارسان يطويان المسافة بينهما أكثر وأكثر فى حذر إلى أن ندت تكة خافتة خلف شريف وفاتن جعلتهما يبتعدا عن الجدار ويلتفتا لنقوش البوابة يتابعاها تنفصل عن الجدار بالفعل وتنزاح جانبًا تتداخل مع الجدار الجانبى كاشفة

عن قاعة جهنمية الإضاءة تفوح منها رائحة خطايا البشر، وقفا على أعتابها فى ذهول يدورا بأعين متسعة فى أرجاءها حتى اتضحت بعض معالمها من الأرضية المكسوة بالرخام الأسود مع أضواء حمراء كئيبة تجهل مصدرها، مقبضة تستنفر الأعصاب وتثيرها.

تجاوزا أعتاب الكابوس المجسم بدفعة من سلاح الحراس المنسيين كمن يساقوا للجحيم يرافقهم زبانيته، ضاقت صدورهم واقشعرت جلودهم بينما أبصارهم ترصد ظلال شبحية تتوارى هيئتها وملامحها خلف ضوء دموى شحيح تقف ساكنة فى أماكن متفرقة من القاعة فى صمت لم يمزقه سوى حفيف انغلاق بوابة المتاهة خلفهم انتفضا له وغاصت قلوبهم فى مستنقع خوف يحوم فوقه الذباب، دارت أعينهم على الظلال المتوارية فى صمت تتلاعب الشياطين بعقولهم مرسلة تخيلات وفروض مخيفة لم يجرؤ أحدهم على البوح بها، التفتا معًا لأحد الأشباح وقد انفصل عمن حوله يخطو تجاههم بخطوات وئيدة دخل معها تدريجيًا دائرة الضوء النابع من مصابيح قانية شيطانية حتى بدت لهم ملامحه على بعد أمتار بوجه قانى تحت تأثير الأضواء وأعين احتدم الغضب فى مقلتيها تحرقهم بنظرة غل وغيظ، للحظات دقق شريف النظر لذلك الشخص ثم لاحت داخل عينيه آيات ذهول ذاب وتحول تدريجيًا لنظرة حقد وغضب يضغط على حروف كلماته بصوت كالفحيح:

- مستر فرانكلين.
- جيت هنا إزاى يا شريف، ثم التفت لفاتن مكملًا، إنت وبنت الدكتور نجيب!!

أوجست فاتن خيفة، ذلك المريد يعرفها ويعرف والدها!! ابتسم شريف ابتسامة هازئة مريرة يجيبه فى تهكم مرتبك:

إللى يسأل ما يتوهش مستر فرانكلين، ولا جينا عطلناكو عن طقوس فتح بوابة شياطينكم



صمت فرانكلين لحظات يتطلع لوجه شريف ثم انفجر بغتة يقهقه فى هيستريا كالمخبول ثم هدأ بغتة كما بدأ يقول فى شماتة أثارت الرعب فى قلوبهم..

- وانت بقى جاى تمنع فتح البوابة!! البوابة مفتوحة من أسبوع يا شريف.

ثم غمز بعينيه مضيفًا: من قبل محاضرة الفورسيزونز إللى كنت بشرحهالكم، ولا إنت ما خدتش بالك من حالات العنف المنتشرة بره... بالمناسبة ظهرك عامل إيه دلوقتى!!

بهت فاتن وشريف وعجزت ألسنتهم عن النطق وغاب عنهم ما حولهم بعد أن تصاعدت لحلوقهم مرارة فشل وكمد بَثَّ فى صدورهم ضيق وهزيمة ولوعة, البوابة مفتوحة من أسبوع!! الآن فقط بدا الكلام منطقيًا يتفق مع ما يحدث فى الشوارع الآن من هوس وجنون شاهدوه بأعينهم وكادت أن تفتك بهم ضحاياه تصوروا وقتها أنها حالات عارضة.

مخطط ملعون لعنة إبليس نفسه تتدفق معه شياطين تتلف العقول وتعمى القلوب.. وتعيد التاريخ، لكن ما علاقة محاضرات الفورسيزونز!! سبح عقل شريف فى بحر مظلم عبثت برأسه التخيلات والأوهام.

- إنت دورك كان انتهى يا شريف من بعد المحاضرات.. بس إنت إللى ورطت نفسك تانى.

تابع فرانكلين بفخر شيطان فرق زوجين، مشيرًا لأحد الأركان ذات الإضاءة الشحيحة لشخص بدا أطول من اللازم متشح بالسواد التام وكأنه بلا وجه، يغرق فى الظلام وكأنه ثقب أسود يمتص الضوء والهواء والحياة، ساكنًا كئيبًا كالقبور، يقصده فرانكلين فى معرض حديثه مكملًا:

- إلاهنا ومخلصنا إللى تولى رعايتك.. شيطان الدموية (بامفويت) قائد لجيوش الشياطين.. المفترض إنه يكون بيتم تنصيبه دلوقتى بالسائل، لكن بفضولك الغريب قدرت توصل



لهنا بطريقة ماعرفهاش وما يهمنيش أعرفها.. واتلتف وسيلة طقوس التنصيب.

الشيطان بامفويت!.. أسطورة أرنينى!.. ومضت فى عقل شريف كلمات كان قد حسبها دربًا من خيال حضارة مندثرة جسدها البشر، ذلك الشيطان اللعين حقيقى يتجسد بالفعل بين البشر يأمرهم وينهاهم يذعنون لأوامره ويشكروا له والغريب أنهم ينوون تنصيبه ملكًا فوق أعناقهم

بدا شريف مأخوذًا يردد فى دهشة بالغة:

- تولى رعايتى!!.. دور إيه إللى بتتكلم عنه يا فرانكلين، ثم أضاف فى حذر.. وليه حراسك ما قتلوناش بره!

- إزاى يا صديقى إنت بعد ما أتلفت السائل.. بقيت غالى أوى عندنا.

وجم شريف وزاغت عينيه تلوح فى آفاق مخيلته حقيقة بدت شاحبة واهنة تداعت لها مشاهد منذ بضعة أيام خلت.. محاضرة الفورسيزيونز وما صاحبها من تهيؤات ورؤى غريبة ومرض مفاجئ، الأمور ليست كما يراها وليست كما تبدو!

التفت لفاتن فى تساؤل من شارف على البكاء يستجدى منها نظرة اطمئنان لكنه اصطدم بعينين دامعتين ووجه احتقن كمدًا وحسرة وأنامل أخفت شفتيها تأبى عليهما أن ينفرجا بصرخة ذهول تتراجع عنه بخطوات واهنة مترددة وفى عقلها تومض عشرات الأفكار التى تجلت لها الآن منطقية قاسية تفطر قلبها ومن بينها يتسلل صوت السنباطى بمكالمته لها عند القباب

(يا فاتن يا بنتى والدك الدكتور نجيب الله يرحمه كان قايلى إنه متابع شخص وشاكك إن له يد فى المؤامرة إللى بتتعمل، هو ما قاليش مين الشخص ده لكن شريف إللى إتعرفتى عليه هو الوحيد إللى أشار إليه نجيب قبل ما يموت بأيام.. خلى بالك يا بنتى)

ثم ومضات من مشاهد جديدة تسطع وتخبر وكأنها نجم تنبض فى سماء عقلها الغائم، كانت وقتها أمور عادية لا تسمو لمرتبة الشك ولا تهبط لحد الأمور التقليدية، فقط ظلت عالقة بين ثنايا عقلها مؤجلة أبت أن تجد لها تفسيرًا قد لايصادف هوى فى قلبها:

- والدها يأتى بذكر شريف، وشريف ينكر أى معرفة بينهما
- شريف يدرك ببصره كيان شيطانى فى شقة السنباطى يؤذيها بينما هى لا تدركه ببصرها
- تأكد لديها أن حجر الضياء يتوهج إذ وجد كيان شيطانى بالقرب منه.. شريف داخل مشهد الجيوشى كلما يقترب من المنارة كلما ازدادت ومضات الحجر
- شريف ينزل من منارة الجيوشى مترنحًا من أثر ومضات الحجر الذى أحرق كف يده بينما هى تحمله عنه ببساطة دون أى أذى يصيبها.
- الحجر يظل متوهج رغم خروجهم من منطقة الجيوشى فقط لأن شريف ظل بجواره
- ذلك المدعو فرانكلين يتحدث لشريف وكأن بينهما سابق معرفة ويصف شيطان الدموية بأنه من قام برعاية شريف.

ضاقت القاعة على شريف فلم يعد يرى سوى أعين فاتن الدامعة يناشدها بنظرات صادقة متضرعة تكذيب كل هؤلاء لكنها تراجعت خطوة أخرى تهز رأسها فى ذهول نافية ما استقر عليه عقلها.

التفت شريف لفرانكلين فاصطدم بابتسامة تراقصت على قسمات وجهه أعطتها الإضاءة الدامية طابع شيطانى مخيف وهو يقول له فى خبث:

إنت لسه ما فهمتش يا شريف!!

***

فرانكلين.. جهز عينة جديدة.
داخل القاعة الكابوسية نطقها أحد الأشباح الذى لم يكن سوى الماستر برداءه الأسود الطويل المطرز بخيوط ذهبية يتقدم لدائرة الضوء الجهنمية تسقط أشعتها فوق قسمات وتجاعيد وجهه المتغضن راسمًا لوحة شيطان مريد خرج للتو من حمام دافئ فى الجحيم خبت معها نيران الحقد المتأججة فى أعين فرانكلين الزرقاء يحنى رأسه إذعانًا وخضوعًا بعد أن انتبه لثورته غير اللائقة فى حضرة ذلك الجمع من الكهنة من شتى دول العالم جاءوا ليعلنوا ولائهم للشيطان ويشهدوا تنصيبه.
أشار فرانكلين للحارسين فى جدية دفعا لها شريف وفاتن الغائبة عقولهم تجاة باب لغرفة جانبية صغيرة خاوية إلا من تابوت معدنى فضى اللون يتوسط أرضيتها الرملية
تبعهم فرانكلين داخل الغرفة دنا من التابوت المتصل به أنابيب رفيعة رفع الغطاء يتفقده جيدًا يؤكد على صلاحية محقن رفيع للغاية يكمن بين ثنايا الصندوق يخرج إلكترونًا من مكمنه وينغرس بين فقرات القطنية عند حالة ذهنية معينة يجب أن يصل إليها المسجى داخل الصندوق أعادت لفرانكلين ذكرى أيام قليلة خلت داخل قاعة مجاورة لقاعة المحاضرات تحمل رقم ٩.. دون أن يلتفت إليه ردد فى سخرية:

- جاهز يا بطل!.

إثر كلمته تلقى فاتن وشريف ضربات احترافية على مؤخرة أعناقهم من الحارسين افقدتهما الوعى، أشار فرانكلين لأحد الحراس فحمل جسد شريف وألقاه داخل التابوت بينما أسجى الآخر جسد فاتن بجواره بعد أن



قام بتقييد يديها بشريط بلاستيك، عدّل فرانكلين من وضعية رأس شريف داخل النعش الإلكترونى، أغلق التابوت بغطاء انزلق فى سلاسة مع كوة زجاجية تسمح برؤية وجه شريف، ثم بدأ سائل لزج يملأ التابوت عبر أنابيب دقيقة على نحو طفا له جسد شريف حتى لامس الغطاء من الداخل بعد ان احتشد السائل ليغطى فمه وأنفه على نحو أفاق له يشهق ويغرغر ويبصق السائل يشهق من آخر سنتميترات تفصل راسه عن غطاء التابوت، حتى امتلأ بالكامل فحبس أنفاسه تلقائيًا وراح يركل ويدفع الصندوق فى هلع وهستريا حتى استحوذ عليه اليأس وملأه يقين بموت محقق فهدأ وسكن وراح يرمق فرانكلين من داخل السائل عبر الكوة الزجاجية فى حقد مازجه وهن دام للحظات حتى تلاشت مقاومته.. لم يكن يعلم أن الموت بهذه السهولة.. هكذا فقد دينا أقرب البشر لقلبه، تشنج جسده وانتفض عدة مرات اعتراضًا على سائل امتلأت به حجيرات رئوية لا تتعامل سوى مع الهواء، اعترضت واعترضت حتى يأست وخضعت، وقتها تراخى واستكان سكون الموتى يعلق جسده وسط السائل دون الغوص فى القاع أو اكتمال الطفو.



الفصل (٣٥)

ما أن هبط مصعد مبنى منيرفا للطابق الأرضى حتى اندفع عزت خارجه فى قلق يهبط السلم المؤدى للمرآب بعد أن فشلت جميع محاولاته فى الاتصال بهاتف شريف، وفى الأسفل دار بعينيه سريعًا تطالعه سيارتان متجاورتان وثالثة فى ركن آخر، تحجب فتحة التيه عن عينه، قفز فوق درجات السلم عائدًا لساحة الطابق الأرضى ثم خرج عبر البوابة يتطلع للميدان الذى علقت ذرات الرمال فى أجواءه الكئيبة يبحث عن شريف وفاتن ببصره بلا جدوى.

شرع يعود أدراجه لولا أن بلغه صوت سيارة مسرعه توقفت بجوار سيارتهما وسط الميدان ثم خرج منها شخصان يتفحصا السيارتين، دار أحدهم ببصره ثم توقف فيما يبدو أنه ينظر إليه عندما أشار للآخر وتوجها نحوه.

شعر عزت بريبة وقلق بالغ عاد على إثرها أدراجه للداخل دون أن تفارق عينيه ذلك الشاب الراكض نحوه، خاصة بعد أن رصد سلاح نارى فى حزامه، أثار مزيدًا من القلق لديه ودفعه لحث الخطا للداخل مرة أخرى لولا أن أدركه الشاب فى منتصف مدخل البناية يصوب تجاهه السلاح النارى.

توقف عزت ينقل بصره بين الشاب والكهل الآتى خلفه فى قلق بالغ يتابع تقدم الشاب ولهجته الجافة:

- كام واحد معاك هنا، وبتعملوا إيه بالضبط.

بدر إلى ذهن عزت كونهم أحد القائمين بالطقوس فقال متلعثمًا:

- أنا شغال محاسب هنا، وعندنا شغل بنخلصه.

لاقت عبارته مزيدًا من نظرات الشك والريبة والشاب يزداد تحفزًا يصوب سلاحه لصدر عزت مستطردًا:

- ما تلفش وتدور، الطقوس إللى بتعملوها هنا فين بالظبط.



قطب عزت جبينه مفكرًا وقلبه يخطره بوجود خطأ ما، إنهم يبحثوا أيضًا عن القائمين على الطقوس، تابع ببصره ذلك الكهل وهو يقترب منه يرمقه بنظرة متفحصة يسأله:

- إنت شريف!!

- أنا عزت صاحبه.. إنت تعرفه منين

تراخت قسمات الكهل المتغضنة فى ارتياح يشير للنقيب عمرو ليخفض سلاحه قائلًا:

- دول معانا يا سيادة النقيب.. ثم التفت لعزت مضيفًا.. أنا دكتور إبراهيم السنباطى يا ابنى.

شعر عزت بارتياح غامر، من يقوم بتوجيههم ومدهم بسيل من المعلومات طوال الوقت معه الآن وجهًا لوجه.

- فين شريف صاحبك وفاتن يا ابنى

مط عزت شفتيه قائلًا:

- توصلنا إن الطقوس هتتم فى المبنى هنا واتفقنا نتفرق علشان نقدر نفتشه أسرع، ودلوقتى مش لاقيهم، ثم استطرد مضيفًا:

- لكن ما تقلقش على فاتن.. شريف موجود معاها.

فض السنباطى أمام عزت صورة مطبوعة بالأبيض والأسود يتطلع لعزت بأعين منهكة تشع غموض وخبرة الدهر قائلًا:

وإنت فاكر إنك كده بتطمننى؟!!

***

لم تصادف الصورة المطبوعة التى فضها السنباطى أمام عزت أى صدى لديه، فقط تلاقى حاجبيه مدققًا النظر لصورة بدت وكأنها مطبوعة من جريدة قديمة لعدة شباب يتوسطهم كهل يبدو عليه مخايل السلطة، لاحظ



السنباطى حيرة عزت فأشار لأحد الأشخاص بعينه دون تعليق، دقق عزت النظر أكثر للحظة ثم تساءل بحذر:

- ده شريف!! .. طب إيه المشكلة!!

تنهد السنباطى يغالب توتر يمازجه شيء من الأسف مشيرًا لأعلى الصورة قائلًا:

- المشكلة هنا يا أستاذ عزت.. فى تاريخ الصورة

امتقع وجه عزت عندما طالعه تاريخ الجريدة وبالتالى تاريخ التقاط الصورة والذى يشير لعام ١٩٥٤م، وأسفلها كتب سطر باللغة الأوردية ترجمه له السنباطى:

- الزعيم الإيرانى وسط شباب الكشافة.

رفع عزت عن الصورة عينين تزاحمت فى مقلتيها علامات الاستفهام يبحث فى عينى السنباطى عن إجابة لأيهم، خفض السنباطى رأسه يطوى الصورة ويعيدها لجيبه قائلًا:

- نجيب الله يرحمه والد فاتن كان شاكك فى حاجة تخص شريف، ثم استطرد مضيفًا، تسمع عن نظرية (تناسخ الأرواح)!!
- تناسخ الأرواح!!.. أعتقد إنى قريت مرة إنها نظرية بتفترض إن كل واحد فينا عاش كل العصور والأزمان إللى فاتت لكن بشخصيات وهيئات مختلفة كل شخصية بتنسى إللى قبلها!!

ابتسم السنباطى لمعلومات عزت لكنه ظل يحدق فى عينيه بنظرة غامضة ثم انفرجت شفتيه قائلًا:

فعلًا دى نظرية تناسخ الأرواح بمفهومها التقليدى، وعلى فكرة هى غلط ومخالفة للشرع والدين ومجرد تكهنات مالهاش أى أصل علمى.. لكن أنا أقصد هنا شيء مختلف.. شيء مفتعل.



الفصل (٣٦)

كان ما حدث شيئًا لا يمكن وصفه، كل قواميس الكلمات لم يسعفه في وصف ما يراه ويشعر به، وكأن عقله يطوف في هاوية لا قرار لها، وعيًا صافيًا بلا جسد يعبر أطياف وأخيلة في خفة وشفافيه الروح نفسها، محلقًا في فراغ الكون الشاسع تتداعى بخلده أفكار لا حصر لها بين مفاتن الماضي وسحر الحاضر وآمال المستقبل

لم يكن للزمن معها حساب ولا وجود، تبخر العالم المادى الفيزيائى كاشفًا النقاب عن عالم شاسع مخيف، تيه تضل فيه الحواس، ثم بحار وأودية أسفل سماء غبراء أماكن عتيقة أشخاص بالمئات تزرع الأرض ذهابًا وإيابًا تتداخل أجسادهم على نحو عجيب لا يمكن وصفه سوى برسومات فوق ألواح من الزجاج الشفاف وضع فوق بعضه، كل شخص ومكان يشف عما أسفله وكما تختلط الصور تختلط الأصوات وتتمازج على نحو صاخب لكن الغريب أنه يستطيع تمييزها جميعًا وتبين كلماتها بوضوح مخيف، كل صوت يعرفه.. كل حديث عاصره يومًا ما في الماضي لا يدرى متى ولا كيف كل شيء كان واضحًا كل مشهد له وقع مألوف في نفسه، بدأ من وسط تلك الأصوات صوت صاخب يتسرب تدريجيًا للمشهد يطغى على كل شيء تذوب معه الرؤية تذعن له الأصوات خشية وخيفة يتصاعد تدريجيًا إلى عقله وروحه يملأ كيانه حتى كان له الغلبة من بين الأصوات مصحوبًا بهزات عنيفة لم يدر لها مصدرًا، تصاعد الوعى لرأسه حتى بلغ الذروة التى دفعته لفتح عينيه بغتة يشهق وكأنه غريق أعيد إحياؤه، فتح عينيه ببطء فثقبت أشعة الشمس عينيه كسوس في عصب ضرس محفور تتسلل عبر نافذة تمر عبرها المشاهد متسارعة وضع لها يده فوق جبينه يقى عينين اعتادتا الظلام، يدور بعينيه فيما حوله فاغرًا فاه يطالع عربة قطار عتيق للغاية يجلس داخله ومن حوله بضعة أشخاص ما بين نائم وبين شارد.

- شكلك كنت تعبان أوى يا (مراد) ده إحنا قربنا نوصل البلد

انتبه للمرة الأولى لوجود تلك المرأة تجلس على المقعد المقابل لمقعده تقول هذه العبارة فى هدوء وشفقة.

ظل فاغرًا فاه يتطلع إليها فى بلاهة ثم ازدرد لعابه قائلًا بصوت متردد متلعثم:

- مراد مين!! أنا ما اسميش مراد، وإنتى مين وإيه إللى جابنى هنا، فين فاتن وعزت.
- اسم الله عليك يا خويا، مين دول؟!

دار بعينين متسعتين من فرط الذهول يطالع أشخاصًا ترتدى ملابس عتيقة للغاية وطرابيش حمراء، هو نفسه كان يرتدى واحدًا، أعاد بصره لتلك المرأة يزدرد لعابه يرطب حلقه الذى يبس قائلًا:

- إحنا فى سنة كام

ضربت صدرها بكف يدها تشهق فى لوعة:

- ١٩٠٥م يا مراد، ثم أضافت، معلش هى الحاجة المبروكة قالتلنا ممكن تحصل شوية حاجات كده، بس هتعدى على خير وهنجيب العيل إللى نفسنا فيه يا مراد.

راوده شعور غريب مزيج من تذكر كل تلك التفاصيل مع يقين يعربد فى رأسه بأنها ليست حياته ولا عالمه هو فقط يراها بعينى شخص آخر بعينى صاحبها الذى عاشها يومًا، مع قوة كاسحة تدفعه ليعيش الأحداث الجارية ويتفاعل معها، قوة أجبرته على أن يهز رأسه موافقًا على ما روته له نهاد زوجته ويضع يده على كتفها فى حنان ويهمس لها فى ود أثار دهشته شخصيًا:

- هنخلف يا نهاد أنا متأكد من كده.

كان واضحًا أنه لا يملك أى اختيار فى سلك سبل مغايرة فى تلك الحياة العجيبة، كان مسلوب الإرادة يعيشها كما حدث يومًا مع شخص يدعى مراد.. من هو!!، لا يعرفه ولم يسمع اسمه من قبل.. شيئًا ما فى ذلك



التابوت اللعين سحب عقله وأطلقه فى جولة عبر أطياف الماضى يستعيد بها ذاكرة محجوبة، لكن بقى التساؤل قائم.. من هذا المدعو مراد يا ترى!! وقف يومًا يتطلع لوجهه فى المرآة يدقق النظر فى تلك الملامح الغريبة عنه عله يتذكر من هو مراد لم تنجح جميع تكهناته فى إرضاء فضوله مما جعله يسترخى وينتظر ويتعايش مع زوجته التى لاحظ بعد وصولهما لمدينتهم فى صعيد مصر أنها تتحول تدريجيًا لمسخ غريب الأطوار يتحشرج صوتها بين الفينة والأخرى يراها أحيانًا فى مرآة منزلهم بوجه شيطان، وفى ليلة أخرى تنام ملتصقة بسقف الغرفة فوق رأسه، كان متوجسًا منها خيفة لا يملك أمامها أى رفاهية للاعتراض حتى عندما قررت ذات يوم الإفصاح عن ماهيتها، أخبرته بصوت مغاير أن تلك المشعوذة ألبستها بزوجته ولكنها أحبته فاستحوذت عليها لتمارس معه الجنس بشراهة وسوف تنجب له الطفل الذى يريده خلال أيام من حملها.

اشتعل عقله لتلك الفكرة الشيطانية وَدَّ معها لو يستطيع أن يفر من تلك الشيطانة ولو بالموت ذاته، إلا أنه لم يكن حتى يملك رفاهية الموت بل وجد نفسه مضطرًا لتكرار رد فعل المدعو مراد والمضى قدمًا فى تلك الحياة الكئيبة التى تطور الأمر فى أحداث أحد أيامها لمشهد وقوفه داخل غرفة منزله مع داية شمطاء تحاول جاهدة مع شيخ يدعى منصور مساعدة نهاد زوجته فى ولادة طفل قالت عنه الداية أنه حمل شيطانى، تقوقع فى أحد أركان الحجرة يرتجف وهو يشاهد الشيخ منصور يبعثر قطرات مياه مباركة فوق جسد زوجته المكبلة بالحبال فى أعمدة السرير النحاسية يتلون وجهها بين الأزرق الشاحب شحوب الموتى تصرخ بصوت لا يمت للبشر بصلة ارتجفت له أصابع الشيخ منصور وبدا أن زمام الأمور يتفلت منه عندها سكب الماء دفعة واحدة فانفجرت نهاد بصرخة عاتية تطايرت معها الدماء السوداء من فمها ثم سالت من عينيها وأنفها وهمدت حركتها تدريجيًا فوق الفراش حتى خمدت تمامًا، لحظات تفقد فيها الشيخ منصور



نبض تخلى عن معصمها، غطى وجهها بملاءة لونتها الدماء قائلًا فى أسى:

- البقاء لله

دون إرادة انفجر شريف ببكاء حار وصراخ وعويل أثار دهشته شخصيًا، يتهم الشيخ بقتلها، اصطحبه الشيخ منصور للردهة الخارجية تتبعهم الداية الشمطاء قائلًا:

- لو كنت قلتلنا من بدرى كنا ممكن نلحقها، لكن إنت سيبتها لحد ما الجن إتمكن منها وقتلها معاه

سار بجوارهم جسد مراد بعقل وأعين شريف كالطفل المخدر إلى أن أمسكت الداية بذراعه تجذبه لركن قصى تقترب من أذنه بفم حاصرته التجاعيد هامسه:

مراد يا ابنى، أنا حسيت بالطفل لسه عايش جواها، ممكن ألحقهولك لو عايزه!

***

بعد عام

انطفأ عقل شريف ثم اشتعل من جديد فوجد نفسه مراد الذى أنجبت له زوجته طفلًا قبل وفاتها يحمل الطفل الرضيع الذى بلغ اليوم عامه الأول يتطلع إليه فى حب جَمّ يفيض من عينيه التى ينظر عبرهما شريف بطريقة حملته عبر الأخيله والأطياف وعادت به لتلك الحقبة يتلبس بشخص لا يعلم عنه شيئًا.

احتضن الرضيع يتذكر ذلك اليوم المشؤوم منذ عام تحديدًا عندما شقت تلك الداية الشمطاء بطن زوجته بعد وفاتها حيث وجدوا الطفل - وعلى نحو غير طبيعى - يستتر خلف حجاب رقيق من أغشية غريبة على الجسد البشرى حجبته عن أعين وأجهزة الأطباء، قامت الداية بشق الجدار



ونحرت الحبل السرى ثم انتزعت الطفل من وسط سوائله تجففه وتدثره ثم تعطيه لمراد يتطلع إليه فى شعور تداخل فيه الفرح والحزن مع الخوف والقنوط، اعتقد فى البداية أن الطفل خرج متوفيًا لكونه لم يبكى كالمعتاد لكن حركات خافتة وأنفاس واهنة صدرت عنه طمأنته على وجود الروح داخل الجسد، يومها أقسم الشيخ منصور والداية الشمطاء بعدم الحديث عن الأمر مع أى شخص فى البلدة بعد أن قاما سرًا بتغسيل زوجته وتكفينها ثم دفنها فى جنازة بسيطة وسط أهل القرية بعد إخبارهم بأنها توفيت أثناء ولادة الطفل.

تفحص مراد الطفل المستكين بين ذراعيه ما زال مغمض العينين على نفس هيئته رغم مرور عام كامل على ولادته بينما يخبره الأطباء بأنه مريض بمرض نادر يؤخر نمو خلاياه على نحو لم يعهدوه من قبل حتى أنه ظل مغمض العينين ولم يفتحها طوال عام وكأنه ولد للتو.

هو لم يختبر شعور الأبوة من قبل ولا مسؤولية تربية طفل لكنه رغم ذلك لم يشعر طوال هذا العام تجاه الطفل بأى غرابة أو قلق، يأكل ويبول ويتغوط ويبكى.. رضيع عقله فى معية الخالق ليس فى خِلقته ولا سلوكه ما يريب لذا كانت الأيام تمضى هادئة ناعمة وظن أن الأمور سوف تسير على نفس المنوال حتى جاء صباح اليوم عندما استيقظ على صوت جلبة بالخارج استوقف على إثرها أحد المارة فى تساؤل فأبلغه الرجل أنهم وجدوا جثة الشيخ منصور ملقاة فى ترعة البلدة وبها آثار تعذيب، فى البداية لم يلق بالًا للأمر فقط حزن عليه وانتهى الأمر لكن عندما يجدوا مساء نفس اليوم جثة الداية الشمطاء فى منزلها جاحظة العينين تزين عنقها آثار أصابع خانقة لهو أمر تخطى حدود المصادفة بكثير.

دلف مراد حجرته يتقلب فوق الفراش بجوار طفله كالمحموم يؤرقه السهاد و تأبى عينيه أن تلتقى أهدابهما حتى أتت ساعة متأخرة مشؤومة سمع فيها صوت طرقة مكتومة على بوابة المنزل الخارجية خفق لها قلبه وانتصب لها شعر يده تتلاعب برأسه الظنون السوداء ينتظر ما يأبى قلبه أن



يصارح به عقله، دنا ببصره للطفل بنظرة حانية وكأنه يودعه فإذا بالطفل و قد انفرجت أهداب عينيه قليلًا ينظر إلى أبيه للمرة الأولى وكأنها الأخيرة، احتضنه مراد بأعين دامعة فى تلك اللحظة التى هوت ركلة على باب الغرفة انفتح لها بعنف على مصراعية كاشفًا عن رجلين تشى ستراتهم وملامحهم عن أصل غربى يخطوان فى بطء داخل الغرفة.

رغم كون شريف يعلم يقينًا أنه يعيش أحداث خلت منذ دهر لكن من قال أن مشاهدة العنف والدماء لا تثير الخوف حتى لو كنت تشاهدها عبر شاشة التلفاز، فما بالك بمن يعيشها مجسمة أمامه.
راود شريف الذى ينظر بأعين مراد شعور غريب أظلم له المشهد لحظة واحدة ثم عادت الرؤية من جديد.. لكن من زاوية مختلفة، زاوية الطفل نفسه الذى فتح عينيه للتو فانتقلت الرؤية له.. انتقلت لصاحبها، شريف ينظر للمرة الأولى إلى وجه مراد الشاحب ينقض عليه الرجلان، لم تسمح حالته بالتفكير فى منطقية رؤيته لوجه مراد لكنه ظل يراقب مشدوهًا أحد المقتحمين يستل سكينًا رفيعًا من حزامه ثم يغرسه فى صدر مراد الذى تلقاه فى استسلام ليعبر الأنسجة والضلوع ثم يخترق قلب انسابت منه دماء قاتمة لطخت الفراش وأثارت رجفة فى قلب شريف حاول معها التحرك أو إتيان أى رد فعل لينتبه لحقيقة كونه طفل رضيع لم يقو سوى على الصراخ الواهن والبكاء المتهدج.. لقد تحولت الرؤية فى تلك الجولة العجيبة من مراد إلى الطفل الصغير.. لكنه وقتها لم يكن ينظر عبر عين أحد، كانت عيناه هو.. كانت طفولته .
حمله أحد المقتحمين خارج المنزل متسترين بنجح ظلام الليل الكحلى حتى بلغا أطراف القرية حيث تنتظرهم عربة تجرها الخيول ذات كابينة مغلقة، فتح بابها وناول الطفل لأحد الأشخاص بالداخل يرتدى قبعة سوداء طويلة تخفى ملامحه تناول الطفل يتطلع إليه بعيون زرقاء أنهكها دهاء السنين، قبله فى لهفة بفم حاصرته التجاعيد أغلق الشخصان باب كابينة العربة

وقفزا فوق مقعدهما المخصص للقيادة خلف الخيول يلهب أحدهم ظهورها بالسوط لتنهب الأرض نهبًا نحو المجهول.

***

تلاشت الرؤية أمام عين شريف وانطفأ عقله الذى يأخذه فى جولة أبدية بلا قواعد ولا أبعاد يطوف عبر الزمن دون قيود إلى أن أضيئت شاشة العرض من جديد داخل عقله تمر المشاهد بسرعة ساحقة يتخطى بها الزمان والمكان ثم تتباطأ تدريجيًا بدأت محطته الجديدة تتضح معالمها وجدرانها تتشكل فى هيئة غرفة صخرية متوسطة الحجم بدت وكأنها داخل كهف يتوسطها طاولة بدا واضحًا من النتوءات التى تؤلم ظهر شريف وهو مسجى فوقها أنها مصنوعة من الصخر غير المستوى، يحيط به عدة عجائز تحيطهم شموع تنافس ملابسهم فى السواد يعبق الهواء أدخنة بيضاء ذات رائحة عشبية نفاذة خانقة بدأت تتقشع من أحد الأركان كاشفة عن شخص بالغ الطول مسربل بالسواد من قمة رأسه حتى إخمص قدميه صامتًا كالقبور مشدود كوتر القوس تحيط به هالة كئيبة تغمرك وتطبق على صدرك.

كان المشهد مألوفًا مع اختلافات طفيفة خطها الزمان والتطور، اعتقد شريف أنه مقيد قبل أن ينتبه أنه مازال رضيعًا لا يقوى على الحراك توتر قليلًا لذلك الشعور ثم التفت بعينيه لذلك الكاهن الذى تحدث مكملًا الشرح للمحيطين به:

- بعد ما أجدادنا فتحوا البوابة النجمية سنة ١٠٦٥م وتدفقت منها شياطين الجن تملى الأرض، اكتشفوا إن طقوسهم كانت ناقصة أهم جزء وهو تنصيب الإله بامفويت كقائد لشياطين الجن والإنس، وبسبب النقص ده قدر المملوك الأرمنى



الخبيث يشتتهم وينهى أحداث العنف إللى سموها الشدة المستنصرية... استطرد الكاهن يشير للطفل مكملًا:

اتسربت لنا معلومات لميلاد أول طفل نتاج اقتران جنى بإنسى، بعد ما حصلنا عليه وفحصناه لقيناه فعلًا مزدوج الشفرة الجينية إللى محتاجها الإله بتاعنا (بامفويت).. أشار باحترام لطويل القامة الصامت ثم أضاف

- لتنصيبه أثناء الدورة ١٣ وقت مرور كوكب العذاب (نيبرو).. زى ما بتقول تعاليم لوح المايا الصخرى.

اعترض أحدهم قائلًا فى قلق:

- إنت عارف إن لسه أكتر من ١٠٠ سنة على الدورة ال ١٣ لنيبرو!؟

كاهن ثالث: الشفرة الجينية للطفل فيها جانب من شفرات الجان يعنى بيعيش سنين طويلة زيهم وبيكبر ببطء شديد!

كاهن رابع: مش هنقدر نحبسه لحد ميعاد الدورة ١٣ لازم يتربى فى وسط اجتماعى طبيعى لحد ما تكتمل صفات السائل الشوكى الوراثية عنده

هَمَّ أخر أن يتحدث لكنه بتَر عبارته عندما تقدم المتشح بالسواد ناحيتهم فأحنى الجميع رؤوسهم ليتراجعوا أمامه فى هيبة وخوف إلى أن دنا من الطفل يمرر أصابع غضروفية ذات أظافر طويلة على جبين الطفل ثم بدا وكأنه يبث لعقول الواقفين رسالة عقلية، وصل محتواها أيضًا للطفل الذى تصلبت عيناه ثم انفجر فى البكاء الذى لا يجيد سواه بينما الجميع ينصت بلا صوت لفكرة كانت إيذانًا ببدء خطة يصدق عليها بالفعل وصف فكرة شيطانية.



الفصل (٣٧)

أيرلندا ١٩١٠

ظلام دامس وارتجاجات عنيفة وأصوات متداخلة وأيدى تحيط به فترة طويلة لم يدرى شريف كم دامت مع شعور بأنه داخل عربة تجرها خيل تسير على أرض غير ممهدة بسرعة كبيرة، رأسه محاط بقناع من الصوف الأسود يحجب الرؤية تمامًا، تباطأت حركة العربة مع تباطؤ حركة الخيول التى تجرها علم أنه أصبح محمولًا خارجها عندما تلقفته لفحات الهواء المثلج ثم هبطوا به درج طويل لأسفل حتى بلغوا مكان مغلق ثم نزعوا العصابة عن أعين شريف يتطلع لشموع شوداء تضىء القاعة بإضاءة شحيحة مقبضة يتراقص لهيبها فوق وجوه بضع كهول متغضنى الملامح يترقبونه، ارتسمت على وجهه بلاهة إجبارية لكن داخل عقله كان يعمل ويحلل ويتفحص الحديث الذى دار فيما بينهم فكان أمين السر المكلف بمتابعته السير (كونر) أول المتحدثين:

- عيلته إللى زرعناه وسطهم بقوا يخافوا منه لما بقى عنده ١٥ سنة إنما شكلة لسه تلت سنين.. فكروا يعرضوه على طبيب، لكننا لحقناهم قبل ما يعملوله أى فحوصات.
- صفيتوا عيلته!!
- كلها
- كويس جدًا.. دلوقتى دخلوه صندوق التجرد

أحنى الأمين كونر رأسه إذعانًا يحمل الطفل فى ود ولين يهمس له:

- يلا يا بطل جيه وقت الاستحمام من كل الذكريات.

دنا بالطفل داخل صندوق حجرى ملىء بسائل لزج ما أن لامس قدم شريف حتى تشنج وتشبث بملابس كونر يبكى فى خوف ينادى على والده



ووالدته وأخوته دون مغيث، غُمس جسده بالكامل تشنج أكثر بعثر السائل، أبقاه كونر داخل السائل بكفيه حتى خمدت حركته تمامًا واستكان، وضع غطاء التابوت الصخرى ثم تراجع يفسح المجال للمسربل بالسواد طويل القامة يتلمسه بأصابعه دقائق وسط مراقبة مهيبة من الجميع ثم تراجع لركن الغرفة فى صمت تقدم معها كونر يزيح الغطاء ويخرج الطفل الذى سعل بشدة ثم هدأ يتطلع لوجوه الجميع بنظرة خاوية وقد توقف عن النداء على والدته تمامًا، فقد انقضت كل ذكرى لهم فى عقله وتلاشت حتى عاد عقله كصفحة بيضاء معدة لتهيئة حياة جديدة له فى بلد أخرى وسط أشخاص جدد.

***

سويسرا ١٩٢٠م

عاد الوعى لعقل شريف بغتة مع شعور حارق بالألم فى فكه تحديدًا منتصف ذقنه ودماء دافئة تسيل على عنقه بينما شخص ما يحمله ويهرع به داخل قاعة احتشد داخلها نفس مشهد الكهنة المجتمعة وأحدهم يسأل فى ذعر:

- إتصاب إزاى!
- أصحابه شكوا فيه، كلهم كبروا وهو إللى فضل على سنه، سموه الفامبير بدل (إيريك)، واعتدوا عليه بالضرب

تطلع الرجل فى ضيق لذقن شريف الجريح يتدفق منها الدماء يعلم أن الجرح من العمق بمكان كى يترك ندبة دائمة، يشير إليهم بالتعليمات قائلًا:

- خيطوا جرحه واطمنوا على ازدواجية الجينات فى السائل الشوكى وبعدها احجبوا ذكرياته وحطوله ذكريات طفل يتيم من المغرب.....



***

المغرب ١٩٣٢

ملجأ أيتام تاسيلى

وجد شريف نفسه جالسًا فوق سرير صغير داخل قاعة ضخمة تراصت فيها الأَسِرَّة يجلس فوقها أطفال من نفس سنه يتابع ببصره رجل وامرأة متأبطان يجوبان بين الأَسِرَّة إلى أن توقفوا أمامه.

- إيه رأيكِ فى الولد ده
- جميل أوى حاسه إنيِ مرتحاله.
- خلاص هو ده إللى هنتبناه ....

***

الهند١٩٤٧م

مدرسة موهانا

استيقظ عقل شريف يطبق على يد رجل يمسك بيده ويسيرا عبر رواق، التفت الرجل ينظر إليه بنظرة متفحصة ثم دلفا حجرة مكتب يتابعه شريف فى صمت يصافح من يجلس خلفه مبتسمًا وهو يقول:

- انا والد (موهيندر) عايز أقدمله فى صف المدرسة هنا
- هو منقول منين!
- كنا عايشين بره أنا ووالدته واتولد بره ودلوقتى رجعنا وهنستقر فى الهند، ورقه وشهاداته كلها موجودة معايا

تسلم المسؤول الأوراق وتفحصها سريعًا ثم ابتسم للرجل يومئ برأسه إيجابًا

- أوراقه كاملة، هنعمله ملف ونسجله عندنا



نهض المسؤول بالأوراق خارج الغرفة أخرج بعدها والد الطفل هاتفه يتحدث للطرف الآخر:

- الطفل اتقبل فى المدرسة وحالته الذهنية مستقرة.. مفيش أى اضطرابات فى الذاكرة.. واختلاطه بالمجتمع جيد جدًا.....

***

إيران ١٩٥٤م

ابتسم شريف فى مرح وعدد من أصدقاءه يحيطون به يحتشدون حول رجل كهل يبدو عليه مخايل السلطة ثم يقوم أحد الصحفيين بالتقاط صورة جماعية لهم ثم يعطى الكاميرا لصحفى مساعد قائلًا:

- نزلها فى جريدة بكرة تحت عنوان (الزعيم الإيرانى وسط شباب الكشافة)

***

فرنسا ١٩٩٠

مصحة سان باريس

- هو موجود فين دلوقتى
- فى غرفة انفرادية محدش قادر يقربله بعد ما جاتله حالة صرع وهياج عصبى فى الجامعة وبيقول أنا جيت هنا إزاى ومين إللى جابنى!
- طيب إحنا هنتعامل معاه

دلف رجلان تابعان لمنظمة الهيبرو متنكرين فى هيئة أطباء نظر إليهما شريف فى حقد وشرع يتعدى عليهما إلا أنهما قيدا حركته وحقنه أحدهم



بعقار مهدئ بعد ان زال حجب الذاكرة عن عقله وتذكر أمورًا ما كان يجب أن يتذكرها، ثم اصطحباه لخارج المصحة لمقرهم السرى فى قلب باريس.

***

ألمانيا ٢٠١٠

استيقظ عقل شريف الغافى وأضاءت جنباته هذه المرة على طرقات متتالية مكتومة فتح على إثرها عينيه فى بطء وتثاقل يعتدل فوق ذلك المقعد الخشبى الوثير يتلفت حوله يطالعه متجر صغير يجلس وسطه تكدست فوق أرففه العديد من التحف والزخارف واللوحات القديمة تتخللها أجهزة بدائية وقديمة للغاية ظن معها شريف أنه أعيد لقرنين من الزمان، تنحنح يرنو ببصره للخارج يسأل ذلك الرجل عن سبب طرقه على باب المتجر فإذا بالكلمات تخرج من فمه ضخمة مفخمة تملأ جنبات فمه بلغة أدرك على الفور أنها الألمانية.

- عايز إيه!!
- عايز تذكار.. هدايا

أجابة ذلك الرجل ذو الملامح الشرقية والأنف الأرستقراطى الرفيع وهو يضع يديه داخل معطف طويل من الفراء بدا معه غريبًا زائر غير معتاد على برودة الطقس الألمانى فى هذه الفترة من العام وبلهجة ألمانية سيئة تأكدت معها ظنون شريف، كان وجه الرجل مألوفًا لديه، لم تمهله تتابع الأحداث وقتًا للتفكير لكن تهللت أساريره دون أى تحكم أو محاولة منه فى ذلك فقد استوعب قواعد اللعبة جيدًا فترك يده ترتفع مشيرًا للأرفف بإشارة شاملة مستطردًا:

- تذكارات.. سائح من الشرق!

هز الرجل رأسه نافيًا وهو يقول فى بطء وتلعثم:



- أستاذ.. مؤتمر، وراجع

هز شريف رأسه متفهمًا تغزو شفتيه ابتسامة مجاملة يصافح السائح قائلًا:

- فريدريك

عرفه شريف باسمه ثم تلفت مفكرًا للحظات ثم توجه لأحد الأرفف يحمل من فوقها جهاز يشبه الآلة الكاتبة لكنه صغير في حجم مكواة احتشدت الأزرار في مكان ضيق على واجهتها متلاصقة ارتسمت فوقها الأحرف وفي جانبها الأيمن ترس دوار على أنماط مختلفة قطب لها الرجل حاجبيه دهشة وتساؤلًا لم يتجاوز عقله، عندما تداركه شريف شارحًا:

- ده نموذج مبسط لماكينة تشفير رسائل ألمانيا العظمى إللي كان الجيش النازي بيستعملها في الحرب العالمية الثانية اسمها (إنجما فيرماخت) وإللي ضمنت له التفوق لفترة طويلة محدش خلالها من دول الحلفاء قدر يفك شفرة الرسائل بين القوات الألمانية وبعضها، لحد ما قدروا البولنديين يفكوا شفرتها بعد ما استولوا على بعض الإنجما، وبعدها فعلًا ألمانيا اتهزمت، لدرجة إنهم بيقولوا إن حل الشفرة دي اختصر حوالي سنتين من مدة الحرب*.(حقيقة)

ازداد انعقاد حاجبي الرجل يقلب الماكينة في يديه تطل من عينيه نظرة اهتمام ممتزجة بشيء من الحيرة والتساؤل عالجها شريف بابتسامة تاجر ينشد بيع أحد بضائعه مكملًا:

- رغم إن ده مش شغلي لكن هعلمك باختصار فكرتها

تهللت أسارير الرجل يومئ برأسه في امتنان يتابع شريف وهو يحضر ورقة وقلمًا:

- هشرحلك بحروف لغتك

مكث دقائق يخط الحروف في انتظام على هيئة جدول ثم عرضها أمام وجه الرجل شارحًا:



ا	ب	ت	ث	ج	ح
خ	د	ذ	ر	ز	س
ش	ص	ض	ط	ظ	ع
غ	ف	ق	ك	ل	م
ن	و	هـ	لا	ء	ي

طريقة تشفير فيرماخت إنجما بتعتمد على (الإزاحة) إزاحة الحروف عن مكانها الأصلى بعدد من الأعمدة الراسية والصفوف الأفقية أصحاب الشفرة بيتفقوا على عددهم، يعنى لو إنت عايز تفك تشفير الحرف (أ) وكنت متفق إن الإزاحة (٢ : ١) يعنى عمودين للشمال وبعدها صف لتحت و ده معناه إنك هتقف عند الألف وهتمشى عمودين للشمال وهتنزل صف فتعرف إن الحرف الأصلى المتشفرهو (ذ) بدل الألف, ولو عايز تفك تشفير الحرف (ن) بنفس الإزاحة هتقف على النون وتتحرك عمودين للشمال وانزل صف فتطلع لفوق لأن قرص الماكينة دوار إنما ده مجرد جدول توضيحى، يعنى حرف التاء فوق هو فك تشفير النون.

مثلًا عايز أفك تشفير الحرف (ء) وكنت متفق إن الإزاحة ٢:٣ يبقى هتقف عند الهمزة وتمشى عمودين.. عمود (الياء) وعمود (النون) من الناحية التانية لأن القرص دوار، وهنزل من عند النون تلت صفوف فيبقى حرف (الشين) فوق هو الحرف الأصلى



لما تجيلك كلمة متشفرة وعايز تفكها زى مثلا (طل) وإنتوا متفقين إن الإزاحة ٢:١ هتقف عند الطاء هتتحرك عمودين وعند العين هتنزل صف هيبقى الحرف م، ونفس الشيء مع (ل) هيكون حرفها الأصلى م فتكون الكلمة الأصلية هى (من)

طبعًا لأن ده جدول مكتوب علشان كده بضطر لما بيخلص الصف أو العمود أرجع لأولهم تانى لكن الماكينة قرص دوار بيطلع تلقائى، وأكيد طبعًا اختلاف الأحرف، أنا كنت بقربلك الفكرة مش أكتر.

هز الرجل رأسه إيجابًا وقد بدا بريق عينيه يشى باستمتاعه بالفكرة فأشار للقرص الدوار فى الماكينة قائلًا:

- وإزاحة الصفوف والأعمدة أنا إللى بختارها
- طبعًا.. ممكن تكون عمود وصفين أو صفين وعمودين.. زى ما تحب هتظبط القرص، بس تكون معرف إللى هيستقبل الرسالة مفتاح الإزاحة علشان يعكسها ويعرف إنت عايز تقوله ايه.

ابتسم شريف بابتسامة بائع ظفر بزبون جيد وهو يشير له فى بساطة للماكينة مكملًا:

- بـ (٥٠) يورو بس

تردد السائح لحظات ثم حسم أمره أن البيعة تستحق المبلغ فوضع الماكينة فى حقيبته وأخذ يحصى المبلغ المطلوب فإذ ببعض التوتر المباغت أصاب شريف يمسك برأسه ويغمض عينيه بقوة ويفتحها، سأله السائح فى قلق:

- إنت كويس

جحظت عينا شريف وبدا على وجهه شخص تعذبه شياطينه وتعبث بأحباله الصوتية فنطق بصوت مريب عبارات بلغات مفهومة وغير مفهومة، أجفل لها السائح يتراجع فى خوف ووجل يتفحص باهتمام شديد وجه شريف المعذب وهو يردد فى تشنج (الهيبرو.. نيبرو.. بامفويت) وجم السائح وفغر فاه فى تجهم وذهول بعد أن صادفت الكلمات شيئًا فى



نفسه.. شيئًا جعله يطبق على المبلغ فى يده ثم يتراجع أمام رجلين يزجرانه ويأمرانه بالابتعاد ثم يهرولان للداخل ويحملان شريف لسيارة تنتظرهم أمام المتجر وينطلقوا بها على الفور.



الفصل (٣٨)

داخل تيه أرنينى أسفل مبنى مينيرفا فتحت فاتن عينيها أو هكذا تصورت رغم ما يحيط بها من ظلام دامس لا بصيص للضياء فيه، أغمضت عينيها فى قوة وفتحتها لعلها تزيل غشاوة حالت دون إبصارها لكن دون جدوى حتى ظنت أن العمى عنها ليس ببعيد، خفق قلبها للفكرة فحاولت أن تتحرك أو تنهض أو تتشبث بأى شىء صلب دون أن تجد ضالتها وكأنها تسبح فى فضاء مظلم لا حدود له ولا أبعاد حتى أنها لم تدرك أواقفه هى أم مستلقية .. أين هى؟!

هل هذا هو الموت؟! آخر ما تذكره هى صدمة ذلك الحارس الذى صرعها بعد أن صرع شريف قبلها، لم تكد تواتيها فكرة شريف حتى خالجها شعور مبهم بالخوف شاركه برودة مفاجأة قارنها سريان قشعريرة خوف عبرت أوصالها، أى حلم أو رؤيا هذا وكأن شيئًا يبثه إلى رأسها، أين القاعة من حولها، هل مازالت غافية وما تمر به مجرد كابوس، أضاءت أمامهم بغتة بقعة تعرض مشهدًا مقتصر حدوده على شريف مطروح أرضًا فوق بركة من الدماء يجثو فوقه شخص ملثم يدفع عنق شريف ليغوص برأسه داخل بركة الدماء، المشهد بدا مألوفًا لها رغم عدم رؤيته من قبل.. إنه كابوس شريف طالما رواه لها، حاولت تخيله كثيرًا لكن لم يصل خيالها لكل تلك الدماء والبشاعة

تابعت المشهد بينما شريف يقاوم باستماتة شديدة ثم أخيرًا قبض على لثام ذلك الرجل وانتزعه ليكشف النقاب عن وجه اتسعت له أعين فاتن، شريف يصارع نفسه، جانب منه يريد السيطرة على الآخر، بدا وكأنه صراع نفسى كان يمر به شريف فى أحلامه تهيأ له فى صورة صراع شخصين متشابهين، أطبق شريف على عنق ذلك الشبيه بقوة وغضب ثم دار بجسده يعكس الوضع يغمر ذلك الشبيه فى بركة الدماء فى غضب، مرت لحظات حتى خمدت حركته تمامًا، انتفضت فاتن عندما التفت إليها شريف بوجه

لطخته الدماء يشير فى إرهاق إلى تابوت معدنى لا تدرى من أين ظهر بغتة، يركز إشارته لزر أحمر فى جانبه وكلماته الهادئة انسابت داخل عقلها تتردد بصدى هادئ خافت:

أنا متأكد إنك هتفهمى الحقيقة

أخذت الكلمة تتردد بينما فاتن تفتح عينيها فى بطء تعود للواقع على وضعيتها مستلقية فوق أرضية الغرفة الرملية بجوار التابوت تطالعها مشاهد مهتزة للحارسين يدخنان السجائر ويثرثران فى تململ وتراخى، أطلت برأسها ترمق التابوت الموضوع بداخله شريف، لا تدرى كم دامت فاقدة الوعى، اختل إحساس عقلها بالزمن تمامًا، لم تشأ تبديل موضع رقودها أرضًا حتى لا تثير انتباههم، فقط دنت تطالع عبر الكوة الشفافة للتابوت وجه شريف شاحب لا يمت للأحياء بصلة مغمور بداخل سائل الاسترجاع اللزج، هل مات غرقًا!!، دققت النظر لعينيه المغلقتين لتجد أهدابهما تتحركان فى تسارع محموم وكأنهما عدسة كاميرا تلتقط مئات الصورة على نحو متلاحق لمشاهد متسارعة، وقع بصرها على جانب الصندوق حيث وجدت مقياس تصاعدى يشير لـ ٨٠% كتبت أسفله عبارة (MEMORY) وأسفله زر أحمر أشار إليه شريف، شاهدته فى غفوتها منذ قليل علمت معه أن الأمر تخطى حد مجرد كابوس.. إنها رؤيا.

عادت لوضعيتها تغمض عينيها وقد تحول عقلها لحلبة تتصارع داخله فكرتان متنافستان.. شريف وشبيهه داخل بركة الدماء.. يوجد حجر ما فى الأحجية مفقود، شريف نفسه لا يعلمه، بطريقة أو بأخرى شريف له شخصيتان متنازعتان، أتطيع الأول وتوقف تقدم الذاكرة مع ما يحمله ذلك من احتمالية تضرره أم تتركها لتكتمل ووقتها لا أحد يعلم ما سيصبح هو عليه!!

على وضعيتها تأكدت من انشغال الحراس ثم دنت ببصرها تطلعت لوجه شريف بقلب متواثب يمزقه التردد والحسرة والشك والريبة، استقر عقلها

على فكرة واحدة حسمت بها حيرتها، سوف تتحمل مسؤوليتها كاملة، وتدعو الله أن تكون هى الاختيار الصواب.



الفصل (٣٩)

بتر السنباطى شرحه لعزت فى وجود النقيب عمرو داخل ساحة البناية عندما بلغ مسامع ثلاثتهم صوت ضجيج يدوى من آلاف الحناجر المتحمسة يرتفع تدريجيًا كناية عن اقتراب أصحاب الصوت، خطا ثلاثتهم فى عجالة لخارج العقار ليطالعهم من مكان قصى وعبر شارع جامعة الدول العربية زحفت جحافل هائلة من الشباب تهتف فى غضب عارم ضد المؤامرات الصهيونية بلغت معها القلوب الحناجر، خفق لها قلب عزت بقوة ولاحت على وجهه ابتسامة تحمل بين قسماتها معانى الخلاص والأمل والرضا تنفرج شفتيه يتمتم فى امتنان..

- **(هيثم !!)**

لم يكن يعلم وقتها أن الفرصة لن تواتيه لشكر هيثم، على الأقل فى هذه الدنيا، فقد كان الأخير فى معية الرحمن بعد أن أدى مهمته بأكثر مما ينبغى.

أما فى مقدمة هذه المسيرة فقد انتصب شاب مخلص عانى كثيرًا ومن معه أثناء زحفهم للميدان من أشخاص فقدوا عقولهم فى الشوارع يهاجمونهم كالممسوسين بلا عقل حتى أن شباب المسيرة اضطروا لتقييدهم بالحبال وتركهم على جوانب الطريق ليواصلوا الزحف عازمين على إيقاف طقوس شيطانية رأوا تأثيرها بأعينهم.

***

ألمانيا ٢٠١١

(فرانكلين) الطرد على أبواب المبنى، جهز صندوق الحجب.

أومأ فرانكلين أمين سر جماعة الهيبرو برأسه فى احترام إذعانًا لأوامر الماستر داخل مقرهم السرى فى ألمانيا، خطا تجاه تابوت معدنى ضغط زرًا أحمر فى أحد جوانبه فانزاح الغطاء فى نعومة كاشفًا عن بطانه سمية من الجلد الأسود تبرز منها عشرات المستحثات والأقطاب والخراطيم الدقيقة اختبرها فرانكلين وسط المراقبة الدائمة لطويل القامة المسربل بالسواد الذى لا يدرى أحد متى يجىء ومتى يختفى.

ما إن التفت للماستر يبلغه بانتهاء الفحص حتى انفتح باب القاعة بدفعة قوية وجلبة كبيرة مع رجلين أشداء يحاولان تقييد حركة شريف بقوة بينما هو لا يكف عن الركلات والصياح هاتفًا:

- إنتوا مين وعايزين منى إيه

ابتسم فرانكلين مطمئنًا وهو يقول: اهدأ يا صديقى دقايق ويبقى عندك حياة جديدة

لاحظ فرانكلين اختفاء طويل القامة من ركن الغرفة وعاود الظهور خلف شريف مباشرة يمرر أصابعه الغضروفية على جبينه فتخور قواه وتتداعى مقاومته تمامًا، أشار فرانكلين للصندوق يراقب عملية إسجاء جسد شريف داخله متسائلًا:

- اتكشف إزاى!

حصله اضطراب فى ذاكرته وهو واقف بيبيع لسائح، جاتله حالة هيستيريا واتكلم عن بامفويت والتنصيب

بدا الانزعاج على فرانكلين ثم ضاقت عيناه: والسائح شك فى حاجة!

- ما أفتكرش مستر فرانكلين

ظل فرانكلين يتطلع لأعين الحارس المرتبك ثم قال له وهو يلتقط للصندوق.. راقبوه كويس

ثم أقرن قوله بغلق الصندوق الذى تزامن مع تدفق سائل لزج عبر أنابيب رفيعة غمرت الصندوق من الداخل، ثم التفت لطويل القامة قائلًا فى احترام وخضوع بلهجة تقريرية:

- المرة دى هتكون آخر محطاته فى بلد فتح البوابة، هنحتاج حواجز تحجب كل ذكرياته السابقة وهنبثله الذكريات دى.. هيكون اسمه شريف، محاسب فى شركة، أهله توفوا فى حادث و.............

***

مصر أواخر ٢٠١٢

كانت عبارة فرانكلين هى آخر ما سمع شريف بنصف وعى من داخل الصندوق قبل أن يغمره السائل تمامًا ويحلق عقله من جديد فى آفاق الفراغ المظلم، حيث لا وجود للماديات ولا الاتجاهات كل شىء سواء.. شريف إصحى.. وعى صافى لا تشوبه شائبة.. إنت جاى الشغل تنام؟!.. ثم شىء ما مجهول يجذب انتباهك.. والله ما إنت فالح.. صوت مألوف ينتشلك من الضياع السرمدى.. يا أخى قوم بقى هو إنت بقالك أسبوع ما نمتش؟!

انتفض شريف مستيقظًا يلهث وكأنه كان يركض أثناء النوم يتطلع حوله فى ذهول أثار تساؤل من يقوم بإيقاظه رفع شريف رأسه إليه فإذا به عزت صديقه فى العمل يقف بجواره داخل حجرة مكتبه الذى وضع ذراعيه فوق سطحه وغطَّ فى نوم عميق.

ابتسم عزت قائلًا:

صحى النووم.. ما بقالكش شهر معانا فى الشركة وجاى تنام، ازدرد شريف لعابه يرطب حلقًا يبس تمامًا تتداخل الأفكار فى رأسه وتدور كما يدور بعينيه فى أرجاء المكان تطالعه غرفة مكتبة فى الشركة بتنسيق وترتيب كان عليه يومًا عند بداية عهده بالعمل، وقع بصره أمامه مباشرة على سطح المكتب حيث روزمانة مكتبية صغيرة تشير لعام ٢٠١١ فغر فاه يرفعها أمام



عينيه يدقق النظر فى ذهول ثم يلقيها ويلتفت لعزت تخط كل أمارات الدهشة خطوطها فى قسمات وجهه المرتبك.

- إيه يا شريف إنت جاى تنام هنا إفرض كان المدير إللى دخل مكتبك دلوقتى!، وبعدين يا أخى إنت مش بتدور على عروسة، فوق كده واصحى وما تضيعش الفرص منك.

ثم أقرن عزت قوله بغمزة من عينيه يشير لشىءٍ ما خلفه، مال شريف برأسه خلف عزت يرنو ببصره عبر باب الغرفة المجاور حيث رجل وقور تجلس بجواره فتاة كالملائكة، امتقع لمرآها وجه شريف واتسعت عينيه فى ذهول وغاب عنه ما حوله، حتى أنه لم يسمع عزت وهو يقول له:

- ده من أكبر التجار إللى بيتعاملوا فى البورصة جاى يسمع عروض شركتنا أما الأهم بقى إن الآنسة إللى معاه دى تبقى بنته الوحيدة

كل خلية من خلايا شريف كانت تصرخ وتنادى باسم هذه الفتاة لكنه كان يعلم أنه مجبر على تكرار الماضى فهو مجرد مشاهد يعيش وقائع سبق مروه بها، فى ذلك الموقف منذ عدة سنوات لم يكن يعلم اسمها بعد، دون وعى أو إرادة وجد نفسه ينهض ويزيح عزت جانبًا تتقلص ثنايا وجنتيه بابتسامة إجبارية قائلًا:

- يا أخى مش تقول كده.

ثم خطا تجاه الغرفة يتنحنح راسمًا ابتسامة دبلوماسية على شفتيه يصافح الرجل قائلًا:

- شريف خليل المحاسب، فى خدمتك

- طاهر عبد الجليل، رجل أعمال .. ودى بنتى الآنسة (دينا)

تطلع شريف لعينى دينا مبهوتًا، كان يعلم ما ستقوم به وما ستقوله.. كانت خجولة.. كم اشتاق إليها..كم افتقدها، كم تمنى لو يصرخ الآن ويخبرها أنهما تزوجا وأصبحا أسعد زوجين، لكن قواعد تلك الجولة الذهنية جعلت

منه ممثل ملتزم بنص إجبارى، لذا فقد التقط أناملها يصافحها فى كياسة يبتسم فى جاذبية وإعجاب.

لكن جوارحه جميعها كانت مرتكزة لساقه يحاول كبح حركتها قدر المستطاع فقد كان يعلم ما الذى سيحدث بعد لحظة واحدة، كان يتمنى أحيانًا لو تتوافر لديه إمكانية تكرار مواقف فى حياته ليتعامل معها بصورة أفضل ويتحاشى الأخطاء لكن السؤال الهام الذى كان يلح عليه باستمرار..

هل لو تكررت هذه المواقف سيتذكر أخطاء التجربة السابقة ويتجنبها أم سينساق لمجريات الأحداث نفسها، لحظات وجاءته الإجابة فى حركة عصبية من قدمه تصدم الطاوله اهتز معها كوب الماء أمام دينا ثم سقط تنسكب المياه منه فوق الطاولة ينساب البعض منها فوق ملابسها.. لعن تلك القوة التى تجبره على تكرار أخطاء الماضى، كم يود لو يخبرها بأنهم جلسا فى عيد زواجهما الأول يتحدثا عن تلك الواقعة ويضحكان فى مرح، كم تمنى لو لم يراها من الأساس لتعيش حياة هادئة بعيدًا عن لعنته التى من بها دون ذنب.

نهضت دينا تمسح ملابسها بمنديل فى اللحظة التى تذبذبت صورتها أمام شريف وتداخلت المشاهد أمام عينيه تسطع شمسًا تومض بقوة ثم يسود الظلام ثم تعود الأضواء من جديد، المكان يرتج بعنف كقافلة جاموس وحشى تركض فوقه تدهسه تصَدع لها رأسه بصداع عنيف يعتصر كيانه ويمتص روحه لم يطق معه حملًا، جثا على ركبتيه يحيط رأسه بذراعيه فى ألم رهيب، عقله يحلق بسرعة ساحقة كاد معها أن يلفظ قلبه، حاول أن يشهق لكن صدره كان معبأ بسوائل لزجة احترقت لاستنشاقها رئتيه، تدريجيًا انخفض مستوى السائل داخل التابوت وسط تيه أرنينى تتسرب عبر فتحات جانبية حتى انحسرت عن جسد شريف بعد أن أزيح غطاء التابوت إلكترونيًا، عاد شريف من رحلته السياحية مدفوعة التكاليف، ينهض فوق مستوى ما تبقى من السائل يسعل بشدة فتتطاير السوائل من



فمه وأنفه ورئتيه التى تحاول جاهدة استعادة المادة الطبيعية التى اعتادت التعامل معها، انفرجت أهداب عينيه تلتقط مشهد مغاير تمام لما كان عليه منذ قليل، ذهبت دينا.. ذهب تاريخه المظلم.. ذهب المنطق، لن يتعجب لو وجد نفسه سلحفاه بحرية تأكل الطحالب فى قاع محيط ثائر، سعل مرة أخرى فتسرب معها شيئًا من الهواء لرئتيه فانبسطتا قليلًا تدفع بجزء منه للمخ يضيء شعاع وعى فى رأسه دفعه للخروج من ذلك التابوت الملعون يلقى بنفسه عبر الحافة يسقط بجواره.. يجثو أرضًا على كفيه وركبتيه تقطر من جسده وملابسه سوائل مجهولة التركيب يسعل من جديد طاردًا ما تبقى من سوائل.

بدا شيء من الوعى يلوح فى قسماته التى ينساب من بين ثناياها سائل اجتمع فيه العلم بالسحر، رفع رأسه متطلعًا لفاتن الملقاة أرضًا يومئ لها برأسه فى امتنان بينما هى تسحب يدها من فوق الزر الأحمر فى جانب التابوت والمخصص لفتحه بعد أن غالبت ترددها وضغطته، تتطلع إليه فى ريبة وشك وخوف لا تدرى هل فعلت الصواب أم أنها ارتكبت أكبر حماقة ستندم عليها ما بقى من حياتها.

تركز اهتمامها على شريف حتى أنها لم تعبأ أو لم تلاحظ من الأساس اندفاع الحارسين إليهما فى غضب وثورة، فلم يعد يعنيها شيئًا سوى شريف ترنو إليه ببصرها علها تطالع فى ملامحه آيات الصدق أو ما يثبت كذب ظنون ألقى ببذرتها السنباطى فنبتت فى عقلها شجرة بأوراق وثمار تمنت أن تحرقها الوقائع لتعود إليها ثقتها فى شخص طالما وثقت به.

انتزعتها من أمواج أفكارها المتلاطمة صفعة من أحد الحارسين يزجرها على فعلتها التى اختلستها فى غفلة منهما، شعرت لها بصدمة عنيفة زلزلت رأسها لكنها ظلت ترنو لشريف بأعين اضطربت رؤيتها بينما الحارس الآخر ينقض على شريف ويكيل له لكمة سقط لها شريف أرضًا قبل أن تكتمل وقفته فجثا على ركبتيه فى ألم لم يمنعه من رصد ركله قاسية وجهها الحارس لمعدته يفرغ بها غيظ احتدم فى صدره تلقاها



شريف على ساعده بحركة لا إرادية اصطدمت به فى قوة جعلته يتساءل معها كيف الحال لو تلقاها فى معدته مباشرة.

تحامل ناهضًا بوعى مضطرب يرفع يديه يحمى وجهه من لكمة أخرى تلقاها على مرفقه بمعجزة قبل بلوغها وجهه، ليرصد لكمة أخرى يكيلها الحارس له بدا من طول فترة تكوير قبضتة خلف كتفه أنها ستكون ساحقة، رفع شريف يده من جديد يحمى وجهه إلا أنه وجد الوقت الكافى ليتفادها فخفض يده ومال جانبًا يتفادى لكمة أثارت شيئًا فى نفسه وقد بدت له عجيبة نوعًا.

هنا انضم الحارس الثانى لزميله ينقض بدوره بلكمة عاتية تحمل من القوة أكثر مما تحمل من السرعة التى وجد شريف معها أيضا وقتًا مناسبًا ليميل جانبًا يتفادها بالكامل يشاهدها تمرق من جوار رأسه، تملكه شعور مريب تجاه الحارسين شيء لم يستطع تصنيفه بعد لكن بدا معه أن الحارسين ليسا على ما يرام لقد أصابهما شيءٌ من العجز بلا شك، مال جانبًا يتفادى لكمة أخرى أكثر بطئًا بقلب خافق يتطلع للمشاهد من حوله ثم إلى فاتن التى تحاول النهوض ببطء غير معتاد كمشد سينمائى يدور ببطء تتطلع إليه بفم فاغر ونظرة مبهوتة لا يدرى لها سببًا.

أضاءت شمس الحقيقة جنبات روحه المظلمة فى الوقت الذى يتفادى فيه لكمات الحارسين المتتابعة فى بساطة شديدة ثم ضم قبضته فى تردد ووجه لكمة متوسطة القوة لوجه الحارس الذى تلقاها فى ذهول من لم يرى القبضة التى صدمته من فرط سرعتها فتلقى من شريف ثانية وثالثة ورابعة حتى سقط مغشيًا عليه فى الوقت الذى لم يكمل فيه الحارس الأخر خطوته الأولى نحوه فاستدار له شريف يكيل له العديد من اللكمات يتلقاها فى جهه كطلقات سلاح آلى لم يجد مع سرعتها الوقت الكافى ليحمى وجهه فقد معها توازنه ووعيه يتكور بجوار زميله.



استدار شريف لفاتن يعاونها على النهوض وقد استعادت المشاهد أمامه سرعتها الطبيعية بعد أن اختبر هبة غريبة منحته إياها عملية استرجاع منقوصة:

- شريف إنت شوفت السرعة إللى كنت بتتحرك بيها!!

تجنب النظر فى عينيها واكتفى بإيماءة مرتبكة من رأسه بمزيج من المرارة والأسف تنفرج شفتيه:

شكرًا إنك وثقتى فيا، لانت ملامح فاتن للأسف والحرج الباديان على ملامحه فقالت هامسة.. إزاى دخلت لعقلى!

مط شفتيه وهز رأسه فى عدم معرفة فى اللحظة التى اقتحم فرانكلين باب الغرفة تتقافز الشياطين الدموية فى عينيه يشهر سلاحه متسائلًا فألجمته مفاجأة سقوط حارسية مغشيًا عليهما وشريف يقف فى وسط الغرفة مع فاتن.

صمت لحظات يغالب مفاجأة استحوذت عليه ثم رفع سلاحه تجاه شريف فى ارتباك يتطلع لعينى الأخير وقد استعر الغضب داخلهما وقد بدت من العمق وكأنهما بنران سحيقان تتصارع فى قرارهما دوامات ثائرة متلاطمة انعكست على قسمات وجهه فبدا شريف كشخص جاب وطاف أودية الأرض ومحيطاتها وبحارها وأنهارها من شرقها لغربها حتى اكتسب حكمة الكون وخبرة الدهر تشع المعرفة من بين أهداب عينيه.

حانت نظرة خاطفة من فرانكلين لشاشة التابوت والتى أشارت أرقامها بذاكرة تقدر بـ ٨٥% امتقع على إثرها وجهه بعد أن انخفضت ثقته لحد التلعثم وخبا بريق عينيه وانطفأ فبدا خائفًا وجلًا أمام نظرات شريف الحارقة:

- شريف، إحنا إللى حميناك لولانا ما كنتش هتعرف تعيش فى الدنيا.

استعرت أكثر عينا شريف بالنيران وبصوت بدا أعمق من المألوف:

- عملتوا منى مسخ فرانكلين، حيوان أليف بتلعبوا بيه وبحياته.

- ما تنساش نفسك يا شريف، إنت واحد مننا وكلنا جزء من منظمة كبيرة اتولدت من آلاف السنين، وبنسعى كلنا لتحقيق أهدافها

ضاقت حدقتا شريف وهو يتساءل فى استنكار، هتستفادوا إيه من كل ده يا فرانكلين!!

- (لن نحكم العالم إلا بعد زوال ثلثيه بفوضى عالمية تبدأ من هنا)

ردد فرانكلين العبارة باحترام وعلى نحو نموذجى بدا معه أنها أحد الأسفار المقدسة لديه ثم أضاف ضاغطًا على حروفه: وإنت أهم أداة لتحقيق الهدف ده وهيبقالك سلطان كبير معانا بعد ما يتحققلنا المراد.

ابتسم شريف فى مرارة هازئًا

- الكلام ده تدخلوه لعقلى وأنا فى صندوقكم مش وأنا فى كامل وعيى يا فرانكلين، مصيركم الهلاك إنتم وشيطان الجن بامفويت إللى عايزين تبقوا عبيد عنده بإرادتكم

ابتسم فرانكلين بدوره فى خبث أعاد إليه شيئًا من ثقته قائلًا:

- الجن؟! إنت متأكد من كلامك!؟

امتقع وجه شريف وقد فهم ما يرمى إليه فرانكلين بعبارته، كان بالفعل يتحدث بينما الأفكار تموج فى رأسه، محيط عاصف من الذكريات طفت بغتة على السطح تتزاحم وتداخل ولكنها واضحة براقه انجلت معها حواسه وسرت لها موجات من الطاقة عبر أوصاله، شعر وكأنه يسمع ويرى أمورًا لم تكن مسموح له برؤيتها من قبل، شعر وكأنه قادر على تخطى الزمان والمكان، شعر بجانبه الآخر وقد استيقظ يعلن عن وجوده بعد عملية استرجاع منقوصة، شعر أنه بالفعل مزدوج الدماء والجينات.. شعر بأنه نتاج عملية اقتران، ولكن شعر كذلك بأنه تعامل كحيوان أليف أو ذبيحة تترك لتسمن حتى يحين موعد ذبحها، حياته كلها وهم، ذكرياته سراب يحسبه الظمآن ماء، احتدم الغيظ فى صدره فغلت له مراجله



وعادت شعلة الغضب تُضرم من جديد فى عينيه حتى لفح لهيبها وجه فرانكلين فعاد متحفزًا يحكم قبضته حول مقبض سلاحه يوجهه فى إحكام لشريف وهو يقول:

- شريف أنا ممكن أخد العينة من السائل الشوكى بعد ما أقتلك مباشرة!!

لم يلق شريف بالًا لتهديد فرانكلين وهو يتقدم نحوه تعكس عينيه بريق انتقام ملأ جوانبه حتى تملكه، فأطلق فرانكلين رصاصة شهقت لها فاتن فى هلع لكن شريف كان قد تنحى جانبًا يتفاداها مما دفع فرانكلين لهستيريا أطلق على إثرها وابلًا من الرصاصات تجاه شريف الذى تحرك بسرعة عجيبة لم يختبرها يومًا فى حياته أقنعت فرانكلين أنه لا جدوى من المحاولة فعملية الاقتران قد حفزت الجانب الوراثى لديه، جانب من عالم الجن اقترنت إحداها يومًا بأمه حتى يناكحها والده فكان هو النتاج النادر مزدوج الجينات الذى لا يتكرر إلا كل عقود وأجيال يحمل جينات مشتركة بين العالمين.

أدار فرانكلين فوهة سلاحه تجاه رأس فاتن فى محاولة منه لإخضاع شريف هاتفًا فى توتر، مش هقدر أقتلك يا شريف لكن أقدر أقتلها هى قدام عينيك زى ما مراتك دينا ماتت قدام عينيك وما قدرتش تعملها حاجة، فكر كويس يا شريف إنت معانا هيكونلك شأن كبيـــ.......

لم يكن فرانكلين يعلم أو يتوقع أن عقل شريف سيظل معلقًا بذكرى زوجته دينا من بين كل الذكريات التى عادت إليه، لم يكن يعلم أنه سطر نهايته بتلك العبارات الخاطئة التى اختارها لإخضاع شريف فكانت النتيجة أنه لم يستطع أن يكملها بسبب رأسه الذى دار نصف دورة قرقعت على إثرها عظام وعضاريف عنقه عندما تحرك شريف مغاضبًا بسرعة ساحقة وصل بها جواره يدير رأسه بعنف محطمًا عنقه الذى أصبح موجهًا

للخلف جحظت لها عيناه وفغر فاه لم يجد الوقت الكافى حتى ليشهق أو يتألم، فسقط السلاح.. وخر الجسد.. وساد الصمت.

***

لاهثاً ضائعاً هائمة روحه وقف شريف يتطلع لجثة فرانكلين بجوار حارسيه يحترق عقله بشظايا بركان ثار فى نفسه ضاق له صدره وغرقت روحه فى ظلام وكآبة، لم يعد يدرك لوجوده معنى ولا لحياته مغزى، من هو.. من أتى به إلى هذا العالم القاسى، ياللعجب.. لقد اعتقد يومًا أنه يعرف كل شىء عن نفسه روتين حياته أفراحه أحزانه طباعه ثم انهار بغتة كل شىء، انهارت جدران حياته فكشفت خلفها عن صحراء شاسعة قاسية مجهولة.. مست فاتن ذراعه فالتفت إليها شاحبًا يطالعه قلقها البالغ، أطرق ببصره إلى حيث تنظر، بقعة دماء كبيرة تشى بإصابة بالغة إثر طلق نارى من سلاح فرانكلين لم يجد الوقت الكافى لمراوغته، هنا فقط انتبه للألم المبرح، شرعت فاتن تخلع سترتها الجلدية فى لهفة ومرارة لتستعملها للضغط على الجرح، أوقفها شريف قبل خلع سترتها برفق يحاول أن يبتسم فى شحوب:

مفيش داعى يا فاتن وقتنا قليل، تعالى معايا أنا عايزك.

وضع شريف يده على جرح معدته الدامى يسير بجوار فاتن الملتاعة حتى وصلا للبوابة المؤدية للقاعة ذات الإضاءة الحمراء تطلعا عبر أرجائها الخاوية من أشباح عجائز الكهنة، يخطوان فى حذر عبرها إلى حيث البوابة المؤدية للمتاهة وقبل أن يبلغاها تصاعد طنين فى آذانهم تحول تدريجيًا إلى هسيس ألفته آذانهم فوقعت صورة مصدره فى نفسهم دفعتهم لحث الخطا تجاه البوابة لكن وقبل بلوغها تلقوا طاقة عاتية فى ظهورهم من المجهول أطاحت بأجسادهم بعنف شديد ليصطدما بجدار القاعة بجوار

البوابة، تأوه شريف فى ألم متصاعد والجرح ينزف بغزارة، تحاملت فاتن تعاونه على النهوض ثم دفعت البوابة الصخرية فانزاحت جانبًا وما أن انفتحت حتى تلقوا صدمة جديدة دفعتهم خارج القاعة حيث رمال التيه وجداره الصخرى، سعل شريف وراح لونه ودوار الهبوط الحاد يتلاعب برأسه يتحامل على فاتن المنهكة يركضان فى تخبط وتعثر عبر ممرات التيه ومن خلفهم خرج من القاعة كيان طويل القامة مسربل بالسواد الفاحم يتبعهم فى هدوء وثقة ناشرًا حوله هالة من الكآبة والشؤم، شر صافى يمشى على أرجل تنطفى لمروره مصابيح الضياء ويذبل له الأخضر ويتشقق اليابس وتجف له الأنهار.

- دقايق والبوابة هتتقفل.. جنودنا مستنيين محتاجين لملك وقائد ليهم وإلا هينهزموا.

نفض شريف هذه الرسالة الذهنية التى يبثها لعقله شيطان فار من الجحيم يتعامل بالطريقة الوحيدة التى يتقنها طريقة الوسوسة عبر العقل، ظلا يركضان إلى أن بلغ الدوار بشريف مبلغه ترنح قليلًا فأشار لجدار اختبأ خلفه، ركن ظهره عليه ثم انزلق مغمض العينين حتى جلس أرضًا، جثت فاتن بجواره على ركبتيها لاهثة بحديث متقطع:

- شريف لازم نخرج من هنا

مرت لحظة صمت فتح بعدها شريف عينه يتطلع لوجه فاتن فى امتنان قائلًا بشفتين شحب لونهما:

- فاتن.. **(القبة السماوية)**.. والدك كان كاتب الجملة دى فى الورقة إللى لقوها تحت مكتبه فيها اسمى وعنوانى وجملة متشفرة بشيفرة (فيرماخت) الألمانية مع إشارة للخمسين يورو.

فغرت فاتن فمها فى عجب واحتشدت الأسئلة فى عقلها تتذكر ما كانت تعتقد انه آلة كاتبه فوق مكتب والدها تفتر ثغرها فى حنين هامسة فى تفهم، ماكينة تشفير فيرماخت!!



أومأ شريف برإسه بالإيجاب وهو يضيف:

- أنا إللى علمتهاله.. من كام سنة لما كنت عايش فى ألمانيا بشخصية بياع تحف وأنتيكات جالى والدك بعد ما خلص مؤتمر طبى علشان يشترى تذكار فعرضت عليه يشترى نموذج مبسط لماكينة تشفير فيرماخت الألمانية.. وعلشان أقنعه يشتريها، علمته إزاى يستعملها، لكن قبل ما يدينى تمنها جاتلى حالة هيستيريا من ذكريات قديمة اتكلمت قدامه عنها، كان يعرف بعض الأمور دى فقرر يتتبعنى.. وهم قرروا يراقبوه.

سعل شريف ثم أكمل بأنفاس متقطعة:

- أول ما وصلى كان بيحاول يتصل بيا فى السر.. حاول يفكرنى بماكينة الشفرة وبتمنها إللى ما أخدتهوش.. الخمسين يورو.. لكنهم اغتالوه قبل ما يتكلم معايا،

أضاف فى ضعف:

- والدك فهم جزء كبير من الحقيقة وكان بيحاول ينبهنى لحقيقتى بس أنا ذاكرتى كانت ممحية.. وهو ما كانش يعرف.

بهتت فاتن وتلاحقت أنفاسها تشرد ببصرها يمينًا ويسارًا تترقرق عينيها الزرقاء بدموع حبيسة تنشد تحريرها منذ وفاة والدها وجدت أخيرًا الطريق إلى عينها تنساب على وجنتيها دافئة تحمل معها آلام ومعاناة أيام مضت.

هز شريف كتفها يستجدى انتباهها من جديد قائلًا فى إعياء:

- فاتن.. لسه الخطر موجود.. أخرجى من المتاهة عن طريق الفتحة إللى فوق العرش.. اطلبى المساعدة ودورى على (عزت) لازم توصلوا للبوابة قبل ما تتقفل.. أجهزة القبة



السماوية هتساعدك.. اعكسي طاقة الرعي هيتعكس معاها اتجاه فتحها وهتسحب الشياطين إللي دخلتلنا.

- هتيجي معايا يا شريف مش هسيبك هنا لوحدك

هز رأسه نافيًا يغمض عينيه في شحوب مما دفعها لتكرار طلبها في إلحاح وإصرار

- مش هسيبك هنا هنخرج مع بعض يا شريف

ابتسم في أسف وحزن قائلًا:

- أنا مش هخرج من هنا حي يا فاتن، هنا النهاية إللي أستحقها..

احتقن وجه فاتن وانسابت دموعها من جديد تتطلع لوجه وعين شريف بنظرات صامتة علمت منها أن شريف لن ينجو أبدًا من هذا وفقًا لحالته وعينه التي بدأت رحلة غروب نورها، دنت منه بوجهها هامسة له بقلب اعتصره الألم حتى مزقه

.. متشكرة يا شريف.. متشكرة إنك ظهرت في حياتي.. متشكرة إنك وصلتني لحد هنا.. متشكرة إنك عرفتني إن والدي ما ماتش منتحر زي ما كانوا عايزينه يظهر إنما عاش بشرف وعزة وأغتيل بنبل وشجاعة بيحاول يكشف مخطط الشيطان نفسه.. صمتت لحظات تغالب مرارة وحزن تصاعد لحلقها ثم أضافت بصوت خانها بعد أن خرج مبحوحًا متهدجًا ممتزجًا بدموعها:

- متشكرة على كل حاجة

بدموع تقطر عن وجنتيها دارت عينيها تحصي قسمات وجهه في أسى ثم أكملت.. إنت شخص صالح يا شريف ومالكش أي ذنب في كل إللي مريت بيه.

ضغط شريف على راحتها برفق يومئ برأسه يبتسم في امتنان وشحوب هامسًا:



- لما توقف طاقة الرعى وتنقفل البوابة هتحصل موجة تخلخل مدمرة.. لازم تكونى بعيدة عنها.

أومأت برأسها متفهمة دون أن تغادرها ابتسامتها الممتنة، دفع شريف مرفقها يحثها على النهوض، استجابت له فى تردد فى اللحظة التى بلغهما الهسيس يشى بقرب الكيان الشيطانى بامفويت، نهضت تتراجع بظهرها بضع خطوات دون أن تقصر طرفها عنه تتطلع لوجهه فى وداع تعلم يقينًا أنها لن تراه بعده مرة أخرى، ثم التفتت تركض عبر ممرات التيه.

بقى شريف على جلسته أرضًا يتابعها ببصره حتى اطمأن أنها توارت وسط انممرات ثم أغمض عينيه وأسند رأسه على الجدار الصخرى للحظات شعر معها بطاقة مقبضة تحيط به وتعتصره فتح عينه يتابع الكيان المسربل بالسواد يخطو تجاهه، ببقعة دماء اتسعت رقعتها تشى بدماء غزيرة مفقودة تحامل شريف على جدار التيه نهض يواجه الكيان بآخر ما تبقى له من وعى تسرب إليه رسالة ذهنية أخرى

- قسرًا يا عبد بقدرتى آخذ منك سائل عرشى، لكنى بنعيم وبمُلك أبدى أعدك، فكن طوعى.

نظر له شريف بأعين فاترة هازئة مريرة تنفرج شفتيه المزرقتين قائلًا

- النعيم إللى اتطردت منه إنت وأتباعك.. النعيم إللى مش هتشوفه بعينك تانى، بتوعدنى بالنعيم وإنت مكانك الجحيم!!

خيل لشريف أن جمرتين اشتعلتا فى موضع عينين ذلك الشيطان وكان رد فعله عملى للغاية عندما رصد شريف طاقة متدفقة تجاهه فمال جانبًا بسرعة غير كافية لم تمكنه من تفاديها بالكامل فصفعه جزء منها تراجع لها بضع خطوات ثم شرع يتفادى أخرى كانت أكثر عنفًا أطاحت به ليصطدم بأحد جدران التيه ويرتد عنه فوق الرمال ظهر الكيان من العدم أمامه مباشرة بطوله الفارع أبقى شريف جاثيًا على ركبتيه عندما وضع كف يد غضروفية استطالت أصابعها وتكاثرت مفاصلها على رأس شريف، شعر معها الأخير بموجة كهربية عنيفة سرت عبر أوصاله

انتفض لها جسده وجحظت عيناه حتى غابت بؤرتها، لم يعد يرى سوى أطياف وخيالات تشى بقرب نهايته المحتومة، تذكر وجه فاتن تتطلع إليه فهدأت جوارحه قليلًا، كان دائمًا يرى فى عينيها روح زوجته.. تمنى لو يرافقها فى الخطوة الأخيرة، تمنى لو بقى بجوارها يساندها حتى النهاية، كان لديه شعور تجاهها طوال رحلتهما شعور أبت نفسه أن تبوح به.. هل حقًا للأزمات القدرة على توليد طاقة متدفقة من العاطفة تجاه من بقى بجوارنا يشاطرنا إياها، بلا شك الإجابة هى نعم.

لم ولن تسنح له الفرصة أبدًا فى مصارحتها بما تموج به نفسه ربما فى عالم آخر أو حياة أخرى.. ما زال يهزى ووجهها المضىء يدنو منه أكثر وأكثر يراها كالطيف تتوارى خلف حاجز تخرج شيئًا ما من حقيبتها (الـ ويست باج)المعلقة حول خصرها ترفعه مضيئًا أمام وجهها المضطربة جوارحه ثم تشرع فى قذفه له... استيقظ جزء من وعى شريف المحتضر ومن خلف الكيان الشيطانى أبصر فاتن تقف بالفعل خلف جدار التيه تمسك بحجر الضياء ثم تقذفه له وهى تصيح:

(بالضياء تكتسب المجد.. والظلام يبتعد عنك)

التقط شريف الحجر فى الوقت الذى التفت فيه الشيطان بامفويت لفاتن عندما قالت عبارتها وقبل أن يستقر الحجر فى قبضته التى احترقت عند ملامستها إياه، دفع بالجانب المدبب فى قلب بامفويت شيطان الظلام.. إذا كان يملك واحدًا.

تراجع شريف على ركبيته يتفحص حروق كف يده، رفع وجهه فى ألم لذلك الكيان الشيطانى فإذا به يترنح يقرب يده من الحجر المغروس فى موضع القلب دون أن يجرؤ على لمسه إلى أن سقط على ركبتيه بدوره أمام شريف الذى طالعه لأول مرة وجه ذلك الكيان الشيطانى يتلون ويتقلب لعدة وجوه لبشر وشياطين تتباين وتتشكل على نحو مخيف ومفزع ومن بينها استقرت سحنته للحظات على وجه حسين ذلك الصديق

المزعوم لشريف فى الفورسيزون ينظر لشريف فى حقد ومقت بأعين كالجمر ثم احترق وتقلب لوجه آخر جديد لكيانات شيطانية بشعة تحترق على التوالى، هدأت معها جوارح شريف واطمأن بانتقامه من شيطان استطاع خداعه، خرجت فاتن من مخبأها تقترب فى تردد ووجل وصوت الهسيس يرتفع حتى تحول لأنين ثم صراخ بينما الحجر يزداد توهجًا

بأعين ضاقت أهدابها حاولت فاتن تبين حالة شريف وسط الضياء المستعر فإذا بوجهه يتموج ويتشتت مع الضياء وكأنه صورة معكوسة فوق سطح مياه ألقى فيها حجر، بالرغم من عينيه التى أخذت تتراخى فى النزع الأخير إلا أنه كان يبتسم ابتسامة فاترة ممتنة راضية عن الكون وعن الوجود وعن نهايته التى خطها بيديه.

كان ذلك آخر ما استطاعت عينها أن تتحمله قبل أن تغلقها تمامًا مجبرة بفعل قوة الضياء الرهيبة وكأنها شمس صغيرة أشرقت وسطهم تلفحهم بضياءها المستعر حتى أهداب عينيها لم تنجح فى حجب كامل قوة الضياء فوضعت كف يدها تخفى عينها وهى تتراجع، فى فزع عندما دوت صرخات عاتية ارتجت لها الأرجاء ودفعتها للابتعاد فى ألم ومرارة، متبعة قاعدة فيلمنج معكوسة (لليد اليسرى) عائدة أدراجها للعرش الصخرى تقفز داخل البحيرة الصغيرة حوله ثم تتسلقه وهى ترتجف ثم حشرت نفسها فى الفجوة العمودية فوقه تعتمد بظهرها وقدمها فى تسلقها بوضعية صعبة رفعت من معدل تنفسها وخفقات قلبها لحدود الإغماء لكن بصيص من ضوء خافت بدا فى نهايتها بالأعلى أعطاها دفعة معنوية تحولت لطاقة جسدية حثتها على استكمال الصعود ومغادرة تيه معبد أرنينى تتساقط بداخله الصخور تزامنًا مع صرخات ألم عاتية وضياء أتت على كل ما هو مظلم وشيطانى.

توقفت الصرخات وساد الصمت أنحاء التيه أسفل مبنى مينيرفا فلا تسمع من أحدٍ منهم رِكزا، إلا من صوت حفيف الرمال والصخور الصغيرة التى



مازالت تتساقط على استحياء وحذر كما لو أنها تخشى تمزيق أستار الصمت.



الفصل (٤٠)

نأى فريق تصوير إحدى القنوات الإخبارية بنفسه عن التكدسات البشرية للمتظاهرين بميدان مصطفى محمود عندما وجد مساحة صغيرة خالية وضع المصور فيها حامل الكامير وضبط عدستها يركز على مراسل يعدل من رابطة عنقه ثم يتنحنح عندما أعطاه المصور علامة البدء فانطلق بصوت مرتفع في محاولة للظهور على أصوات المتظاهرين الصاخبة:

عودة مرة أخرى أعزائي المتابعين للبث المباشرحول نقل فاعليات مظاهرة حاشدة وسط ميدان مصطفى محمود زي ما حضراتكم شايفين الحشود ماليه الميدان عايزة تلفت انتباه الحكومة لمؤامرة غريبة وفريدة من نوعها ومن المرجح إنها السبب في حالة الدموية إللي بتحصل في شوارعنا الأيام إللي فاتت وسط تواجد طفيف من رجال الأمن ورجال الشرطة إللي واضح إن عندها تعليمات بعدم التعرض أو التدخل بالقوة وفيه معلومات إن فيه اجتماع للسلطات مع رؤس المظاهرة للنقاش حول طبيعة المؤامرة وفي انتظار ما ستسفر عنه المفاوضات، وانتظار قوات دعم و حماية المنشآت......

أشار المراسل لأحد الشباب القريبين فاقترب الشاب بأنفاس متقطعة يستمع لسؤال المذيع:

- أحد شباب المسيرة معانا دلوقتي هنسأله، إيه إللي تعرفه عن المؤامرة إللي المسيرة بتحذر منها وإزاي عرفتوا المكان والزمان؟

بصوا حواليكوا وشوفوا سلوك الناس الإجرامى والدموى، إللى ما يشوفوش من الغربال يبقى أعمى، الناس مغيبة.. والفطرة اتكسرت.. والقتل والدبح بقى بسبب ومن غير سبب.

صمت الشاب لحظات يلتقط أنفاسه ثم عاد مكملًا.. الطقوس دى كان متخطط إنها تتعمل فى ٢٠١١ من منظمة يهودية قديمة لكن وقفنالهم وقتها، وهنقفلهم تانى دلوقتى وهانـــ.....

بتر الشاب عبارته عندما تصاعد صياح جموع من الشباب يهرولون تجاه أحد الشوارع الجانبية التى تطل عليها البوابة الخلفية لمبنى مينيرفا، اندفع الشاب دونما تردد راكضًا ينضم لأعداد الشباب المتدافعة داخل الشارع الصغير.

استرعى الصياح كذلك على انتباه عزت فتوقف عن محاولته المئة للاتصال بشريف ودس هاتفه فى جيبه يشير للسنباطى بأنه سيتفقد الأمر، تبعه النقيب (عمرو) ليهبطا سلم البناية يدوران حولها مهرولين مع نهر الشباب المندفع تجاه بوابة خلفية تقع أعينهم على جراج المبنى وقد قبض الشباب على أربعة رجال عجائز لم يتمكنوا من تغيير ملابس الكهنة السوداء المطرزة بخيوط ذهبية خرجوا متسللين من البوابة الخلفية فى محاولة للفرار بعد فشل ذريع كان حليفهم، وصل ضابطين من الشرطة إليهم يحاولان جاهدين تخليص العجائز قبل أن يفتك بهم الشباب، ومن الجانب الآخر دفع النقيب عمرو جموع الشباب فى محاولة منه لمعاونة زملاءه لكن بوق سيارة شرطة اقتحمت المشهد تفرق الجموع توقف على إثرها عمرو وعزت يتابعا سيارة زرقاء لامعة ضخمة فارهة من طراز **(تويوتا هايلكس)** الشهيرة بقوة دفع رباعى ومحرك جبار تعد أثمن وأقوى ما لدى قوات الشرطة تبين أنها من سيارات قوات التدخل السريع التابعة للقوات الخاصة يزين جانبها شعار بندقيتين متقاطعتين تتوسطهما قبضة مضمومة، نزل منها ضابط رفيع الرتبة يشير لضابطين بلباس ميدانى حالك السواد ولثام يغطى نصف وجوههم اخترقا الجموع كالزئبق



ليستخلصوا العجائز من أيدى المتظاهرين فى اقتضاب وحدة تراجع لها ضابطى الشرطة العادية ليفسحا لهما الطريق، يجرون العجائز جرًا للسيارة وسط احتجاجهم وذعرهم يرددون بإنجليزية وعربية ركيكة أنهم ممن لديهم حصانة دبلوماسية ولا يحق للشرطة المحلية اعتقالهم على هذا النحو، جاء الرد عليهم من الضابط رفيع الرتبة:

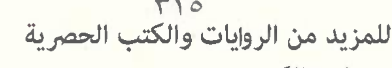
- أعمالك تم تصنيفها أعمال إرهاب تضر الأمن العام، ودى تهم تسقط معاها أى حصانة.

أعاد الضابطين دفع العجائز للمقاعد الخلفية لصندوق الهايلكس فى غلظة وما أن صعد ثلاثتهم حتى انطلقت السيارة بقوة تعلن نهاية مؤامرة تحاك من عهود خلت.

وعلى بعد أمتار وقف عزت والنقيب عمرو متجاورين فى صمت ظاهرى ومشاعر متلاطمة.

***

بالرغم من كون الأجواء خانقة مغبرة قارصة البرودة والشوارع مشتعلة بجرائم عنيفة فشلت معها قوات الدفاع المدنى بمساندة الجيش فى احتواءها إلا أن أعداد الحشود فى ميدان مصطفى محمود بدا أنها تتزايد بينما يثار وسطه شيئًا من التوتر والشغب المريب تسبب فى موجة فوضى كبيرة لا مبرر لها اضطر معه بعض الشباب للتدخل للسيطرة على هؤلاء المعتدين الذين بدا من نظراتهم الغائبة وأعينهم القانية أنهم أصيبوا بشيء ما غير طبيعى أرجعه البعض أنها نفس الحالات المنتشرة فى الشوارع الآن، مما دفعهم لتقييدهم وعزلهم عن الحشد بعد أن تأكد لهم نشوب حرب ميتافيزيقة شاملة عليهم وبدأ البعض يتساءل كيف لنا أن نقى أنفسنا شر رحى تلك الحرب الجديدة، أشار أحد الشباب إلى المقيدين مقترحًا إبعادهم عن الحشد لعله مرض معدى، إلا أن أخر نفى ذلك موضحًا أن الأمر خارج نطاق



العقل والمنطق المادى ومتعلق بشياطين وجان، صمت حائر خيم عليهم إلى أن التفتوا جميعًا فى هلع لأحد الشباب عندما قفز بغتة بحركة حادة خفقت لها قلوبهم وتحفزت أعصابهم وشرعوا ينقضوا عليه يقيدونه بعد إصابته بلا شك، إلا أنهم توقفوا يدققون النظر عند موضع قدم الشاب حيث شبكة معدنية لصرف مياه الأمطار يدفعها أحدهم من أسفل تراجعوا يدققوا النظر فى توجس إلى من يطل عليهم برأسه فإذا بامرأة مغبرة حالتها مزرية رغم كونها تجاهد فى إعياء للخروج فى صعوبة إلا أن أحدًا لم يجرؤ على معاونتها الجميع وقفوا قلقين مترددين تجول بخواطرهم الظنون، دفعت المرأة التى لم تكن سوى فاتن نفسها دفعًا خارج فتحة مصفاة المطر التى كانت نهاية مطاف الأنبوب الممتد فوق العرش الصخرى وسط تيه أرنينى.

نهضت تلهث فى ذهول تدور بأعينها ورأسها وجسدها فى ميدان كان خالى منذ قليل ثم أصبح يعج بالحشود والمتظاهرين على نحو لم تشاهده فى أكثر أحلامها غرابة، التفتت إلى المبنى الممثل لبومة مينيرفا بغتة كمن عادت إليها ذاكرة غائبة حيث بداية رحلتها داخل معبد أرنينى أسفله، وحيث تركت عزت.. عزت!!

يجب أن تجده حتى يعينها فى الخطوة الأخيرة كما أراد لها شريف، هو من يعلم ما يدور حولهم، حاصرتها النظرات المتسائلة، إلا أنها لم تشأ إهدار ثانية واحدة فى الرد على إحداها، اندفعت تهرول تجاه المبنى تختلط بالمتظاهرين توقفت لحظة تمسك بمعصم أحد الفتيات تلقى نظرة على ساعة يدها التى أشارت عقاربها للحادية عشر وخمسة عشر دقيقة.. لم يتبق سوى ٤٥ دقيقة، حثت الخطا تجاه بناء مينيرفا على بعد سبعين مترًا تقريبًا ثم تحولت هرولتها إلى الركض عندما تبين لها شخص طاعن فى السن يقف متوترًا بالقرب من بابه تمنت معه لو أن الضغط العصبى الذى مرت به لم يؤثر على رؤيتها، نادته أثناء ركضها عدة مرات حتى انتبه

إليها يضيق من حدقتي عينيه في تفحص حتى أصبحت على بعد بضعة أمتار منه، تهللت أساريره يهتف في سرور مبادرًا بالتوجه إليها:

- فاتن!!.. فاتن يا بنتى قلبنا عليكى الدنيا.. كنتى فين
- دكتور سنباطى!!

توقف أمامه لاهثًا فى حالة سيئة للغاية تشير أسفل المبنى قائلة بصوت متقطع.. نموذج لمعبد أرنينى تحتنا.. قدرنا نوقف تنصيب شيطان الظلام بامفويت

نظر إليها السنباطى فاغرًا فاه بنظرة تجمع بين الذهول والتشكك والرهبة مغمغمًا:-

- بامفويت.. نفسه!! أومأت فاتن برأسها إيجابًا ليكمل السنباطى فى ذهول وحذر.. وشريف.. طلع زى ما قلتلك وزى ما توقع نجيب!!

هزت فاتن رأسها نافية بشدة

- إحنا فهمنا غلط يا دكتور والدى ما كانش بيحذرنا منه.. والدى كان بيحاول يساعده.. شريف كان إنسان صالح يا دكتور، دحر بامفويت وضحى بنفسه علشان يدينا وقت ننقذ فيه نفسنا من الفوضى

ثم تطلعت لأعين السنباطى التى حاصرتهما التجاعيد تكمل فى جدية لاهثة:

- البوابة النجمية.. فاضلها أقل من ٤٠ دقيقة قبل نهاية مرور نيبرو.. لازم نلحقها قبل ما تتقفل.

تطلع السنباطى لعينيها يبحث مدى جدية ما تقوله.. قصدك قبل ما تتفتح!!

هزت رأسها نافية من جديد



- البوابة مفتوحة من أسبوع.. ثم أشارت بيدها للخارج مكملة.. الشياطن والجن فى كل مكان، لازم نعكس البوابة ونرجعهم لجهنم إللى جم منها.. أجهزة القبة السماوية هتساعدنا.
- مفتوحة من أسبوع!!.. أجفل السنباطى بعد أن امتقع وجهه يزدرد لعابه يلقى نظرة لساعته وقد بدا على وجهه أمارات الارتياع مضيفًا.. لو الشياطين ما رجعتش يبقى ربنا يرحمنا.

اكتفت بإيماءة من رأسها كانت كافية لينطلق عقل السنباطى مفكرًا بصوت مرتفع

- القبب السماوية إللى بتبقى فى المراصد الفلكية!!.. لكن أنهى واحد يا فاتن.. فيه القبة إللى فى مكتبة الإسكندرية.. وفيه القبة القديمة فى الجزيرة جنب نادى الجزيرة، وفيه قبة جوه أسوار الكلية الحربية فى مصر الجديدة، وفيه قبة فى مدينة السادس من أكتوبر وأكبر قبة فى الوطن العربى فى القطامية.

شحب وجه فاتن على شحوبه وتشتت أفكارها على مسافة ألف ميل، بينما عقلها تاه فى بئر مظلم لا قرار له، تعثرت بحقيقة غابت عنها.. أقرب قبة سماوية على بعد ما لا يقل عن خمسون دقيقة كيف كان يناشدها عكس طاقة الرعى منها قبل منتصف الليل، أضافت فى يأس:

- كان عايزنى أفصل طاقة الرعى بين المنارة والقبة قبل ما تتقفل!!
- منارة وقبة!!.. مفيش أى منارات فى القاهرة كلها!

أمسكت فاتن بجبهتها تعتصر ذاكرتها المنهكة وأفكارها المبعثرة تتمتم وتحدث نفسها:

- يمكن ما يقصدش منارة بالمعنى الدارج!!

مرت عليها لحظات نسيت فيها التقاط أنفاسها، أفكارها تتبارز كرعاع الرومان داخل الكوليسيوم، انفرجت شفتاها فى شرود.. شريف لما فاق



قالى إنه عاش فى دول غربية كتير.. وهم هناك وبالأخص أمريكا.. بيقولوا منارة *(Minaret)* علـى مآذن الجوامع.. احتمال شريف يكون اتأثر بذكرياته فى الغرب لما رجعتله .

غمغم السنباطى بكلمات غير مفهومة يحدث شياطين أفكاره ثم عاد إليها:

- لو يقصد منارة يعنى مئذنة يبقى مفيش غير مكان واحد بس فى البلد كلها فيه أجهزة فلكية معموله فوق قبة مسجد ومئذنة

قفزت الفكرة فى عقل فاتن بغتة فأضاء نور الحقيقة جنباتها اتسعت له أعينها فى ذهول تحاول استيعاب فكرة بدا واضحًا من أعين السنباطى أنها زارته فالتفتا معًا ببصريهما فى بطء تجاه ميدان مصطفى محمود يتخطى بصرهم إلى ما بعد الجموع والحشود إلى الجانب الآخر من الميدان حيث شارع موازاى لجامعة الدول العربية يسمى شارع (الشيخ صالح موسى) يتطلعا فى صمت للمسجد الضخم المهيب المبنى على مساحة شاسعة من الأرض يتلألأ تحت الأضواء بلونه الأبيض الناصع تشق مئذنته السماء تتوسطه قبة ضخمة جدًا تعلقت بها أبصارهم تتمازج قسمات وجوههم لها بين المفاجأة والذهول والفرح والمسؤولية الجديدة الملقاة على عاتقهما، تمتمت فاتن دون وعى فى افتتان تمرر اسم المكان على أذنها حتى يصَدُق لديها يقين لم يرسخ بعد:

الجمعية الفلكية فى مسجد مصطفى محمود!!



الفصل (٤١)

التفت النقيب عمرو يبحث عن سيارة الشرطة التى وصل بها مع السنباطى فوجدها محاصرة بجموع المتظاهرين يدفعونها بعنف وكأنهم يفرغوا طاقة غضب لديهم فى كل ما هو رسمى وحكومى، جذبه عزت مشيرًا لسيارته الجيب السوداء الرابضة فى مكانها، ركضا إليها يتخطون الجموع بينما النقيب عمرو يتحدث عبر هاتفه اللاسكلى يشرح أمورًا خطيرة.

ما أن وصلا للسيارة حتى قفزا داخلها يقودها عزت عبر الحشود فى حذر وبطء أثار أعصابه حتى وصلا لمشارف الشارع الجانبى فانطلق بها فى سرعة جنونية يجتاز الشوارع الخالية بقلب متواثب يسابق الزمن.

يشرح للنقيب عمر وجهة نظره التى وافقه عليها وصادفت نفس ما استقر عليه يقين عزت، انحرف لشارع جانبى وصل معه لمفترق طرق تردد عندها عزت لحظات إلى أن أشار له عمرو تجاه أحد الشوارع هاتفًا:

- ادخل الشارع ده.

انحرف عزت بسرعة جنونية أطلقت لها إطارات السيارة صريرًا مزعجًا فى اللحظة التى لاح له شارع كبير خاوى تمامًا مما دفعه لتبديل موضع ناقل السرعات لموضع أعلى سجل معه مؤشر عداد السرعة ما يزيد عن ١٥٠ كم فى الساعة نهبت معها السيارة الأرض نهبًا تطوى المسافة تتبع أربعة عجائز ملقى القبض عليهم من قِبَل جهه أمنية عليا يحاصرهم ضباطها الثلاثة داخل سيارة تنطلق بسرعتها القصوى يغلف الجميع داخلها صمت مهيب قطعه الماستر قائلًا فى امتنان:

- تدريبكم مثالى أقنعتونى شخصيًا

نزع الضابطين اللثام عن وجوههم تشع من أعينهم ابتسامة ظافرة يلتفت الضابط رفيع المستوى إليهم فى المقاعد الخلفية قائلًا فى جذل وهو يخلع رداء القوات الخاصة المصرية:

- محترفى (بلاك وورلد) فى خدمتك ماستر.

أومأ الماستر برأسه فى امتنان يبتسم ابتسامة شاحبة حزينة لاضطراره الاستعانة بخطة الطوارئ فى حال فشل عملية البوابة النجمية، لتأمين الهروب عن طريق الـ (البلاك وورلد) أكبر شركة عالمية خاصة تقدم خدمات أمنية وعسكرية تضم جيش مسلح بأعلى التقنيات يصلح لجميع العمليات فى جميع الأراضى وتحت أحلك الظروف، أغمض الماستر عينه فى مرارة يحاول أن يتناسى الفشل الذى منى به اليوم إلى أن ربت أحد الكهنة على كتفه مواسيًا بقوله:

- ماستر، نجاحنا فى فتح البوابة لمدة أسبوع يعتبر جزء من النجاح هيعانو من أثره لسنين.

ابتسم الماستر ابتسامة هازئة مريرة ثم ظل مغمض العينين واجمًا.

***

(أكيد ناويين يهربوا لبلادهم.. وده أنسب وأسرع شارع بيودى لطريق المطار)

قالها النقيب عمرو موضحًا سبب اختياره لذلك الشارع فى ملاحقة سيارة التدخل السريع المزيفة فى الوقت الذى لاحت لهم بالفعل السيارة من بعيد متوقفة على يسار الطريق مما دفع عزت للتقليل تدريجيًا من سرعته وهو ينظر فى لوحات أرقامها شارحًا:

- أرقام عربيات الشرطة كلها بتبقى حرف ورقم وجنبهم أربع أرقام، أما ده فأرقام عربيات عادية

أومأ النقيب عمرو برأسه موافقًا وهو يضيف:

- الأهم إنه طبقًا لتكنيك قوات التدخل السريع مستحيل عربية من عربياتهم تخرج لوحدها لازم تخرج عربيتين.. واحدة ارتكاز والتانية محورية متجولة، أو أربع عربيات اتنين ارتكاز واتنين محور متجول وهكذا. **(حقيقة)**

أنا خدمت فترة معاهم وعارف إنه لو انطبقت السما على الأرض مش هتخرج عربية تدخل سريع لوحدها.

أومأ عزت برأسه متفهمًا بدوره يدير عجلة القيادة يمينًا يوقف سيارته الجيب على الجانب الآخر من الهايلكس، قفز منها يستل عمرو سلاحه النارى ويقترب بخطوات حذرة من السيارة تبعه عزت فى قلق وريبة، يتابع عمرو وهو يدنو من السيارة ويلقى نظرة سريعة عبر زجاجها ثم يفتح أحد أبوابها يصوب سلاحه لمقاعد خاوية.

بدت خيبة الأمل على ملامحه تحولت لتساؤل ثم وجوم وتصلب يحدق فى تسلسل رقمى مضىء فوق جسم صغير مثبت بجوار دواسة الوقود يشير لثلاث ثوان أدرك على الفور ما يعنيه، استدار راكضًا يشير لعزت بالابتعاد تراجع الأخير فى تردد فى اللحظة إلتى وصل النقيب عمرو إليه يدفعه بقوة ويسقطا معًا اهتزت بعدها المنطقة بانفجار ساحق عصف بالسيارة وحولها لشظايا مع كل من حولها ارتجت له المنطقة يتردد صداه كالرعد حتى أن أذن الماستر التقطته من داخل سيارتهم الجيب الجديدة التى تنطلق بهم على بعد حوالى خمسة كيلومترات بعد أن استبدلا الهايلكس بها وتركا الأخيرة مع قنبلة شديدة التدمير، أغمض عينيه ثم فتحهما يلتفت لأحد مأجورى (البلاك وورلد) فى تساؤل فقال له مطمئنًا:

- عشر دقايق ونكون فى المطار ماستر، جوازات سفركم الدبلوماسية جاهزة.

هز الماستر رأسه إيجابًا فى فتور ثم عاد يغمض عينيه يسبح فى ظلام أحلام يقظة لم تتحقق.

***

جلس (عدنان) فى توتر وقلق انعكس على ساقه التى راح يؤرجحها دون وعى يتابع بأعين لا ترى صالة السفر داخل مطار القاهرة الدولى، وهاتفه فى يده لا يكف عن العواء كل دقيقة يحمل له أخبار معاونيه فى كل مكان

يقوموا بعملية تصفية وبتر لكل الأذرع المعاونة لهم التى قد ترشد إلى شخصياتهم بعد انتشار خبر فشل المهمة وهروب الكهنة، عوى الهاتف من جديد فأخرسه بزر إجابة المكالمة وعبر سماعته تلقى خبر إتمام تصفية الجميع فى نادى الزمالك الاجتماعى وعلى رأسهم (عفاف) تلك المسكينة الفاتنة لن تضع طلاء الشفاه فاقع اللون من جديد وتتهادى وسط رواد النادى.

تبسم هازئًا ثم نهض على صوت مكبر الصوت الداخلى لمطار القاهرة يحث ركاب الطائرة المتجهة إلى لندن بالتوجه لبوابة الدخول، سار وسط المسافرين حتى مر عبر البوابة ثم توقف لحظة والتفت يجول بعينين ملؤهما الغيظ والكراهية ثم عاد يمضى فى طريقة نحو سلم الطائرة.



الفصل (٤٢)

منذ أن قام بتأسيسها العبقرى الراحل (الدكتور مصطفى محمود) عام ١٩٨١م بقيت (الجمعية الفلكية) على أطراف (ميدان مصطفى محمود) فوق المسجد الذى يحمل اسمه منارة نافذة على الفضاء السرمدى عبر قبتها التى تنزاح كهربائيًا لتكشف النقاب عن أربعة تليسكوبات هائلة ألمانية الصنع تجوب فسيح ملكوت السماوات بعدساتها الكاسرة والعاكسة ذات قوة تقريب جبارة محاطين بأجهزة مرشحات هيدروجينية تراقب الشمس عن كثب، وأجهزة (dance) لمحاكاة نظام المجموعة الشمسية بتواجد من كاميرات كهروضوئية غاية فى القوة والدقة يتم توجيهها أوتوماتيكيًا بنظام الخرائط الفضائية أطلس تستمد طاقتها عبر (مزود للطاقة) ذو جهد عالى جدًا يغطى احتياجها للكهرباء **(حقيقة)**

لطالما شاركت فى تسطير تاريخ علوم الفضاء فى البلاد، ويبدو أن دورهم سيظل مستمرًا فى تسطير التاريخ بشهادتهم لحرب ميتافيزيقية ستتسبب فى أكبر حالة فوضى عرفتها البلاد.

دارت هذه الأفكار فى عقل فاتن تسترجعها بحكم دراستها المتعمقة للفلك، تركض أمام السنباطى الذى يلاحقها لاهثًا وسط ميدان تكدس بالبشر، ليعبراه فى صعوبة يلاحقهم استنكار وتساؤل يطل من أعين بحر متلاطم من المتظاهرين، وصلا للجانب الآخر ثم عبرا شارع (الشيخ صالح موسى) حيث يقبع المسجد الضخم بأدواره الثلاثة تبرز من وسط قبته ومئذنته قبة أخرى فلكية، توقفت فاتن ترنو ببصرها إليها، تلتقط أنفاسها وترتب أفكارها، لا مجال لأى أخطاء.. إن لم تكن تلك القبة هى المقصودة فلا وقت لديها لتصحيح المسار، ألقى السنباطى نظرة سريعة لساعته ثم أضاف.. حداشر وخمسة وتلاتين دقيقة.

رغم إعياء فاتن الشديد إلا أنها لم تكن بحاجة لتحفيز أكثر مما صنعه الأدرينالين الذى امتلأت به عروقها اختلط بدمائها فأورثها وعى إضافى على وعيها بينما صورة والدها لا تغادرها، يجاهد لكشف مؤامرة خبيثة اغتيل على إثرها غدرًا، شريف شاحبًا شحوب الموتى يناشدها همسًا إنقاذ الجميع .. عشرات ضحايا مس شيطانى يتساقطوا بالخارج.. هذه تضحيات لا يمكن أن تذهب سدى.

اقتحمت باب الجمعية، قفز فوق درجات السلم وفى عقلها بؤرة مظلمة بقيت بلا إجابة، ماذا يوجد فى الأعلى يمكن أن يقوم بعكس طاقة الرعى فينعكس اتجاه البوابة!!

.. صاعدًا إذا ما صعدت عبر حدود ثلاث مع ثلاث حتى خطفت الخطفة وغرك الغرور وبلغت الحبور وظننت أنه النشور...

توقفت فاتن بغتة واستدارت بجسد اقشعر خوفًا ورهبة عندما أعيد على مسامعها تلك العبارات بصوت السنباطى منقولة عن كتاب مفتاح سولومون.. آخر مرة سمعتها كانت بصوت شريف داخل شقة السنباطى نفسه فى ظروف مخيفة ودموية للغاية، أردف السنباطى شارحًا لها يرفع وريقة صغيرة تراصت فوقها العبارات:

- كلمات تحصين سليمان.. نجتنى كتير من محاولات اغتيالى بالمس والاستحواذ بعد وفاة والدك.

نالت العبارة شيئًا من صلابة فاتن فالتفتت تفرغ شحنة خوفها فى مواصلة القفز فوق درجات سلم الجمعية، تتمنى أن تجدى هذه العبارات نفعًا.

- **أعادتك همسة الكون السابعة ملومًا مدحورًا...**

دنت من الطابق الثانى تتردد كلمات السنباطى اللاهثة من ورائها وسط السكون المطبق تصنع موسيقى تصويرية لفيلم سينمائى مخيف عن الأماكن المسكونة بالشياطين والأشباح هى بطلته، وقعت عينها على عدة

قاعات على جانبى السلم أبصرت داخل إحداها صناديق زجاجية تحوى أحجارًا كريمة وحفريات نادرة وصخور ذات ألوان وأشكال عجيبة كانت تعلم أنه المتحف الجيولوجى الملحق بالمبنى وأمامه على الجانب الآخر أحواض زجاجية لأحياء مائية نادرة وغريبة تمثل متحف الأحياء المائية حيث يقعا فى الطابق الثانى أسفل الجمعية

- **بسلطان سليمان العظيم عليكم أجمعين احمل رجسك وعد ملومًا مدحورًا...**

طالعتها عدة لوحات لأجرام سماوية بجودة عالية رائعة الجمال متراصة على امتداد طول السلم المؤدى للطابق الثالث علمت معها أنها دنت من بغيتها.

- **تلاحقك ومن عاونك اللعنة أينما حللتم فإن لك موعدًا عند من لا يخلف الميعاد ولا يضار مع اسمه أحدٌ من العالمين.. آمين.**

وصلا للطابق الثالث تدور أعينهم فى حيرة على عدة قاعات، تتراص داخل إحداها مقاعد خشبية أمام شاشة عرض ويحتل باقى الجدار المقابل صورة متوسطة للمفكر الدكتور(مصطفى محمود) وعدا ذلك فقد كانت الحجرة خالية الوفاض عاد السنباطى أدراجه يتفحص مع فاتن أسماء الحجرات المغلقة يقفز ببصره بين حجرة (الحاسب الآلى) وحجرة (معمل للتصوير) و(المكتبة الفلكية) ثم قاعة (القبة السماوية)، توقفت أمامها فاتن تمد أصابع متوترة للمقبض قبل أن تلتفت للسنباطى تستجدى منه نظرة دعم وحث جاوبها بإيماءة متوجسة من رأسه أدارت على إثرها مقبض البوابة تدفعها ببطء تصطدم بظلام نسبى لا يهتك ستره سوى بصيص من ضوء قمر أصفر شحيح مغبر تسرب عبر القبة المنزاحة إلكترونيًا كاشفة عن سماء ملبدة بغيوم مقبضة تشقها أذرع برق ينعكس ثناها فوق معدن

أجسام تليسكوبات القبة السماوية الأربعة المتراصة وكأنها مدافع موجهة للسماء تحيط بها ذخائرها.

اقشعر جسد فاتن وهى تخطو داخل القاعة تلاطمها دوامات الهواء المثلج المتدفق عبر القبة المكشوفة تصاحبها التساؤلات والهواجس والسنباطى، أين البوابة.. لماذا أحضرنا شريف إلى هنا!، تمنت لو بمقدور السنباطى أن يجيبها ولكنها تعلم أنها لن تحصل على شيء من أستاذ فى التاريخ بينما هي المتخصصة فى علم الفلك يتعين عليها معرفة كيف لأجهزة فلكية أن تساهم فى عكس اتجاه بوابة نجمية من الشر للخير لم يمهل القدر شريف لإخبارها بكل شيء لذا عليها أن ترتجل وتفكر أكثر وأكثر، لمحت بعينيها القلق البادى على السنباطى عندما رفع يده يتطلع لساعته قبل أن يغمغم هامسًا وكأنه يريد تحفيزها مع خشية إثارة توترها

- باقى عشرين دقيقة

التقطت أذنها العبارة ثم تجاوزتها بتفكيرها تعيد ترتيب أفكارها، فى اللحظة التى ارتفع صوت هسيس متصاعد من الفراغ كاد قلب السنباطى أن يتوقف لسماعه ودفعته لإعادة ترديد طقوس التحصين بينما فاتن تغالب شعور كاسح بالغثيان والدوار العنيف لا تجد له مبررًا مع رجفة باردة تخللت أوصالها استندت لأثرها على أحد المرشحات الهيدروجينية تتمالك نفسها تدور ببصرها فى ضعف تتفحص أجهزة تقبع كالجثث الهامدة، وضع السنباطى كف يده المرتجفة على كتفها قائلًا فى ضعف بدوره:

- إحنا وسط حقل كهرومغناطيسية نشط جدًا نتيجة لتجميع طاقة الرعى.. ثم أضاف بصوت مبحوح.. البوابة قريبة أوى مننا.

كانا يدركان بصورة مبسطة أن الجسد البشرى يقوم بجميع عملياته الحيوية وتحريك أطرافه وأعضاؤه عن طريق كهربية عصبية تسرى من وإلى المخ عبر الأطراف والأوصال بنسب غاية فى الدقة بمقدار قدرة

الخالق، فإذا ما ضربت الجسد البشرى موجات خارجية بقوة كبيرة عملت على إرباك كهربية الجسد البشرى ومعدلاته الحيوية.

وهذا ما شعرت به فاتن وهى تجاهد بعقل بالفعل تباطأت فيه نقل الكهربية العصبية تحت تأثير حقل كهرومغناطيسى أورثه ثقل فى استجابته للإمساك بتلابيب فكرة زئبقية تفلتت من بين ثنايا عقلها المتفتت، خطت فى ترنح تدير مفاتيح تشغيل الكاميرات الكهروضوئية والمرشحات الهيدروجينية، انسابت الطاقة تنعش خلايا الأجهزة وتضىء شاشاتها، أعادت فاتن توجيه الكاميرات الكهروضوئية عبر القبة المفتوحة ثم انتظرت لحظات بدت كالدهر ومضت الشاشات لحظة ثم استقرت تعرض تصويرًا حيًا لما يدور حولهم فوق مجال إدراكهم البصرى.

تصلبا مبهوتين يحدقان لما تنقله لهم الكاميرات الكهروضوئية على شاشة الحاسوب، بحر متلاطم من الطاقة بألوان طيفية متداخلة تموج فوق الشكل الهندسى السداسى وسط الميدان تعكسها الحواف السداسية الرخامية بشكل مركز لتصنع فى الأفق صورة من الطاقة للنجمة تموج بألوان خلابة وكأنها سديم كونى صغير يسبح فوق الميدان مباشرة، كان سيبدو بديعًا خلابًا لولا استمرار تدفق عشرات الكيانات قاتمة اللون غير متضحة المعالم عبرها إلى الداخل مقترن بتصاعد هسيس انتقل عبر مجسات صوتية متعلقة بالتليسكوبات إلى سماعات الحواسيب، تملكهم فزع يمازجه وجوم والقنوط ليس منهم ببعيد وكأنهم يرون اللعنات تنصب فوق رؤسهم كحمم يأس لا رادع لها، بوعى شارف على الغروب رفع السنباطى الوريقة يعيد ترديد كلمات التحصين بينما فاتن تتلفت حولها يميد بها المكان تكاد تلفظ قلبها من فرط الانفعال، لماذا وجهها شريف هنا تحديدًا ما دامت البوابة مفتوحة فوق منتصف الميدان، ماذا يوجد هنا يمكنه أن يعكس اتجاه البوابة قبل غلقها!!

- **صاعدًا عبر ثلاث مع ثلاث.. أعادتك همسة الكون السابعة إلى الجحيم...**

علقت فى عقلها عبارة السنباطى أثناء ترتيله لطقوس التحصين ترددها ساهمة تُفسرها بصوت خافت (صاعدًا عبر ست.. وتعيدك سبع) تسترجع مشهد النجمة السباعية الأخيرة على غلاف كتاب سليمان تعلقت أعينها بشاشة الرصد التى تعرض نجمة فى الأفق ذات ست حواف ضوئية مازال يتدفق عبرها كيانات شيطانية.

كالأفكار فى العقل ومضت الأجهزة المتراصة حول التليسكوبات فأصبح لها وقع مغاير ورؤية مختلفة، لم تعد تتراص فى عشوائية وكآبة بل غدت متناغمة متناسقة لكلٍ منها أهميه خلقت من أجلها.. أجهزة تكثيف وبث لأشعات ذات أطوال موجية مختلفة عبر أجهزة إضافية مرفقة بالتليسكوبات:

التفتت للسنباطى تتطلع لعينين شارفتا على إعلان الانهيار تغمم له بصوت بالكاد مسموع:

- أجهزة القبة السماوية.. الاستقطاب والبث..هنعمل حافة سابعة فى الأفق للبوابة.. هنعكس بوابة الشر لبوابة خير.

بقى السنباطى صامتًا يتطلع إليها بأعين كستها طبقة من الدموع تشف من وراءها عن امتنان ورضا يمازجه الأسى تنفرج شفتين مرتجفتين عن كلمات هامسة:

يااااه!! الحل كان بسيط أوى.. ياريتنا عرفناه من بدرى.. ثم ابتسم ابتسامة شاحبة وتراخت يده الممسكة بالوريقة فسقطت من يده يجرفها الهواء المتدفق عبر القبة بعيدًا فى اللحظة التى سقط فيها على ركبيته بعد أن انهارت مقاومته لفيض الطاقة الذى أخل كثيرًا بمعدلات جسده الحيوية فبدا عقله وكأنه يحلق عبر نفق مظلم إلى بؤرة ضوء فى نهايته، بحالة جسدية شارفت على اللحاق به جثت فاتن على ركبتيها أمامه تهز كتفيه بقوة تدعوه للصمود، هز رأسه نافيًا يشير للخارج مغمغًا بلسان ثقلت كلماته.. طاقة نيبرو هتقف، والضغط هيتخلخل ويسبب انفجار..

اخرجى يا بنتى مفيش وقت.

أجفلت فاتن لتلك الكلمات وكأنها لا تصدق أن ينتهى المطاف بالفشل بعد أن بلغت ذلك الحد، كادت أن تخبو نيران عزيمتها لكن سرعان ما تأججت واستعرت من جديد تهز رأسها نافية الخضوع ترتسم على وجهها الشاحب مخايل عناد دفعها للنهوض بغتة أصابتها بدوار لحظى ترنحت على إثره ثم دفعت نفسها دفعًا لجهاز الاستقطاب والبث تتأكد من اتصاله بمزود الطاقة عالى الجهد، ومض أمام عينها ضوء أبيض مبهر ثم اختفى تاركًا خللًا مؤقتًا فى بصرها لم تكن تعلم أنه ضوء لم يراه سواها ومض داخل عقلها الذى اختلت كهربيته كثيرًا معلنًا اللحظات الأخيرة من أعراض التعرض لمجال كهرومغناطيسى قبل أن تلحق بالسنباطى فى رحلة غياب عن الوعى إن لم يعزل صاحبها عن مسبباتها فورًا لأصبحت رحلة ذهاب بلا عودة.

أغمضت عينيها لحظة، تحاملت على جسم التليسكوب، أعادت توجيه أجهزة بث المجال، لم تعد تحتاج سوى توصيلها بالمستقطب لكن ومضة أخرى داخل عقلها تراخت معها يدها المعتمدة عليها.. ترنحت متراجعة للخلف فى انهيار تام لم تعلم معه كيف لم تسقط أرضًا حتى الآن وكأنها تسبح فى الفراغ للحظات علمت معها أنها محاطة بعدة أشخاص كانوا الأكثر فضولًا وتبعوهم للأعلى، بعضهم يحملونها قبل أن تسقط وآخرين يحملون السنباطى يخرجون به من القاعة واثنين يتفقدان التلسكوب فى حيرة فى محاولة لاستنباط ما كانت عاكفة على القيام به.

بأصابع متراخية أشارت فاتن لقابس المستقطب ثم أشارت للتليسكوب ثم سقطت فى الكهف المظلم.

خلت القاعة من الجميع باستثناء شابين بقيا فى حيرة يمسك أحدهما بالقابس يبحث ببصره فى جميع أجزاء التيليسكوب الموجه لنقطةٍ ما فى السماء لم يكن يعلم عن الأمر شيئًا ولا عن بقاء أقل من دقيقة على النهاية،

ولكن شعور الجدية والخطورة ملأ نفسه ودفعه للتيقن بأن تلك الخطوة هامة للغاية.
نادى صديقه يستعين به دون أن يتلقى إجابة.. ناداه مرة أخرى بلا جدوى ساورته الشكوك فاستدار خلف التيليسكوب يتفقد أمره إلا أنه ارتَدَّ مرة أخرى فى جزع يتفادى قضيب معدنى كاد يهوى به صديقه فوق رأسه، نظر لعينيه فى ذهول فوجدها حمراء قانية غائبة عن الوجود يرفع ذراعه استهلالًا لضربة جديدة، لولا ارتجاجات عنيفة مباغتة أخذت فى التزايد أدت إلى ميل جسم التلسكوب حول محوره ليسقط فوق رأس الشاب الذى أصيب بالمس وأسقطه أرضًا مغشيًا عليه فى اللحظة التى ارتفع فيها هدير تموجات عنيفة فى الضغط الجوى من حوله أحاط لها الشاب أذنه بذراعيه فى ألم شديد يتطلع لجدار القبة وقد بدأت تشققات تزحف داخلها وكانها أفاعى فاره من طوفان سرى له خوف شديد داخل أوصال الشاب يدور ببصره لقبة على وشك الانهيار.. صديقه فاقد الوعى.. الهروب بحياته.. قابس مُزود الطاقة.. الخيار صعب!

الفصل (٤٣)

منتصف الليل
درجة الحرارة (٢°C)

وسط ميدان مصطفى محمود حيث يقف الآلاف محتشدون فى تساؤل وترقب تسرى بينهم أنباء متضاربة بأقاويل منقوصة وأخرى محرفة حول أشخاص على علم بمجريات الأمور يقوموا بمحاولات إنقاذ للجميع أثارت موجة من التساؤلات والارتباك نتج عنها شيء من الفوضى غزت أرجاء الميدان باستثناء جمع قليل وقف على حافة الميدان يتطلعوا لمسجد مصطفى محمود فى هيبة وترقب تقف وسطهم فاتن متحاملة على فتيات من بين الحشود وقد استردت للتو وعيًا لم يكتمل إدراكه تموج الرؤية أمام عينها بينما عكف آخرون بجوارها يسعفون السنباطى فى اللحظة التى دوت فيها فرقعة مكتومة فوق رؤوسهم ارتفعت لها الأعناق فى هلع لا يبصرون سوى سماء غائمة مزقتها أذرع البرق لكن تموجات فى الهواء لطمتهم بقوة أنذرتهم بكارثة وشيكة الوقوع، وعند القبة السماوية بزغت ومضات برقية مهيبة تلقى بكلمة افتتاح ألعاب نارية لحفل مميت استعر معه الميدان بصرخات هلع اندفعت من حناجر بلغتها القلوب حتى شارفت على القفز من الحلوق استقر لها فى العقول فكرة الهروب من مكان أصبح على صفيح ساخن، ارتفع صياح بعض الأشخاص يشيرون باتجاه بوابة الجمعية الفلكية

التفتت فاتن تبصر الشاب يحمل صديقه ويغادر مدخل الجمعية يهرول تجاههم فى تثاقل لم تطق فاتن معه صبرًا فتقدمت الصفوف تستقبل الشاب بكل كيانها وجوارحها وحواسها فى اللحظة التى زئرت فيها السماء فوق رؤوسهم بصوت مخيف لم تأبه له فاتن أو أن حواسها اقتصرت على رصد ذلك الشاب دون غيره حتى وقفت أمامه تمسك بذراعه فى لوعة

وتساؤل تفتش فى وجهه عن آيات الاطمئنان تستجدى مجرد إيماءة أبت الأقدار أن تمنحها لها، اصطدمت بهزة رأس نافية آسفة من الشاب هوت على رأسها كالحمم المنصهرة احتقن لها وجهه وعضت على شفتيها فى حسرة وألم تغمض عينيها بقوة تعتصر ذراع الشاب بأصابعها دون وعى تفرغ فيه شعورًا تدفق داخل عروقها عاتيًا سحق روحها.

دفعت ذراع الشاب فى غضب محتدم ثم التفتت ترنو ببصرها تجاه مدخل الجمعية الفلكية تجول بخاطرها فكرة انتحارية للدخول لم يمهلها القدر فرصة حتى لتختمر بعقلها عندما زنرت السماء من جديد بدوى يصم الآذان تتلون غيومها فوقهم، تمزقها الشهب التى بدأت تخط فى السماء خيوطًا رفيعة لها رأس دقيق كانت منذ قليل عبارة عن أحجار انفصلت عن كويكب نيبرو ثم احترقت عند اختراقها لغلافنا الجوى ثم تتلاشى فى العنم بسلام كما ظهرت، إيذانًا باكتمال مرور الكويكب مصحوب بشعور كاسح بالدوار اعترى الجميع مع قوة عاتية تسحب الأرواح من الأجساد أورثت خواء فى العقول لم يشعر بمثله أحد من قبل انسحب معه الهواء فضاقت له الصدور حتى أطبقت على القلوب، وفى منتصف الميدان عند النجمة السداسة الرخامية ابتعد الجميع عنها وكأنهم يفرون من الموت ذاته دون أن تقع أعينهم على نوع الخطر فقط شعروا بهزيم وطنين آذانهم نابع من منطقة لا يعلم أحدهم أنها أكبر بؤرة تركيز وتجميع لطاقة الرعى على الأرض، تفجرت بغتة فى السماء طاقة كاسحة أطلقت موجة تضاغط وتخلخل عاتية اقتلعت الجميع من أماكنهم تقذف بعضهم ببعض واقتلعت معها الأشجار وانزاحت لها السيارات، وأمام مسجد مصطفى محمود انبطحت فاتن أرضًا تقلل قدر الإمكان الجزء المعرض من جسدها لموجات التوقف المباغت لطاقة الرعى، تبعها الجميع بالانبطاح أرضًا ومن حولهم تناثر حطام القبة السماوية التى انهارت جدرانها تتناثر أشلاء أجهزتها فى مهب الريح.

رغم أن الموجات التضاغطية لم تستمر سوى أقل من دقيقة واحدة إلا أنها لحظات مرت كالصريم ظل بعدها الجميع منبطح أرضًا تحيط بهم موجات ولفحات من هواء عاصف غابر حطم الواجهات الزجاجية للمبانى الضخمة المحيطة بالميدان تناثر وتساقط على إثرها الزجاج كالمطر، بدأت حدتها تقل تدريجيًا حتى خلأ الميدان من الرياح إلا من نسمات هواء عابرة وسيارات محطمة وواجهات مهشمة وبشر ملقون أرضًا خاوية أفئدتهم جزعين مشعثين مغبرين ظانين أنه يوم الدين، حتى إذا ما هدأت الأجواء بدأوا بالنهوض فى تتابع وتردد ووجل ينظرون حولهم فى صمت وسكون مهيب وكأنه يوم البعث لا يصدق أحد أنهم مازالوا أحياء فى حالة غفلة وسكر دون مُسكر، لم يوقظهم منها سوى رذاذ بدأ يداعب وجوههم المغبرة رفع له الجميع أعناقهم للسماء فإذا بها تهطل مطرًا غزيرًا مباغتًا وكأنه يغسل دنس شر أسود كان يغلف الأجواء ويخيم فى المنطقة منذ لحظات خلت.

***



الفصل (٤٤)

التجمع الخامس
مقر نيابة أمن الدولة العليا
بعد ١٢ ساعة من الأحداث

خلت الباحة الأمامية لمقر نيابة أمن الدولة العليا من موطئ قدم بعد أن احتشد المئات وربما الآلاف من المعارضين تتصاعد هتافاتهم المحتجة على التحقيق مع بعض النشطاء على مدار ست ساعات كاملة على خلفية الأحداث المريبة التى نشبت مع أول ساعات فجر اليوم بميدان مصطفى محمود بحى المهندسين بالجيزة من تجمهرات وشغب وانفجارات أحدثت تلفيات جسيمة بالمبانى الحكومية المحيطة بوسط الميدان، حتى أن مراسلة إحدى القنوات المحلية الشهيرة خللت أصابعها بين خصلات شعرها المسدل على جبينها فى إرهاق ثم دنت من المايكروفون أكثر أمام كاميرا التصوير حتى يتضح صوتها من بين الهتافات وقد بدا على ملامحها وصوتها الجدية:

- حتى الآن وقد دنت عقارب الساعة من الواحدة ظهرًا مازلنا فى انتظار ما ستسفر عنه تحقيقات نيابة أمن الدولة العليا فى مقرها بالتجمع الخامس من سماع الشهود حول أحداث فجر اليوم التى ترددت الأقاويل حولها على نحو أثار الرعب والفزع والسخط فى نفوس المواطنين مع اتهامات موجهة للحكومة بالتقاعس عن التعامل مع الأزمة بجدية وفاعلية حتى استفحلت وبات أثرها واضحًا جليًا فى الشوارع التى انتشرت فيها حالات إجرامية لم يعهدها المجتمع من قبل.. وعلى صعيد آخر نفى مصدر مسؤول كل ما تردد من شائعات حول كون الأزمة تتعلق بطقوس سحر تمت داخل

البلاد واعتبار الأمر لا يتعدى كونه دربًا من الخيال والخبال، حيث أكد سيادته أن ارتفاع معدل العنف فى البلاد على هذا النحو هو طبيعى جدا والنسبة لم تصل لمرحلة الخطر أو الأزمة التى يتشدق بها مثيروا القلاقل وزعزعة الأمن العـ.......

بترت المراسلة كلمتها عندما ارتفع صياح المحتجين التفتت على إثره تدور معها عدسة الكاميرا صوب بوابة المقر التى تقبع أعلى سلم رخامى مرتفع يخرج منها ضباط شرطة يحيطون ثلاثة شهود عيان أثناء هبوطهم درجات السلم ترصدهم عدسات عشرات الكاميرات تتوهج أضواءها فى وجوههم، تحامل الشاهد المسن الذى لم يكن سوى أستاذ التاريخ (إبراهيم السنباطى) على يد (فاتن نجيب عبد الحافظ) يتقدمهم النقيب (عمرو) بملابس مدنية وإصابات تم تضميدها يتوكأ على عكاز، كان الجميع فى حالة مزرية للغاية وملامح أضنتها أطلال ليلة عسيرة لـيلاء مرت كالكابوس أضافت إليها التحقيقات تجهمًا وغضبًا وغيظًا جاهدت معه فاتن لُتبقى فى وعيها تتحامل من آنٍ لآخر على السنباطى الذى أخذ بيدها يحاول المرور بها بمعاونة الضباط وسط التجمهر وعشرات الصحفيين ومكبرات الصوت الممتدة إليها فى محاولة لالتقاط أى كلمة أو تصريح حول مجريات الأمور التى بدا مع ملامح فاتن المقطبة أنها ساءت للغاية فيما تمخض ذلك عن توقف مفاجئ لها تعرج جانبًا لأحد الميكروفونات قائلة بعصبية:

- هم شايفين إن موجة العنف إللى فى البلد كلها عادية، والانفجار فى مصطفى محمود مجرد ظاهرة طبيعية بدون أى شبهات.. وكل التضحيات دى كانت أوهام.. وإن إللى خرجوا من المطار قدام عيون الكل مجرد دبلوماسيين.. عادى جدًا.

توتر الضابطان المصاحبين يعودا إليها في انزعاج غاضب: لو سمحتي ممنوع الكلام.. إتفضلي.
كانت فاتن قد سحبت كلمتها كالسهم ثم تركتها تغادر قوس شفتيها بلا رجعة تسرى بين المتجمهرين كالشرر في خزان وقود ممتلئ تثير موجة لهيب من الهتاف الساخط المستنكر، أفرغت معه ما يعتمل في صدرها من غضب احتدم نتيجة لتعتيم إعلامي ليست البجاحة والابتذال عنه ببعيد.
تبسم النقيب عمرو وهو يفرد ذراعه يحول دون جذب أحد الضباط لفاتن توقف الضابط يتطلع إليه ثم عاد أدراجه في سخط، أشار عمرو لفاتن والسنباطي ليتقدما خارج نطاق الحشود، توقف ثلاثتهم ثم تكلم السنباطي:
- متشكرين يا سيادة لنقيب إنك أصريت تيجي من المستشفى وتشهد معانا في التحقيقات.
تبسم عمرو في أسف قائلًا: دي أقل حاجة أقدر أعملها.. أنا متحول للتحقيق.. لكن هفضل جنبكم لحد ما الحقايق كلها تظهر.
تبسمت فاتن في امتنان.. حمدلله على سلامتك
- الله يسلمك يا دكتورة.. إللي حصل ده مش سهل أبدًا فيه متورطين كتير منهم كان غصب عنهم زي مأمور قسم الهرم إللي كان مصر يحتجزك يا دكتور، لقوه في أوضته النهاردة مغمي عليه ولما فاق ما كانش فاكر أي حاجة ولا حتى فاكرك إنت شخصيًا..
أومأ السنباطي برأسه متفهمًا فتبسم النقيب عمرو في أسف ثم صافحهما مؤكدًا.. لو فيه جديد هكلمكوا
شكراه في امتنان ثم تابعاه ببصريهما وهو يخطو مغادرًا المكان بين الحشود..
اصطحب السنباطي فاتن إلى باحة السيارات المصطفة الخاصة بالمقر ليمرا وسطها تتبع فاتن السنباطي في تساؤل حتى وجدت نفسها أمام سيارتها الميني كوبر الحمراء اللامعة انتعشت لها حواسها وسرت الفرحة



بين جنباتها تقترب فى دهشة من السيارة تمرر يدها على بدنها الانسيابى، أحست أن شعار السيارة الدائرة التى تتوسط جناحى نسر يرفرفان طربًا لرؤيتها، التفتت للسنباطى بأعين امتزجت فيها الدهشة والإرهاق والتساؤل تستجدى تفسيرًا صادف ابتسامة حانية من السنباطى يومئ برأسه لها

- أنا عارف إنك بتحبى العربية دى أوى لأن والدك الله يرحمه هو إللى جابهالك، كنت حابب أهون عليكى، بعت صديق يجيبهالك من شارع الهرم مكان ما سيبتيها.

امتلأت عين فاتن بالامتنان والعرفان ثم عادت للتساؤل:

- صديق مين!!
- أنا يا دكتورة

التفتت فاتن خلفها بعد أن التقطت أذنها صوت مجيب تساؤلها يطالعها (عزت) متبسمًا يخطو تجاههم من وسط السيارات يغطى جبهته وكتفه بضمادات طبية رغم كونها مقلقة إلا أنها لم تحول دون سعادة فاتن التى بدت على ملامحها وصوتها:

- عزت!! حمدلله على سلامتك.

ابتسم فى ود مرددًا، عمر الشقى بقى يا دكتورة.

ثم استطرد ..

- القدر أهدانا أنا والنقيب عمرو تلت ثوانى قبل انفجار عربية قوات التدخل المزيفة.

تنهد عزت يفرغ ما يعتمل فى صدره من ضيق مضيفًا: للأسف قدروا يهربوا

ربت السنباطى على كتف عزت وفاتن بعد أن استعادت جوارحه شيئًا من الهدوء والاتزان يبث إليهم الأمل ممتننًا:

- كلنا قمنا بدورنا وواجبنا يا ولاد، لكن دى إرادة ربنا، أكرمنا فى جزء وتركلنا جزء نحارب علشانه.



بدأ شيئًا من الحزن يزحف على ملامح فاتن ينم عن صراع نفسي وشعور بالذنب يموج في نفسها فتبسم السنباطي مشفقًا وخصها بحديث تحمل كلماته كل الدفء والحنو:

- ما تحمليش نفسك فوق طاقتها يا بنتي إنتوا منعتوا الكارثة الأساسية وعملتوا إللي محدش قدر يعمله على مر التاريخ والعصور، دحرتوا (بامفويت) الدراع اليمين لإبليس نفسه إللي كان السبب في كوارث ومجازر مشهورة ارتكبها الإنسان على مر العصور، (بامفويت) لو كان اتنصب قائد على الشياطين إللي عبرت ما كانش هيبقى فيه مكان أمان على وجه الأرض كان هينتشر التناحر بين بشر اختلت عقولهم.. كانت هتتواجد بحار وأنهار جديدة لكنها من الدم.. دمار وخراب وحرايق وقتل وهتك وسفح.. أرض مشوهة بتكتب نهايتها بنفسها.. ربنا كان رحيم بينا، وإللي هنواجهه حاليًا قضا أخف من قضا.. كأننا بنواجه جيش بدون قائد بيتحرك بعشوائية وتخبط ومصيرة المحتوم هو الاندحار.

أومأت فاتن برأسها موافقة في أسى تغمغم في ضيق:

- تفتكر يا دكتور الناس جاهزة لمواجهة زي دي حتى لو جيش مفكك ومشتت!
- نفوس الناس متفاوته يا بنتي ومش هيقاوم ويحافظ على اتزانه غير إللي يدرك حقيقة كونه في حرب ضروس مع الشيطان العدو الحقيقي للإنسانية مهما تخفى ووهمنا إنه مش موجود.. لكن للأسف مش كل الناس عرفت إللي حصل.. منهم إللي فاكر إن السلوك الإجرامي تطور طبيعي لنفسية البشر.. ومنهم شاكك إن فيه حاجة غلط أصابت فطرة البشر لكن مش قادر يعرف ليه وإزاي.. ومنهم إللي شاغلاه الدنيا ومش واخد باله من حاجة.

تنهد يتطلع للسحب الغائمة التى تحجب خيوط من أشعة الشمس مضيفًا

- الشدة المستنصرية انحصرت فى مصر ودفعنا تمنها حياة نص السكان وقتها لمدة سبع سنين وبعدها ربنا فرجها علينا على يد الجمالى، أملنا فى ربنا كبير يزيح الغمة عننا .. الأزمة موجودة لكن محدش عارف هتستمر قد إيه.. ممكن شهور وممكن أيام وممكن سنين... ومن هنا لحد ما يفوقوا البشر من همزات ومس الشياطين ويرجعوا لفطرتهم.. ربنا يرحمنا فى إللى هنشوفه.

أطرقت فاتن برأس تخلله خوف يمازجه شعور متناقض يدور فى فلك غصة نصر منقوص واطمئنان لقدَر محتوم ورضا عن كل ما قامت به خلال ليلة منصرمة بكل ما تحمله من أسى وجزع وشكوك وهلع و ثقه أودعتها فيمن لم يخيب رجاءها.

تصدرت صورة شريف مخيلتها فى تلك اللحظة يبتسم ابتسامته الأخيرة فى امتنان ورضا يتحلل جسده تدريجيًا مع بامفويت وسط ضياء الحجر المستعرة حتى انطبعت ابتسامته على وجهها فتبسم ثغرها بابتسامة شبيهة تحمل حزنًا انتزعها من براثنه صوت عزت الهادئ يعيدها للواقع وكأنه قرأ أفكارها:

- دكتورة.. كلنا إتفاجئنا بحقيقة شريف الله يرحمه.. حتى هو نفسه، وأيًا كان فهو هيفضل عايش فى قلوبنا وعقولنا.. غريب ضحى بروحه علشان ينقذ بشرية كانت على حافة الخراب.

قنعت فاتن فى الرد بإيماءة من رأسها تبتسم ابتسامة آسفة تطل من عينيها نظرة حزن من فقد عزيز تغمغم: كنت أتمنى إن عبيد الشيطان دول ياخدوا جزاءهم بدل ما يهربوا بالطريقة دى.

ربت السنباطى على كتفها بكلتا يديه فى حنو يتطلع لوجهها قائلًا فى دفء أبوى.. إللى خلف ما ماتش، ثم أضاف: عدالة السماء أقوى وأسرع يا بنتى ربنا عز وجل بيقول:

"ومن يتخذ الشيطان وليًا من دون الله فقد خسر خسرانًا مبينا."(*)

شعرت لأول مرة من بعد وفاة والدها باطمئنان جارف يكتسح خوفها ويغمر خيالاتها.. كم تفتقد صوته الدافئ وكلماته الناصحة لها كانت تتمنى لو تنفجر بالبكاء فجأة لكن أبت عليها نفسها إلا أن تبدو متماسكة تصافح عزت والدكتور إبراهيم السنباطى والأخير يبتسم مشجعًا وهو يقول

- تحبى نوصلك!

هزت رأسها نافية تستطرد.. عايزه أسوق أنا

تبسم السنباطى قائلًا: أنا كنت عارف.. هعدى أتطمن عليكى لما ترتاحى وتنامى كويس

أومأت فاتن برأسها فى امتنان ثم ودعت عزت، ظلت تتابعهما حتى اختلطا بالحشود التى مازالت تهتف بهتافات صاخبة لم تسمع منها فاتن حرفًا واحدًا فقط خطت تجاه سيارتها وخدر السهاد يعبث بعقلها وأطلال ليلة بائدة تتزاحم أحداثها بمخيلتها المشوشة، تهاوت فوق مقعد القيادة وأغلقت بابها ثم أطبقت على مقود السيارة بكلتا يديها وكأنها تستمد منه القوة عادت برأسها لمخدع المقعد تغمض عينيها تتنفس بعمق تستشعر المقعد المريح الذى طالما جلست خلفه يبث إليها طمأنينة أيام خلت من الرغد والمرح والأمان فى كنف والدها.. كم هذه الدنيا قاسية!

فتحت عينها وأدارت محرك السيارة ثم انطلقت بها للمنزل.

***

(*) سورة النساء:١١٩

الخاتمة

قد نحيا حياة كاملة فى حلم قصير الأجل، نخالها طويلة إلى أن تطرق اليقظة مغلق الأجفان تفتح عينيك ليتسرب عبرهما شعاع الواقع فتنتقل من عالم الأحلام المخدرة إلى واقع يثير الحيرة والألم، لا تجد يدك تقبض معه سوى على الهواء.

فتحت فاتن عينين تغشاها آثار نوم عميق يطالعها أثاث حجرتها على ضوء نحاسى خافت نابع عن بلورتين مضيئتين بإضاءة حالمة على جانبى فراشها الوثير الدافئ تستنشق هواء غرفتها اللطيف بفضل جهاز التدفئة، تدريجيًا تسلل لعقلها شعاع الواقع وانسابت أفكار وأحداث تمنت لو أنها كانت مجرد أحلام، لم تدرى كيف عادت إلى شقتها بالزمالك ولا كيف وصلت لحجرتها ولا كم مضى على نومها.. لم تصدق عينها عندما أشارت الساعة الرقمية للثالثة فجرًا، أزاحت الغطاء فى تكاسل وخدر النعاس اللذيذ يغلف عقلها، وعلى طرف الفراش جلست تستعيد اتزانها تتذكر ومضات من أحداث مرت كالسحر، نهضت متبسمة تستشعر شيئًا من الألم يغزو جسدها وإن لم يمنع ذلك كون عقلها قد استعاد صفاؤه وحيويته

انتعلت حذاء من الفراء ووقفت أمام المرآة تتطلع لردائها الأبيض الفضفاض بالكاد تتذكر وقائع ارتداؤه قبل نومها، خطت خارج غرفتها تمرر أصابعها خلال شعرها تعيده مرسلًا خلف كتفها تفتقد عروقها للقهوة تروى بها جفاف تلافيف عقلها المتكاسل وتعيد إنعاشه، مرت أمام غرفة مكتب والدها فجذبها الحنين بعد ان ملأ فؤادها اشتياق فانعطفت تدخلها فى تؤدة وكأنها تعيد اكتشافها.. هنا فقدت والدها.. وهنا كانت البداية، دارت بعينها على الحاسوب.. المكتبة الضخمة.. الآلة الكاتبة التى اتضح أنها ماكينة تشفير ألمانية ابتاعها والدها من شريف يومًا ما.



تقدمت أكثر حتى دنت من النافذة الزجاجية خلف مقعد المكتب ألصقت بها جبينها تستشعر برودة عكست برودة الأجواء بالخارج تكثفت لها قطرات الندى فوق الزجاج فمدت إصبعها تكتب (أحبك أبى)، ابتسمت فى حنو ثم رنت ببصرها للشارع الناعس وقد اكتسى بنور الفجر الأزرق الحالم

شرعت تغادر الغرفة لولا أنها أبصرت شاشة هاتفها اللوحى فوق أحد المقاعد تنطفىء مما أثار انتباهها فعادت تسحب منه مقبس الشاحن الكهربائى الذى وضعته فيه قبل نومها، لم تكد تعيد إضاءة الشاشة حتى تكور حاجباها فى دهشة عندما طالعها ثمان اتصالات من عزت على مدار الساعات السابقة مما دفعها للاتصال فى قلق وتوجس لم يدم سوى لحظة رنين واحدة ثم أتاها صوته يحمل شيئا من الإثارة وكأنه ينتظرها:

- دكتورة فاتن إنتى فين ده الدنيا مقلوبة.

خفق قلبها بعنف والأفكار تتداعى على مخيلتها، لم يمهلها عزت فرصة للتساؤل فقد أكمل بنفس الحماس:

- ناشط سياسى نشر فيديو على اليوتيوب من ست ساعات قالب الدنيا بيظهر فيه الكهنة وهم بيقوموا بالطقوس.

اتسعت عينا فاتن فى سرور مازجه شيئًا من الذهول أثار لديها تساؤل شرعت فى إلقاءه لكن عاجلها عزت مكملًا:

الحكومة بقت فى موقف محرج جدًا بالذات إن شركة عالمية قالت إن الأفلام حقيقية ومش متفبركة، وفيه مسؤول قال إنهم على وشك استدعاء سفراء الدول دى وتوجيه طلب احكومات الدول إللى ظهر مسؤلينها فى الفيديو بتفسير أحداث الفيديو ..

غمرتها سعادة وبشرى للحظات ثم عادت لتساؤلها المرتاب:

- مين يا عزت إللى قدر يصورهم وينشر الفيديو ده

- دى تانى حاجة قالبة الدنيا، أنا أعرف صديق مبرمج فى مجلس الوزراء، قالى إن الدنيا مقلوبة فى الحكومة لأن



واضح إن إللى عمل كده خبير فى الكمبيوتر ومحدش قادر يوصله.

- وهم المفروض يوصلوله إزاى!!
- بصى أى حد بيدخل على الإنترنت، الكمبيوتر بتاعه بيبقى له اسم وعنوان مميز خاص بيه هو بس بيتعرف منه مكان الشخص ده فى أى مكان فى العالم، الاسم ده هو (البروتوكول إنترنت) أو IP

لما المتصل يدخل أى موقع، أوتوماتيك بيتحفظ فى الشركة الراعية للمواقع دى نسخة من الـ IP بتاعه مع ضمان منهم بسرية البيانات إلا فى حالات طلب من الحكومات لكشف موقع مجرمين دوليين، وللشركات حق رفض الطلب أو قبوله بلا تعقيب عليه. *حقيقة

ومع ضخامة القضية وظهور فى الفيديو شخصيات حكومية من دول كبيرة، فى الأول اليوتيوب حذفه من موقعها بعد عشر دقايق من نشره، لكن بعد ما آلاف المستخدمين حفظوه عندهم وأعادوا رفعه على جميع المنتديات ومواقع التواصل الاجتماعى، ساعتها وافقت يوتيوب إنها تسلم الحكومة بروتوكول الإنترنت الخاص بالمستخدم إللى رفع الفيديو علشان يقدروا يحددوا هويته ومكانه، لكن يوتيوب اتصطدمت بتشفير غريب للبروتوكول ما قدرتش بكل إمكانياتها وخبراءها يفكوا شفرته رغم إن عندهم الخادم الرئيسى للموقع.

مرت لحظة صمت دفعت عزت للتساؤل.. فاتن إنتى معايا!!
أفاقت فاتن من بحر متلاطم من الأفكار كانت قد غرقت وسطها وفى مخيلتها تنبت فكرة بقدر كونها غريبة بقدر ما يتخللها شيء من المنطقية



- عزت.. تقدر تجيبلى من صاحبك الـ P!!!

صمت عزت لحظات ثم خيل لفاتن أن عزت يبتسم مشفقًا وهو يتحدث:

- مفيش داعى يا دكتورة بيقولولى إن تشفير البروتوكول صعب أوى وإنتى مش متخصصة فى الكمبيوتر....
- عزت أرجوك!!

مرت لحظة تفكير وتردد على عزت ثم تنهد

- هكلم المبرمج وأحاول أجيبهولك يا فاتن.

مضت بضع دقائق منذ أن أنهت فاتن الاتصال زرعت خلالها الغرفة ذهابًا وإيابًا فى توتر يعصف بأعصابها كادت معه أن تجن بينما عشرات الاحتمالات تتداعى على عقلها حتى واتتها فكرة مشاهدة الفيديو الذى وجدته منتشر بالفعل فى جميع المواقع، لحظات وكانت تشاهد بداية لقطات الفيديو الذى يظهر ميدان مصطفى محمود يتوسطه مبنى مينيرفا يتوافد عليه الكهنة من الباب الخلفى مستترين بالظلام حتى هبطوا لمتاهة أرنينى، بالفعل كانوا حوالى سبعة كهنة وجوههم واضحة يقيمون طقوسًا وتعويذات مقبضة وأيديهم ملطخة بسائل أحمر قانى لزج لا تخطؤه الأعين، وفى ركن القاعة يظهر جسد شريف مسجى فوق منضدة بلا وعى، ظلوا يقيمون هرطقة وطقوس شيطانية دموية ومع نهاية الفيديو شردت فاتن مفكرة.. التصوير من مكان قريب وكأن المصور واحد منهم.. مندس وسطهم.. مين هو يا ترى.. ثم متى حدث ذلك المشهد!!

شعرت بانقباض وقشعريرة المجهول تعاودها تعصف بها الخيالات لعهد الأمل ثم تعود لتنخفض بها لقرارة اليأس لتضعها على حافة الجنون والهذيان والأطياف التى تسلل إليها رنين الهاتف مدويًا وكأنه رصاصة رحمة انتزعها من نيران الانتظار المستعرة، أجابت اتصال عزت فكانت كلماته لها موجزة للغاية:

- فاتن.. صفحة كتاب سليمان لسه معاكى!!



قفز معدل ضربات قلبها للضعف تدور بوجهها تلقاء صالة المنزل تبصر فوق أحد المقاعد سترتها الجلدية ملقاة فى إهمال يبرز من جيبها طرف ورقة صفراء خشنة جعلتها تومئ برأسها كالمأخوذة التى أدركت معنى طلب عزت تغمغم بصوت خافت.

أيوة يا عزت.. لسه معايا.

***

كان نور الفجر الأزرق الحالم قد اكتسى بحُلَّة فضية من ضياء الصباح المنير مازالت معه الشوارع شبه خاوية تتلمس بداية يوم جديد مما حَثَّ فاتن على الانطلاق بسيارتها بسرعة جنونية تنافس السرعة التى ارتدت بها ملابسها متوجهة إلى مكان ليست على يقين من صحته، هل ما لاقته من معاناة أفقدها صوابها أم أنها بالغت فى تفسير شيئًا ما جانبه الصواب، رفعت وريقة صغيرة كتبت فوقها ست مجموعات تفصلها نقاط، كانت متسلسلة تمثل بروتوكول إنترنت عادى لولا رموز تخللت تلك الأرقام، رموز تعاملت فاتن معها كثيرًا فى الآونة الأخيرة، رموز أثر (الأمير بدر الدين الجمالى) جميع كتاباته المشفرة على استخدامها، لغة ملائكية احتضنها كتاب مفتاح سليمان، لم تكن تدرى كيف تم دمج البروتوكول مع كتابة الملائكة على هذا النحو فلا عجب فى عدم استطاعة أعتى الخبراء فى حل شفرتها فمن من الخبراء العصريين يستحضر كتاب أثرى من آلاف السنين ليحل شيفرة بروتوكول إنترنت، مررت بصرها على الجزء الأخير من الوريقة حيث ترجمة تلك الرموز تقرؤها همسًا تمررها على عقلها من جديد.

- **المحراب الأخير حيث يُغمد سيف الضياء.**



تنهدت فى حيرة ثم وضعت الوريقة فوق تابلوه السيارة أمامها وعادت تمسك المقود بكلتا يديها تراقب طريق خلت أروقته من العقبات والمحفزات العقلية فسقطت معه فى دوامة من الشرود تتداعى على عقلها مشاهد متداخلة كفيلم سينمائى عتيق تدور أشرطته بالحركة اليدوية فبدا ثقيلًا بطيئًا تداخل معه مشهد انحناءة جانبية لطريق فرعى دارت معه فى انحناءات شبه دائرية على نطاق واسع ترتفع تدريجيًا لأعلى ثم اعتدل الطريق فخففت من سرعتها حتى دنت من نهايته، ظلت داخل السيارة تدور عينها فى الأرجاء تستجدى اطمئنان أبى أن يزور قلبها الوَجِل من ذكرى ساعات قليلة خلت بدا أثرها جليًا على قسمات وجهها المشفق.

كانت تؤمن أن النهاية دائمًا تكمن حيث البداية هكذا علمتها كل قصص البحث عن الحقيقة، وهكذا وجهتها العبارة المشفرة.. وهكذا فسرتها.. سيف الضياء لا يخرج عن كونه حجر الضياء، الإشارة جلية.. يجب إعادة حجر الضياء لغمده.. لكن أين هو من الأساس!

ترجلت من السيارة ووقفت جوارها لحظات ترنو ببصرها تلقاء مشهد الجيوشى، محراب الضياء الأخير كما وصفه الجمالى.

تتطلع لخيوط شمس الشروق الذهبية التى بدأت تزحف فوق قمة منارته البديعة وقبته الضخمة فبدا مهيبًا شامخًا يغلفه غموض مبهم لا يهتك ستره سوى من يمعن النظر بأعين صافية وعقل متوهج وقلب مازال ينبض بخير وعطاء لا حدود له، خيل إليها فى تلك اللحظة أنه ينظر إليها بدوره، يبتسم فى امتنان ورضا يلوح لها فى حنو كعاشق ضرب حاجز بينه وبين معشوقه، راق لها ذلك الهاجس فتبسمت قليلًا مما خفف على نفسها وطأة ذكرى الأمس وحثها على الاقتراب أكثر وأكثر حتى عبرت بوابة المشهد حيث تفترش خيوط الشمس الأرضية المغطاة ببلاط سداسى الشكل تراصت وحداته متجاورة تتباين ألوانها بين الرمادى والقرمزى، كانت تلك هى المرة الأولى التى تلاحظه فى وضح النهار، جال بخاطرها التاريخ الحقيقى للنجمة السداسية واستعمالها فى الخير والشر والصراع



الدائر بينهما، خطت فوقه بضعة أمتار حتى لاحت لها البوابة الخشبية للمشهد مزخرفة بنقوش دقيقة تنم عن صناعة رغدة، ومن جوار الشاهد تجلى قرص الشمس الذهبى بأشعته الباردة أشاحت لها فاتن بوجهها ثم عادت تنظر إليه بأعين شبه مغلقة تحجب بيديها بعض أشعته عندما خيل لها أن شخصًا ما يقف هناك عند نهاية سور المشهد قرب حافة هضبة المقطم يُظلم قرص الشمس جانبه المقابل لها، أجلفت وبدأ قلبها فى التواثب تظن بعقلها وعينيها الظنون هيأ لها وكأنها تنظر لشبح غير متضح المعالم يوليها ظهره عاقدًا ذراعيه يستند بإحدى قدميه فوق السور القصير يتطلع فى شرود لأفق دامى ملطخ بشفق أحمر، لوحة زيتية أبدعها الخالق.
تسمرت فاتن فى مكانها، لم تشأ اختصار المسافة بينهما حتى تهدأ جوارحها الثائرة وكأن ذلك القدر هو آخر ما تحتمله نفسها الهشة وأعصابها المرتبكة، لكن الشخص لم يمهلها تلك الرفاهية وكأنه سمع أفكارها التى انتزعته من شروده فالتفت إليها وبقى ساكنًا لحظات ثم بدأ يخطو إليها.. حقيقة شخصيته لم تكن غائبة عن عقلها لكن استحالة ذلك مع عدم تبين ملامحه حال دون اطمئنانها فظلت على حالها تتطلع لحدود جسد مظلم تلقى أشعة الشمس من خلفه ظلًا طويلًا يتجاوزها كلما تقدم إلى أن بدأت تتضح معالم وجهه تدريجيًا حتى بات على مسافة متر واحد منها يطالعها وجهه كما ألفته وابتسامة ودودة مازجها شىء من الحزن والأسف ترتسم على قسماته، تنفرج شفتيه هامسًا:

- ما لحقتش أشكرك على رجوعك ليا بالحجر فى تيه أرنينى

ظلت فاتن تتطلع لوجهه فاغرة فاها تغالب مفاجأة أثقلت تفكيرها أغمضت لوطأتها عينيها لحظة واحدة وهى تهز رأسها نافية فضلها قائلة بوعى لم يكتمل استيعابه

- افتكرت إنه فى شنطتى وافتكرت عبارة الجمالى الأخيرة.. كانت مجرد فكرة.



تبسم يومئ برأسه: فكرة دحرت بامفويت، وبعدته عن البشر لأجيال و..
كتبتلى حياة جديدة، أردف مكملًا:

بالضياء تكتسب المجد فى الكون..

ثم صمت لحظات يتطلع لعينيها الزرقاء يؤكد لها على أهمية العبارة التالية..

والظلام يبتعد عنك

على الرغم من فهمها للعبارة جيدًا إلا أن أقصى آمالها وقتها أن يستعمل شريف الحجر فى دحر بامفويت، لكن تنقية الحجر لجانب الشر لديه ونجاته.. كانت خارج حساباتها.

- افتكرتك انتهيت معاه!

ابتسم فى حنو يخفف من ارتباك جوارحها:

- أنا كمان اعتقدت إن دى نهايتى ولما فوقت فى أوضة ضيقة جدًا شبه معتمة وحواليا سبع بنات اعتقدت إنه يوم حسابى.

أشار بوجهه عبر حافة المقطم حيث قبب السبع بنات مكملًا:

- كنت فى قبة من القبب.. الجنيات كان شكلهم ملائكى عكس ما شوفناهم أول مرة .. فهمونى الحقيقة.. عرفونى إنهم أرواح خير استعملهم (الجمالى) كخط دفاع أخير لحماية الحجر من أى شيطان أو جن جواه بذور الظلام، لاح فى عينيه شيئًا من الأسف مكملًا

- وجودى معاكم وقتها كان هو السبب إللى خلاهم يهاجمونا.

نبتت فوق ملامحها المرتبكة آيات تدارك حقيقة كانت تعتقد أن لا يجود بمثلها عالم الحقائق، وأى حقائق تلك التى تتخذها مقياسًا فى أمور انصهرت وصبت فى قالب من عالم الخيال والأطياف، أومأت برأسها فى تفهم متشكك ينقصه يقين بدأ يجد طريقه إلى جوارحها بينما أحجار الأحجية تتراص داخل عقلها حتى باتت صرح من الحقيقة ينافس صرح الجيوشى غموضًا ورهبة



- ودلوقتى إنت .... !!

أومـأ شـريف بالإيجاب ردًا علـى سؤال لـم تستطع إكمالـه، نبت لإجابتـه غشـاء رقـراق أمـام عينهـا الزرقـاء، فتداعت علـى عقلها حقيقـة تنقيـة حجـر الضيـاء لبذور الظـلام داخـل شـريف والإبقـاء على جانب الخير منه، عبارة الجمالى مازالت تكشف عن خبايا بين ثناياها، همست بصوت خافت

،،والظلام يبتعد عنك،،

تبسم شريف يومئ لها برأسه فعادت تتطلع لوجهه وقد غاب عنها مـا حولهـا تحتشد الأسئلة فـى عقلها فتموت جميعها دهسًـا دون نـاجين تحـاول استيعاب عـودة شـريف بعـد تخلصــه مـن جينـات وراثية أورثه إياها عوار وشذوذ فى الطبيعة.. عـاد يلاحق الجنـاة بتصويرغريب لهم اعتقدت أنـه غيـر حقيقـى بـل ولـم يسبق لهـا رؤية ذلك المشهد ورغم ذلك كان يدينهم ويوقع بلادهم فى حرج بالغ:

- إزاى قدرت تفبرك فيديو ومحدش قدر يكتشف ده!!
- مين قالك إن الفيديو متفبرك الفيديو حقيقى.
- لكن إزاى إتصور ومين إللى صوره وإنت ظاهر فيه!

صمت لحظات تموج فى عينيه نظرة غريبة أسفرت عن إجابة أغرب:

- جنيات القبب طلبوا منى أرجع حجر الضياء لمكانه

اختلست فـاتن نظـرة لمنـارة المشـهد حيـث وجـدوا حجـر الضـياء فأوما شريف برأسه مؤكدًا

- الحجـر فـى أمـان مستنى الأجيـال إللـى جايـة تستعمله وقت اللزوم.

أراحت تلك الفكرة عقل فاتن وأشعرتها بمسؤولية سرعظيم يجب إبقاؤه طى الكتمان لكنها لم تفهم بعد العلاقة بين الفيديو وبين السبع جنيات



- أنا كمان يا فاتن طلبت منهم مطلب أخير.. فاكرة لما هاجمونا وقدروا ياخدوا هيئة والدك وزوجتى دينا.. وبعدها غيروا شكلهم لأشكال مرعبة علشان تخوفنا ونهرب.. وبعدها لما أنا فوقت لقيت نفسى وسطهم كان شكلهم ملائكى.. لما عرفت إن الكهنة هربوا بعملتهم جاتلى فكرة.

أطل التساؤل من عينيها لكنه تركها هذه المرة لحظات يحرق عقلها فضول زاده توهجًا بابتسامة غامضة اعتلت شفتيه:

بعد ما نفذت مطلبهم، طلبت منهم ياخدوا هيئة السبع كهنة.. ومثلنا الفيديو.

وضعت فاتن أناملها فوق فمها تمنع شهقة صدرت رغمًا عنها وقد امتقع وجهها بعد أن سمعت فوق ما تحتمله.. شريف مسجى وسط سبع جنيات تحوروا لأشكال الكهنه يقومون بتمثيل القيام بطقوس أمام كاميرا أعدها شريف بنفسه، لذلك فشل جميع الخبراء فى إثبات كون الفيديو ملفق

خفضت يدها من فوق فمها ثم تبسمت فى ودهشة وإعجاب يمازجه وجل بدأ ينزاح الكثير منه يحل محله ثقة زحفت على قلبها وعقلها تستشعر امتنان ورضا لم يكد يكتمل حتى أردفت فى شغف:

- الدنيا إتقلبت عليهم بسبب الفيديو ده والحكومة استدعت سفراء الدول طالبة منهم تفسير على ظهور مسؤولين حكوميين من بلادهم فى الفيديو

أومأ شريف برأسه موافقًا.. ما كانش ينفع المسؤولين عن كل الخراب ده يفلتوا من غير عقاب.

انفرجت أسارير فاتن ترنو ببصرها للقاهرة ومساكنها يومض فى خيالها اللحظات الأخيرة قبل مرور نيبرو عندما سقط مغشى عليها قبل إتمام مهتمها، تبدلت أساريرها للحزن تلتفت لشريف متسائلة:



- الحجر ممكن يرجع عقول الناس إللى فسدت ويقضى على الشياطين!!

أجابها شريف بالنفى قائلًا.. للأسف صلاح العقول نابع من القلوب والضمير الإنسانى ودى أمور ما يصلحهاش مجرد حجر.. لازم الناس تفوق وتعرف إن العنف إللى إنتشر بمعدلات مش طبيعية من قتل بأبشع الطرق دموية وتمثيل بجثث بمعدلات محبطة ومؤلمة وهتك وسرقة وحرق واغتصاب، كلها أمور مش طبيعية كلها وسوسة شياطين ملت الأرض بتوهم الناس إنها مش موجودة.. صحيح من غير (بامفويت) بيضعفوا أسرع لكن مش قبل ما الناس تفهم الحقيقة وتعترف بيها وتبدأ تواجهها.. ولحد ما ده يحصل ربنا يرحمنا الفترة الجاية.

خط الحزن والأسى خطوطه على قسمات وملامح فاتن تتنهد فى ضيق وشعور بالذنب أبى أن يفارقها ربت شريف على كتفها فى ود وعرفان، تبسمت فى أسف تومئ برأسها فى شكر على محاولته التخفيف من وطأة تقصير هو عنها ببعيد، تطلعت لوجهه وقد غاب عنها ما حولها حتى انغمست فى بؤرته، هذا هو شريف خليل الذى كتب عنه والدها ملفًا كاملًا وكان ينوى إرساله له، هشت ملامحها ورقت بعد أن تبسمت بابتسامة متأملة ثم أطرقت بوجهها لحظات تغلق حصونها وتعيد ارتداء دروعها ترتسم على وجهها أمارات تساؤل مصطنع هامسة:

- عزت عرف إنك بخير؟

أجابها شريف يغالب ابتسامته فى صعوبة أثارت دهشة فاتن:

- على فكرة بروتوكولات الإنترنت بتبقى أرقام بس، ما ينفعش يتحط معاها حروف أو رموز .. صمت لحظات يراقب ابتسامتها تبهت وأعينها تتسع وينشر التجهم أذرعه على قسماتها تنظر إليه فى حذر من يوشك على الانفجار مما أثار ضحكه قائلًا:



- عزت أول واحد اتكلمت معاه بعد ما خرجت من القبب، كنت عايز أفاجئك فاتفقت معاه يخليكى تيجى هنا من غير ما تعرفى حاجة وبطريقة مقنعة، لكن بصراحة هو إللى نفذ فكرة إنه يبعتلك بروتوكول هو إللى عامله ويحط معاه رموز كتابة الملائكة، والباقى إنتى عملتيه لوحدك.

كورت حاجبيها فى غضب هاتفة: ماشى يا عزت كنت بتضحك عليا!!

ضحك شريف من جديد وهو يجذبها من ذراعها فى رفق تلقاء بوابة المشهد قائلًا فى شغف:

- تعالى بقى عايز أوريكى حاجة

أطاعته فى آلية تغمغم له.. مفاجآتك مش هتخلص يا شريف

دفع بوابة المشهد الخشبية تقع عينها على آثار تحطم أعاد لها ذكرى الأمس، دخلا المستوى الأول من المشهد تتفحص الجدران والأسقف تحت ضوء النهار، جذبها شريف للغرفة اليمنى حيث السلم المؤدى للمنارة، صعدا سلم المنارة الداخلى وفضول فاتن يسبقها حتى دنا شريف من الحجرة فى قمتها يمسك بيد فاتن يعينها على صعود الدرجات الأخيرة حتى وجدت نفسها داخل غرفة صغيرة جدًا أسفل قبة المنارة تتراص حولها مظلات معقودة القمة تدور مع دوران الغرفة يطالعها عبرها القاهرة من أعلى أعلى نقطة.

أخرج شريف من معطفه منظار مقرب صغير وناوله لفاتن يوجهها لأحد الفتحات:

- بصى بالمنظار من هنا وقوليلى شايفه إيه
- أعتقد دى بوابة النصر!!
- فعلًا.. والفتحة إللى قبلها بصى منها
- دى قبة الشيخ بدر.. ضريح بدر الدين الجمالى!
- بالضبط .. إرجعى للفتحة إللى قبلهم
- شايفة مئذنتين عاليين جدًا.. لكن ده مسجد إيه!!



- دى بوابة المتولى إللى بيسموها باب زويلة فى حى الغورية.. بوابة مصر القبلية إللى بناها بدر الدين الجمالى برضه، وحواليها حكايات إن روح الوالى الأعظم (القطب المتولى) بيسكنها وبيخرج أحيانًا يساعد الناس فى صور مختلفة ..

أبعدت فاتن المنظار عن عينيها تتطلع لشريف فى ترقب.. بدر الجمالى.. وروح الوالى الأعظم! الموضوع كبير.. أعتقد عندنا وقت نعمل زيارة للقطب المتولى!

ابتسم شريف يومئ برأسه مؤكدًا على ضرورة ذلك ثم أشار للفتحة التالية فأعادت المنظار أمام عينها ترصد عبر تلك الفتحة مسجد أحمد بن طولون فى حى السيدة زينت أضخم مسجد بالقاهرة.. شارحًا

- المسجد اتبنى فى العصر العباسى على يد أحمد بن طولون لكنه اتحرق واتهدم وسط الحروب وفضل فترة مهجور لحد ما جه بدر الجمالى رممه وصلحه .. غمز شريف بعينه مكملًا .. وضاف لمسة (جمالية) لفوارة الوضوء وسط صحن المسجد.

ابتسمت فاتن للمغزى من عبارة شريف الأخيرة ثم انتقلت من تلقاء نفسها للفتحة التالية ترصد قباب السبع بنات عبرها ثم خفضت المنظار تلتفت لشريف فى ترقب وغموض لتتلاقى نظرتها مع ابتسامة وإشارة لأعلى حيث نقوش جصية جديدة لم تجف بعد مكملًا جولته الأثرية:

- الحجر مكانه فوقينا بالظبط مخفى بنقوش باطن قمة المنارة.. بيتصل بكل الأبنية والأضرحة إللى الجمالى بناها أو كان ليه فيها بصمة بترميمها وإعادة بناءها، وده عن طريق الفتحات إللى بصيتى منها.. وموجودة فى كل مبنى من دول فجوات بتتطل على أبنية أثرية تانية ومنها بتطل



على أثر تالت ورابع .. الجمالى عمل شبكة حماية كاملة مغطية القاهرة مركزها مشهد الجيوشى وبالأخص حجر الضياء.

أشرق وجه فاتن تستنتج حقيقة.. بالطريقة دى قدر يسيطر على مقاليد الأمور أيام الشدة المستنصرية!!

بالظبط .. لكن بعد ما نشر الوعى والتآلف والرحمة والعدل ساعتها بس رجع الخير للبلاد، وانتهت الشدة.

تبسمت فاتن بابتسامة حالمة ثم دنت من إحدى فتحات المنارة تمرر عينيها على منازل القاهرة القديمة بكل آثارها وتراثها العتيق محملًا بعبق عقود مضت، عقود تخفى من الأسرار والآمال أكثر مما تظهر

- تفتكر يا شريف التاريخ فعلا بيعيد نفسه!!
- إنتى إيه رأيك!!
- أنا شايفة إن تصرفات البشر وأطماعهم المتشابهة على مر العصور هى السبب الرئيسى لتكرار التاريخ، أما التاريخ فهو برىء من تهمة التكرار من تلقاء نفسه.

تبسم شريف لمنطقها الذى استقر عليه بدوره يومئ برأسه موافقًا.. أراح جبينه على قمة مطل يستنشق نسمات سفور الصباح ثم تنهد مرددًا.. أطماع البشر.. كلمة بتلخص حاجات كتير أوى.

تبسمت فاتن دون أن تحول نظرها عن نوافذ المنارة يشاركها شريف النظر للأفق فى صمت وشرود وتفكير.. إلى متى سنظل نكتشف أن بعض ما يتواجد حولنا ونراه يوميًا ليس كما نعتقد.. كم من الأسرار يا ترى يخبؤها لنا السلف!

مط شفتيه فى حيرة معلنًا توقف تفكيره عند تلك النقطة التى لا إجابه لها.



فى تلك اللحظة افترشت خيوط اشعة الشمس البراقة قمم مبانى القاهرة المحتشدة بغزارة على نحو كثيف يراقبها مشهد الجيوشى من أعلى نقطة فى المقطم .. يحدق إليهم عن كثب.. ينتصب فى صمت كتذكار جرىء.. كخريطة من الماضى ترشدنا وتصد عنا محن المستقبل.. كشاهد من السلف على تفوق الحكمة القديمة

اقشعر بدن شريف للمشهد وسرى فى جسده شعور لم يختبره من قبل .. شعور بالأمل .

تمت بفضل الله





عظفق طعسشت عثماز (١ : ٣)

المراجع

- موسوعة وصف مصر
- المقريزى: إغاثة الأمة بكشف الغمة
- بحث حول (الأزمات الاقتصادية التى أصابت مصر فى خلافة المستنصر بالله) لـ نضال حميد، هيفاء عاصم
- (تاريخ وآثار مصر الإسلامية) لـ أحمد عبد الرازق أحمد
- التحرى والتقصى الشخصى من داخل المواقع الأثرية

مواقع إلكترونية

- أعداد حضارة المايا

http://gwydir.demon.co.uk/jo/numbers/maya/#how

- موسوعة الخرائط

http://wikimapia.org

- الموسوعة الحرة

ar.wikipedia.org

للتواصل مع الكاتب:

ahmed.badran.١٤٢٨@facebook.com

شكر خاص وعرفان لمساهمتكم الفعالة

أ/ منال بدران
أ/ حنان بدران
أ/ محمد بدران
أ/ ريم على
أ/ كامل محمود







noon_publishing@yahoo.com
0235860372 - 01127772007

التاريخ ماض فى تسلسله .. والماضى لايموت .. وإنما يبعث فى الحاضر بألف صورة وصورة.

الاديب والمفكر الدكتور/ مصطفى محمود

●●●

رسالة مشفرة بذكاء شديد تركها أستاذ في علم الفلك لإبنته قبل إغتياله فأرشدتها لشخص يمر بظروف مريبة أجبرتهما على التعاون معا لكشف غموض أشخاص لا وجود لهم وحالات انتحارغير منطقية بالمره ، ليتورطا معا فى خوض جولة آثرية مخيفة عبر أضرحة وابنيه من العهد الفاطمى بمصر مشفرة من السلف على نحو تتابعى ، وعبر دروب الاسرار واجهوا اهوالاً مفزعة ، لكن نهاية المطاف حيث مكان شهير للغاية كانت المفاجأة الاشد هولا .. وقتها فقط علمنا الحقائق .. وياليتنا ما علمنا .

●●●



أحمد محمود بدران روائي وقاص من مواليد القاهرة عام 1984 ماجستير فى القانون ، صدر له العديد من القصص القصيرة ونشرت له فى سلسلة كتب العائدون التابعة " للجمعية المصرية لأدب الخيال العلمي.

- صدرت له رواية (كيمتريل) عام 2014 من ادب الخيال العلمى
- كما فاز فى مسابقة ابداع الكبري للقصة القصيرة على مستوى العالم العربى .

تصميم الغلاف : أسامة علام



